شرح الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة

للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله

من الدرس ١ إلى الدرس ٦

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤١/٠٧/٢٥ هـ

المجلس الأول

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فهذه منظومة عظيمة وجامعة في باب الاعتقاد لناظمها الشيخ العلامة/ حافظ بن أحمد حكمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- سماها: [**الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة**]، وهو اسمٌ مطابقٌ لمسماه، قد جمع ناظمها -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في أبياتها العذبة وكلماتها السلسة وعباراتها الجميلة؛ أُمهاتِ الاعتقاد، والبراءة من العقائد والمذاهب المُخالفة للمعتقد الحق المستمد من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسيكون التعليق على هذه المنظومة تعليقًا مختصرًا دون إطالة؛ لأن أبيات هذه المنظومة تُقارب الثلاث مائة بَيْت، ونود ختم هذه المنظومة في هذه الأيام، أو في المدة المقررة خلال هذا الأسبوع بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأُحب أن أنبه أن الإخوة القائمين على هذه الدورة أعدُّوا جوائز لمن يحفظ هذه المنظومة، وستُعقد مجالس للتسميع لمن حفظ، ولعل عددًا من الإخوة أو جميع الإخوة يتيسر لهم ذلك.

أسأل الله أن ييسر لي ولكم الخير والتوفيق، وأن يُعيننا على طاعته، وأن يمن علينا بالعلم النافع والعمل الصالح والرزق الطيب، وأن يهدينا جميعًا إليه صراطًا مستقيمًا.

وندخل الآن في قراءة النظم.

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم...

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحَمْدُ للهِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ ** ولا يُحِيْطُ بِهِ الأَقْلامُ وَالمُدَدُ
حَمْدًا لِرَبِّي كَثيرًا دَائِمًا أَبَدًا ** في السِّرِّ والْجَهْرِ في الدَّارَيْنِ مُسْتَرَدُ
مِلْءَ السَّمواتِ وَالأَرْضِيْنَ أَجْمَعِهَا ** وَمِلْءَ مَا شَاءَ بَعْدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ رَسُولِ ** اللهِ أَحْمَدَ مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدوا
وأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيْ وَالآلِ قَاطِبَةً ** وَالتَّابعينَ الأُلَى للدِّيْنِ هُمْ عَضُدُ
وَالرُّسْلِ أَجْمَعِهِمْ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ ** مِنْ دُوْنِ أَنْ يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا
أَزْكَى صَلاةٍ مَعَ التّسْليْمِ دَائِمَةً ** مَا إِنْ لَهَا أَبَدًا حَدٌّ وَلاَ أَمَدُ
وَبَعْدُ ذِي فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ (جوهَرةٌ ** فَرِيْدَةٌ) بِسَنَا التَّوحِيْدِ تَتَّقِدُ
بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلةٌ ** وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْدَاؤهُ عَقَدُوا
وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوَازِمِهَا ** وَأَحْمَدُ اللهَ مِنْهُ الْعَوْنُ والرَّشَدُ
وَاللهَ أَسْأَلُ مِنْهُ رَحْمَةً وهُدىً ** فَضْلًا وَمَا لِيَ إِلاَّ اللهُ مُسْتَنَدُ

الشرح:

هذه كما سمَّاها-رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- خطبة العقيدة؛ وهو الاستهلال الذي بدأ به بين يدي هذه العقيدة المباركة، مُثنيًا على الله حامدًا مُصليًا ومُسَلِّمًا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، داعيًا ربَّه جَلَّ وَعَلَا بالعون والرَّشد والتوفيق والرحمة، مستمدًا منه وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك.

قال: (**الحَمْدُ للهِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ ... ولا يُحِيْطُ بِهِ الأَقْلامُ والمُدَدُ**): الأقلام معروفة، والـمُدد: جمع مِداد.

و(**الحَمْدُ**)؛ حمدُ اللهِ لا يُحصى له عدد؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُحمد على نعمه، ونعمُه لا تُعدُّ ولا تُحصى.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:٣٤].

ويُحمد جَلَّ وَعَلَا على أسماءه الحسنى، وصفاته العظيمة، وأفعاله الجليلة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو جَلَّ وَعَلَا لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد، يُعطي ويُنعم ويُكرم ويتفضل ويمن جَلَّ وَعَلَا.

(**ولا يُحِيْطُ بِهِ الأَقْلامُ والمُدَدُ**): يقول تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف، من الآية:١٠٩].

(**حَمْدًا لِرَبِّي كَثيرًا دَائمًا أَبَدًا**): أي: أحمده جَلَّ وَعَلَا حمدًا كثيرًا دائمًا أبدًا.

(**فِي السِّرِّ والْجَهْرِ فِي الدَّارَيْنِ مُسْتَرَدُ**): نحمده جَلَّوَعَلَا هذا الحمد في السر والعلن.

(**فِي الدَّارَيْنِ**): يعني في الدنيا والآخرة، وأهل الجنة يدخلون الجنة حامدين لله. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٤٣]؛ فهم يحمدون الله هذا الحمد.

(**مُسْتَرَدُ**): أي: مستمر، ودائم غير منقطع.

(**مِلْءَ السَّمواتِ وَالأَرْضِيْنَ أَجْمَعِهَا ... وَمِلْءَ مَا شَاءَ بَعْدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ**): انتزع الناظمُ هذا مما ورد عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حمد الله به بعد الرفع من الركوع: «**رَبَّنا وَلَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض، وَمِلْءَ مَا بينهما وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْد**».

(**ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى خَيْرِ الأَنَامِ رَسُولِ ... اللهِ أَحْمَدَ مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدُوا**): ثنَّى بالصلاة والتسليم على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. (**خَيْرِ الأَنَامِ**): أي: أفضلهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(**رَسُولِ اللهِ**): أي: من بعثه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ رسولًا للعالمين.

(**أَحْمَدَ**): وهذا اسمٌ من أسماءه -صلوات الله وسلامه عليه-.

(**مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدوا**): سعدوا بصحبته عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، بل إن السعادة لا تكون إلا بذلك، بصحبته عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بالاتباع في حياته، وبصحبة سنته وهديه -صلوات الله وسلامه عليه- بعد مماته؛ فهذا هو باب السعادة الذي لا باب لها غيرُه، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:١٢٣]؛ أي: يسعد.

(**وأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيْ وَالآلِ قاطِبَةً**): لعل مراده أزواج النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لعطفه لهم على الآل قاطبة، (**وَالآلِ**)؛ هم قرابة النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ المؤمنون به.

(**وَالتَّابعينَ الأُلَى للدِّيْنِ هُمْ عَضُدُ**): أي: الصحابة، المراد التابعين له بإحسان؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:١٠٠].

(**وَالتَّابعينَ الأُلَى للدِّيْنِ هُمْ عَضُدُ**): الذين أصبح شأنهم لدين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هو النصرة والمعاضدة، والعمل على نشر دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ والذبِّ عنه؛ فنهجوا نهج الصحابة، أخذوا دين الله جَلَّوَعَلَا وتلقَوْه من أصحاب النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فحفظوه، وحافظوا عليه، وعملوا به، وبلغوه للأمة كما سمعوا.

(**وَالرُّسْلِ أَجْمَعِهِمْ**): عاد بالصلاة والسلام على جميع المرسلين. ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٨١].

على الرسل أجمعين وعلى أتباع جميع المرسلين، (**وَالرُّسْلِ أَجْمَعِهِمْ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ**)؛ فبعد أن صلى على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصحبه وآله؛ صلى على جميع النبيين وأتباعهم؛ قال: (**وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ**).

(**مِنْ دُوْنِ أَنْ يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا**): أي: التابعون الذين لزموا الاتباع ولم يعدلوا عنه إلى البدع والضلالات، وما لم يُنزل الله به تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سلطانًا، ولم (**يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا**): أي: لم يغيروا ولم يبدلوا؛ قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٢٣].

(**أَزْكَى صَلاةٍ مَعَ التَّسْلِيْمِ دَائِمَةً**): جمع هنا بين الصلاة والتسليم.

(**أَزْكَى صَلاةٍ مَعَ التَّسْلِيْمِ دَائِمَةً ... مَا إِنْ لَهَا أَبَدًا حَدٌّ وَلاَ أَمَدُ**): أي: صلاةً وسلامًا دائمين مستمرين لا حد لهما ولا أمد.

ثم شرع في بيان المقصود قال: (**وَبَعْدُ ذِي فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ جَوهَرةٌ**): "ذي" الإشارة إلى هذه المنظومة.

(**فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ**): في عقائد الدين وأصوله الكبار.

(**جَوهَرةٌ فَرِيْدَةٌ**): وهذا اسم المنظومة.

(**بِسَنَا التَّوحِيْدِ تَتَّقِدُ**): أي: بضياء التوحيد ونوره.

(**تَتَّقِدُ**): أي: تضيء؛ فهي جوهرة فريدة مضيئة بالتوحيد والاعتقاد الحق المستمد من الكتاب والسنة.

(**بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلةٌ**): عُرى جمع عُروة، وهو الذي يُتمسك به؛ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٦].

(**بِشَرْحِ**)؛ أي: بيان و إيضاح. (**كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ**) أي: جميع أصول الدين العظام التي يجب الاستمساك بها، والمحافظة عليها ليستقيم للإنسان دينه، ولتُقبل منه طاعته وعبادته.

(**بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلةٌ ... وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْداؤهُ عَقَدُوا**): أي: أنه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- جمع في هذا النظم بين التأصيل والرد، ونحن نعلم أن ما ألَّفه أئمة السلف في الاعتقاد منه ما هو مؤلَّفٌ في تأصيل المعتقد وتقريره، ومنه ما هو مؤلَّفٌ في نقض ما يخالفه وإبطاله، ومنها ما يجمع بين الأمرين.

وهذا النظم جمع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- فيه بين الأمرين؛ بين التأصيل والرد؛ تأصيل المعتقد الحق -كما أشار إلى ذلك في الشطر الأول من البيت: (**بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلَةٌ**)-، والرد -كما أشار إلى ذلك في الشطر الثاني في قوله: (**وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْداؤهُ عَقَدُوا**)-.

(**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوازِمِهَا**): أي: لوازم هذه المنظومة؛ لأن ناظمها بشر، وعُرضة للخطأ، ولزلة القلم، ولهفوةٍ ونحو ذلك؛ فيقول: (**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوازِمِهَا**).

(**وَأَحْمَدُ اللهَ مِنْهُ الْعَوْنُ والرَّشَدُ**): أي: يُستمد العون والرشد، (**الْعَوْنُ**)؛ على تحقيق كل مطلب، (**والرَّشَدُ**)؛ بالهداية إلى سبيل الرشاد.

(**وَاللهَ أَسْأَلُ مِنْهُ رَحْمَةً وهُدىً**): أي: أسأله أن يرحمني، وأن يمن عليَّ بالهداية إلى صراطه المستقيم.

(**فَضْلًا**): أي: تفضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنعامه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة النور، من الآية:٢١].

(**وَمَا لِيَ إِلاَّ اللهُ مُسْتَنَدُ**): ليس لي إلا الله. أستند إليه أي: أرجع إليه وأفر إليه وأطلب العون منه، فلا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مقدمة في براءة المتبعين من جراءة المبدعين وافتراءات المبتدعين: قال:

إِنّـي بَـرَاءٌ مِـنَ الأَهْـوا وَمَـا وَلَـدَتْ ** وَوَالِدِيْها الحَيَارَى سَاءَ مَا وَلَدُوا
وَاللهِ لَسـتُ بِجَهْمِـيٍّ أَخَـا جَـدَلٍ ** يَقُـوْلُ فِي اللهِ قَـوْلًا غَيْـرَ مَـا يَـرِدُ
يُكَـــذِّبُونَ بِأَسْـــمَاءِ الإِلَـــهِ وَأَوْ ** صَافٍ لَهُ بَلْ لِذاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا
كَـلاّ وَلسْـتُ لِرَبِّـي مِـنْ مُشَـبِّهَةٍ ** إِذْ مَـنْ يُشَـبِّهُهُ مَعْبـوْدُهُ جَسَـدُ
وَلاَ بِمُعْتَزلـــيٍّ أَوْ أَخَـــا جَبَـــرٍ ** فِي السَّـيئاتِ عَلـى الأَقْـدَارِ يَنْتَقِـدُ
كَـلاّ وَلَسـتُ بِشـيْعِيٍّ أَخَـا دَغَـلٍ ** فِي قَلْبِهِ لِصِحَابِ الْمُصْطَفَى حُقَدُ
كَـلاّ وَلاَ نَاصِـبِيٍّ ضِـدَّ ذَلِـكَ بَـلْ ** حُـبُّ الصَّـحَابَةِ ثُـمَّ الآلِ نَعْتَقِـدُ
وَمَـا أَرِسْـطُو وَلاَ الطُّوْسِـيْ أئمَّتنَـا ** وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاذِبُ الفَنِدُ
وَلاَ ابـــنُ سِـــيْنَا وَفَارَابِيْـــهِ قُـــدْوَتَنَا ** وَلاَ الّـذِي لِفُصُـوصِ الشَّـرِّ يَسْـتَنِدُ
مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى ** كُـلَّ الْخَلائـقِ بِالْبَـارِي قَـدِ اتّحـدوا

مَعْبُـودُهُ كُـلُّ شَـيءٍ فِي الْوُجُـوْدِ بَـدَا ** الكَلْـبُ وَالقِـرْدُ وَالخِنْزِيْـرُ وَالأَسَـدُ

وَلاَ الطَّرَائـقُ وَالأَهْـوَاءُ وَالْبـدعُ الـ ** ضُّـلاَّلُ مِمَّـنْ عَلَـى الـوَحْيَيْنِ يَنْتَقِـدُ

وَلاَ نُحَكِّـمُ فِي الـنَّصِّ الْعُقُـوْلَ وَلاَ ** نَتَـائِجَ الْمَنْطِـقِ المَمحُـوْقِ نَعْتَمِـدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**مقدمة في براءة المتبعين**): أي: لدين الله وشرعه وهدي نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللازمين لنهج الاستقامة، والطريق القويم، وصراط الله المستقيم، المجانبين للأهواء والبدع والمُحدثات. (**براءتهم من جراءة المبدعين**): جمع مبدع وهو المحدث، وأصحاب البدع عندهم جرأة على الإحداث، والقول على الله بلا علم، والخوض في دينه بلا فهم.

(**من جراءة المبدعين وافتراءات المبتدعين**): (افراءاتهم)؛ أي: كذبهم على الله، وعلى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى شرعه ودينه؛ فأهل السنة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يتبرءون من ذلك، يتبرءون من هذه الجرأة ومن هذه الافتراءات.

ثم أعلن -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- هذه البراءة، وبدأها بهذا البيت الرائع في إعلان البراءة؛ وهو من أحسن وأجود ما نُظم في جمع باب البراءة من الباطل كله، ومن روائع نظم الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-؛ قال:

إِنِّـي بَـرَاءٌ مِـنَ الأَهْـوا وَمَـا وَلَـدَتْ ** وَوَالِدِيْهَا الحَيَارَى سَـاءَ مَـا وَلَـدُوا

هذه براءة عظيمة جامعة من البدع والأهواء، ومن أربابها، ومحدثيها ومنشئيها.

(**إِنِّي بَرَاءٌ مِنَ الأَهْوا وَمَا وَلَدَتْ**): (**الأَهْواء**)؛ أي: البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

(**وَمَا وَلَدَتْ**): لأن البدع كما قال أهل العلم قديمًا: تتوالد؛ فإذا أُحدثت بدعة ولَّدت بدعًا، ونشأ عنها بدع؛ فالبدع تتوالد، فالبدعة تولِّد بدعًا.

وطريقة التوالد في البدع تكون:

- إما ببدعٍ متفرعة عن هذه البدعة.
- أو تكون بدعًا نشأت للرد عن هذه البدعة.

فهاذان طريقان في التوالد للبدع عندما توجد البدعة، قد يتولد منها بدعٌ متفرعةٌ عنها، وقد تتسبب في تولد بدعٍ ترد على هذه البدعة، وهو ما يسمى: الرد على البدعة ببدعة، والرد على الباطل بباطل.

فالشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- يتبرأ من ذلك كله؛ يتبرأ من البدع، ويتبرأ من كل ما تولد عن البدع؛ سواءًا مما تولَّد عنها ليعبدها، أو تولد عنها لينقضها بالباطل.

(**وَوَالِدِيْهَا**): وهذا فيه البراءة من محدثي البدع، ومنشئيها ومخترعيها.

(**الحَيَارَى**): وهذه الصفة تجمعهم؛ فصاحب كل هوى وباطل في حيرة وفي أمرٍ مريج.

ثم ختم بقوله: (**سَاءَ مَا وَلَدُوا**): تقريعًا لهؤلاء، وتوبيخًا، وتشنيعًا لفعالهم؛ (**سَاءَ مَا وَلَدُوا**)؛ أي: ساء فِعالُ هؤلاء.

وفي القرآن عددٌ من الآيات تُختم بمثل هذا: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٣٦]، ونحو ذلك للتقريع والتوبيخ والتشنيع.

ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُقسمًا بالله العظيم: (**وَاللهِ لَستُ بِجَهْمِيٍّ أَخَا جَدَلٍ**): أي: لست في اعتقادي وديانتي بجهمي أي: على طريقة الجهمية أتباع الجهم بن صفوان القائم دينه على إنكار الصفات، وجحد الأسماء، وتعطيل نعوت الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**أَخَا جَدَلٍ**): أي: مجادلة بالأهواء والضلال والباطل.

(**يَقُوْلُ فِي اللهِ قَوْلًا غَيْرَ مَا يَرِدُ**): أي: هذه طريقته ومنهاجه: القول على الله بلا علم، يقول على الله ما لا يرد؛ وهذا أعظم التقدم وأشنع التقدم بين يدي الله ورسوله. (**يَقُوْلُ فِي اللهِ قَوْلًا غَيْرَ مَا يَرِدُ**)؛ أي: لم يرد، مع العلم أن باب القول في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بابٌ يُتوقف فيه على الوارد؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٣٦]، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٩]، ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة الحجرات، من الآية:١].

(**يُكَذِّبُونَ بِأَسْمَاءِ الإِلَهِ وَأَوْصَافٍ لَهُ**): هذا خلاصة معتقدهم: التكذيب بأسماء الإله وأوصافه، والجهمية مُعطلة للأسماء والصفات؛ يجحدون أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته؛ ولهذا يُنقل عن الجهم قوله في جحد أسماء الله: "لو أثبتُ تسعةً وتسعين اسمًا لأثبت تسعةً وتسعين إلهًا"؛ فيجحد أسماء الله كلها، ويجحد صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا يثبتها؛ هذه طريقة الجهمية.

وهذا الجحد للأسماء والصفات لازمُه جحد الذات، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا وجود له كما قيل: والمعطِّل يعبد عدمًا.

ولهذا قال الناظم: (**بَلْ لِذاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا**)؛ لأن من ينفي الصفات ويعطلها؛ لازمُ ذلك تعطيل وجحد وجود الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما مثَّل لذلك بعض السلف بمثال -وهو حماد بن زيد أو حماد بن سلمة-؛ قال: مثلُ

الجهمية مثلُ رجل قال: في دارنا نخلة، قيل له: ألها سعف؟ قال: لا، قيل له: لها خوص؟ قال: لا، قيل: لها قنو؟ قال: لا، قيل له: لها جذع؟ قال: لا، قيل له: ألها عروق...؛ فكلما ذكروا من صفات النخلة قال: لا؛ قالوا له: ما في داركم نخلة! لأن تعطيل الصفات تعطيل لوجود الموصوف بالصفات؛ فهذا مثل للجهمية؛ قالوا: إن لنا ربًا؛ قيل: صفوه؛ فكانت صفاتهم له كلها وصف بالعدم ـ لا فوق ولا تحت ولا ولا إلخ...؛ كلها نفي، قيل لهم: ليس لكم رب، أنتم تعبدون العدم؛ بل إن أبلغ أوصاف العدم هي الصفات التي جعلها الجهمية للرب؛ ولهذا قيل: والمعطل يعبد عدمًا.

(**كَلاَّ وَلسْتُ لِرَبِّي مِنْ مُشَبِّهَةٍ**): هنا يتبرأ من طريقة المشبهة، والمشبه هو الذي يقول: يد الله كأيدينا، وسمعه كسمعنا، وبصره كبصرنا..؛ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والتشبيه كفرٌ بالله، والمشبه كافرٌ بالله العظيم، والله تعالى يقول: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [سورة مريم، من الآية:٦٥]؛ استفهام بمعنى النفي أي: لا سميَ له، ويقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، ويقول: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٧٤]، ويقول: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [سورة الإخلاص، من الآية:٤].

فيتبرأ هنا من مقالة المشبهة وهي: إثبات الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على وجهٍ مقيد بوصف المخلوق؛ كقولهم: يدٌ كأيدينا، وسمعٌ كسمعنا، وبصرٌ كبصرنا..، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قال: (**إِذْ مَنْ يُشَبِّهُهُ مَعْبُوْدُهُ جَسَدُ**): الذي يقول مقالة التشبيه في الحقيقة يعبد صنم من الأصنام؛ كما قال مَن قال مِن السلف-وهو نعيم بن حماد- قال: والمشبه يعبد صنمًا؛ لأن الذي يقول عن ربه ومعبوده: إن سمعه كسمعه، وبصره كبصره، ويده كيده، وقدمه كقدمه إلخ...؛ من يقول عن معبوده ذلك فهو في الحقيقة لا يعبد الله؛ لأن هذه ليست صفة الله، وإنما يعبد صنمًا من الأصنام ووثنًا من الأوثان، هذه ليست صفات لله.

ولهذا قال السلف: والمشبه يعبد صنما، أي: لا يعبد الله؛ لأن هذه ليست صفات الله؛ عندما يقول: يده كأيدينا، سمعه كسمعنا، بصره كبصرنا؛ هذه ليست صفات الله، الله جَلَّ وَعَلَا شأنه كما قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، كما قال: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [سورة مريم، من الآية:٦٥]، فهذه ليست صفات الله؛ فمن قال عن معبوده إن صفاته هي هذه يده كيده سمعه كسمعه؛ فهذا ليس يعبد الله وإنا يعبد صنما من الأصنام.

فهذا معنى قول الناظم: (**إِذْ مَنْ يُشَبِّهُهُ مَعْبُوْدُهُ جَسَدُ**): أي: معبوده صنم من الأصنام ووثن من الأوثان.

(**كَلاَّ وَلَستُ بِشِيْعِيٍّ أَخَا دَغَلٍ**): والدغل: هو ما ينطوي عليه القلب من فساد.

(**وَلاَ بِمُعْتَزلِيٍّ أَوْ أَخَا جَبَرٍ**): هنا يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مقالتين متضادتين في باب القدر:

المقالة الأولى: مقالة المعتزلة وهي نفي القدر، والقول بأن الأمر أُنُف، وأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما هي مخلوقة للعباد أنفسهم؛ ولهذا سُمُوا بمجوس هذه الأمة.

(**وَلاَ بِمُعْتَزلِيٍّ أَوْ أَخَا جَبَرٍ**): أي: صاحب الجبر، وهنا يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مقالة الجبرية وهم الجهمية، ومقالتهم في باب القدر القول بأن العبد مجبور على فعل نفسه، ونفي المشيئة عن العبد، واعتقاد أن العبد مسلوب المشيئة، لا مشيئة له ولا اختيار، وهو عندهم كالورقة في مهب الريح.

ففي باب القدر هناك مقالتان متضادتان: مقالة القدرية النفاة وهم المعتزلة، ومقالة القدرية المجبرة وهم الجهمية؛ القدرية النفاة وهم من أشار إليهم بقوله: (**وَلاَ بِمُعْتَزلِيٍّ**)؛ يقولون بنفي القدر، لا قدر، والعبد هو الذي يخلق فعل نفسه لا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدَّره عليه.

والجبرية يجعلون العبد لا مشيئة له وأنه كالورقة في مهب الريح مسلوب المشيئة والإرادة والاختيار.

(**وَلاَ بِمُعْتَزلِيٍّ أَوْ أَخَا جَبَرٍ ... فِي السَّيئاتِ عَلى الأَقْدَارِ يَنْتَقِدُ**): يعني عندما يقع في السيئات والمعاصي ويُلام على ذلك ينتقد القدر؛ يقال له: لِمَ عصيت، لِمَ زنيت، لِمَ قتلت، لِمَ كذا..؛ ينتقد القدر، لا ينتقد نفسه، وإنما ينتقد القدر، ويلقي باللائمة على القدر؛ فهذه طريقته كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِي السَّيئاتِ عَلى الأَقْدَارِ يَنْتَقِدُ**).

وأهل السنة قولهم في هذا الباب: أن القدر لا يجوز أن يُحتج به على السيئات والمعائب، ويجوز أن يحتج به في المصائب؛ عندما يصاب الإنسان بمصيبة لم يسعى في طلبها، ابتليَ بها؛ فيقول: قدر الله وما شاء فعل؛ هذا حق. أما إنسان يترك الصلاة أو يباشر المعاصي ويقع في الآثام باختياره غير مكره، ويلام في ذلك فينتقد القدر ويلقي باللائمة على القدر؛ فهذا باطل وإفك؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل في الإنسان مشيئة يختار بها طريق الخير وطريق الشر.

ومن دلائل فساد معتقد هؤلاء الذين ينتقدون القدر في السيئات: أنهم لا يطردون مذهبهم في هذا الباب كله؛ لأنه مثلًا لو أن واحد من هؤلاء أُعتديَ على ماله، وقال المعتدي على ماله: هذا قضاء وقدر، أو اعتدى على شخصه بلطم أو ضرب أو نحوه، وقال: قضاء وقدر؛ فهل يُسلِّم الجهمي ويقبل؟ فمن دلائل فساد هذا المعتقد عدمُ طرد أصحابه له في جميع الباب.

قال: (**كَلاَّ وَلَستُ بِشيْعيٍّ أَخَا دَغَلٍ**): والدغل هو ما ينطوي عليه القلب من فساد وانحراف، وهذا إشارة إلى امتلاء قلوب هؤلاء بالغل والحقد على المؤمنين وبخاصة خيار أصحاب النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل

تنطوي قلوبهم نحو الصحابة في أمورٍ يقصر عنها ما في قلوبهم نحو إبليس اللعين، وفي كتبهم من الطعن والوقيعة في الصحابة ولا سيما أبي بكر الصديق وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، والتشنيع عليهما، كلامًا لا يقولونه حتى في إبليس، بل قالوا في كتبهم إن منزلة أبي بكر وعمر في النار تحت منزلة إبليس نصوا على ذلك؛ فقلوبهم مليئة بالدغل؛ بالحقد والضغائن والسخائم والأمراض والأهواء.

(**كَلاَّ وَلَستُ بِشِيْعِيٍّ أَخَا دَغَلٍ ... فِي قَلْبِهِ لِصِحَابِ الْمُصْطَفَى حَقَدُ**): هذا معنى الدغل الذي في قلوب هؤلاء: أن قلوبهم منطوية على فساد عريض وهو الحقد على أصحاب المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال في القاموس: حَقَدَ عليه حِقْدًا وحَقْدًا وحَقَدًا. كلها مصادر صحيحة، والذي يتناسب مع الوزن هنا: حَقَد.

(**كَلاَّ وَلاَ نَاصِبِيٍّ ضِدَّ ذَلِكَ**): أي: ضد عقيدة الشيعة في الصحابة، والناصبة بدعة مضادة لبدعة الشيعة وعلى النقيض؛ يعني الشيعة غلاتُهم يُؤلِّهون علي، والناصبة يكفرون علي على الضد تمامًا؛ فهؤلاء يغلون فيه وهؤلاء يجفون.

(**كَلاَّ وَلاَ نَاصِبِيٍّ ضِدَّ ذَلِكَ بَلْ ... حُبُّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الآلِ نَعْتَقِدُ**): وهذه عقيدتنا: عقيدتنا أنَّا نحب الصحابة ونحب الآل، لكن ماذا يعتقد الشيعة والناصبة في الصحابة والآل؟ الشيعة جملةً يطعنون في الصحابة ويغلون في الآل، وأولئك على نقيضهم -يطعنون في الآل ويغلون في الصحابة- وليس في كل الصحابة بل أيضًا يطعنون في بعض الصحابة من غير آل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ثم انتقل إلى ذم مقالات الفلاسفة وغلاة المتصوفة؛ فقال:

(**وَمَا أَرِسْطُو وَلاَ الطُّوْسِيْ أَئِمَّتَنَا**): "أرسطو" هذا زعيم من زعماء الفلسفة، ومن كبار الفلاسفة؛ فيقول الناظم: ليس أرسطو إمامًا لنا؛ لأن أرسطو إمام للباطل ولأهل الباطل، وأما أهل السنة فإمامهم كتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(**وَلاَ الطُّوْسِيْ**): المعروف بنصير الدين الذي دخل من طريقه على أمة الإسلام شرٌّ عظيم؛ فكان بذلك نصيرًا ليس للدين، وإنما نصيرًا للشرك والكفر برب العالمين؛ هذه حقيقة الرجل وحاله.

قال: (**وَمَا أَرِسْطُو وَلاَ الطُّوْسِيْ أَئِمَّتَنَا ... وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاذِبُ الفَنِدُ**): وابن سبعين من غلاة المتصوفة المبطلين، وله مقالات كلها إفكٌ وكذب مبين، ونُقلت عنه مقالات كفرية شنيعة منها قوله -كما نُقل في

ترجمته- أنه قال منتقدًا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ قال كلامًا معناه: ما أحسن ابن آمنة عندما قال: لا نبي بعدي، أو قال: ما صدق ابن آمنة، أو كلامًا نحو هذا!! وله كلامٌ كُفر صراح.

قال: (**وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاذِبُ الفَنِدُ**): فوصفه بالكاذب؛ لأن له مقالات فيها افتراء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى رسوله -صلوات الله وسلامه عليه-.

(**وَلاَ ابنُ سِيْنَا وَفَارَابِيْهِ قُدْوَتَنَا**): ابن سينا معروف، وفارابيه أبو نصر الفرابي وهؤلاء من أئمة الفلاسفة.

(**وَلاَ الّذِي لِفصُوصِ الشَّرِّ يَسْتَنِدُ**): يقصد ابن عربي: محي الدين بن عربي.

وقوله: (**فصُوصِ الشَّرِّ**): يقصد كتابه الذي سماه: [**فصوص الحكم**]؛ نعته المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بـ [فصوص الشر].

(**مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى ... كُلَّ الْخَلائقِ بِالْبَارِي قَدِ اتّحدوا**): يذكر هنا عقيدة ابن عربي: وهي أن الله -تعالى عما يقول- اتحد في الخلائق، وأصبح -سبحانه وتنزه وتقدس عما يقول علوًا عظيمًا؛ أصبح هو والخلق شيئٌ واحد، الرب عبدٌ والعبد ربٌّ لا فرق بينهما.. فجعل الخالق المنزه هو عين المخلوق. ولا فرق بينهما..

(**مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى**): أي: يعتقد.

(**كُلَّ الْخَلائقِ بِالْبَارِي قَدِ اتّحدوا**): معبوده كل شيء. الذي يقول إن الخلائق بالباري قد اتحدوا، وأصبح المخلوق والخالق شيئًا واحدًا؛ يصبح معبوده كل شيء، على زعم هؤلاء أن الخلائق اتحدوا في الباري وأصبحوا هم والباري شيئًا واحد. يصبح الحال إذًا أن معبود هؤلاء كل شيء.

(**مَعْبُودُهُ كُلُّ شَيءٍ فِي الْوُجُوْدِ بَدَا ... الكَلْبُ وَالقِرْدُ وَالخِنْزِيْرُ وَالأَسَدُ**): لأن هذه كلها أيضًا بزعمه هي متحدة في الله، والذي يعبدها إنما يعبد الله؛ لأنه لا فرق؛ ولهذا بلغت الشناعة بهؤلاء إلى التصريح حتى بهذا؛ ليس فقط أن هذا إلزام لهم، لا، حتى التصريح، يعني: أحد غلاة هؤلاء مرَّ مع رفقةٌ له فمر بكلب ميت؛ فحمله رفيقه وقال: وهل هذا هو؟ قال: وهل ثَمَّ غيرُه؟! يعني ما يوجد في الكون غير الله، كل ما في هذا الكون هو الله؛ إذًا معبوده كل شيء -الكلب والخنزير والأسد وجميعًا-؛ وهذا كله كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لما ذكر هذه النماذج والأمثلة من الفرق والنِّحَل والمذاهب الفاسدة؛ قال: (**وَلاَ الطَّرَائقُ وَالأَهْوَاءُ وَالْبدعُ ... الضُّلَّالُ مِمَّنْ عَلَى الوَحْيَيْنِ يَنْتَقِدُ**): أي: أبرأ من ذلك كله؛ من كل طريقةٍ وبدعةٍ وهوىً يُعارض الوحيين، وينتقد كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**وَلاَ نُحَكِّمُ فِي النَّصِّ الْعُقُوْلَ وَلاَ ... نَتَائِجَ الْمَنْطِقِ الْمَمْحُوْقِ**): لا نحكم العقول ولا نتائج المنطق، بل الوحي هو الحاكم، والعقل محكوم، والوحي إمام، والعقل تابع. (**وَلاَ نُحَكِّمُ فِي النَّصِّ الْعُقُوْلَ**)؛ يعني: لا نجعل العقول حاكمةً على النص؛ أي: ما قبلته العقول قُبِل وما ردته رُدَّ؛ هذا باطل.

ولا أيضًا (**نَتَائِجَ الْمَنْطِقِ الْمَمْحُوْقِ**): المنطق هو ما جاء به الفلاسفة؛ فلا نجعل كلام الفلاسفة حاكمًا على وحي الله المبين، وهدي نبيه الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(**الْمَمْحُوْقِ**): أي: الذي لا خير فيه، ممحوق الخير والنفع والفائدة.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَكِنْ لَنَا نَصُّ آيَاتِ الْكِتَابِ وَمَا ** عَنِ الرَّسُوْلِ رَوَى الأَثْبَاتُ مُعْتَمَدُ
لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللَّذَيْنِ لَهَا ** أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا
وَالأَرْبَعُ السُّنَنُ الغُرُّ التي اشْتَهَرَتْ ** كُلٌّ إِلَى المُصْطَفَى يَعْلُو لَهُ سَنَدُ
كَذَا الْمُوَطَّا مَعَ المُسْتَخْرَجَاتِ لَنَا ** كَذَا المَسَانِيْدُ لِلْمُحْتَجِّ مُسْتَنَدُ
مُسْتَمْسِكِيْنَ بِهَا مُسْتَسْلِمِيْنَ لَهَا ** عَنْهَا نَذُبُّ الْهَوَى إِنَّا لَهَا عَضُدُ
وَلاَ نُصَيِّخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوْهُ بِمَا ** يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أَوْ إِيَّاهُ يَعْتَقِدُ
يَرَى الطَّبِيعَةَ فِي الأَشْيَا مُؤَثِّرَةً ** أَينَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟
وَمَا مَجَلاَّتُهُمْ وِرْدِي وَلاَ صَدَرِي ** وَمَا لِمُعْتَنِقِيْهَا فِي الفَلاَحِ يَدُ
إِذْ يُدْخِلُوْنَ بِهَا عَادَاتِهِمْ وَسَجَا ** يَاهُمْ وحكمَ طَوَاغِيْتٍ لَهُمْ طُرِدُوا
مُحَسِّنِيْنَ لَهَا كيما تَرُوْجَ عَلَى ** عُمْيِ الْبَصَائِرِ مِمَّن فَاتَهُ الرَّشَدُ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَدْ أَضْحَى زَنَادِقَةٌ ** كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا
يَرَوْنَ أَنْ تَبْرُزَ الأُنْثَى بِزِيْنَتِهَا ** وَبَيْعَهَا الْبُضْعَ تَأْجِيْلًا وَتَنْتَقِدُ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالإِفْرَنْجِ قَدْ شُغِفُوْا ** بِهِمْ تَزَيَّوا وَفِي زَيِّ التُّقَى زَهِدُوا
وَبِالْعَوَائِدِ مِنْهُمْ كُلِّهَا اتَّصَفُوا ** وَفِطْرَةَ اللهِ تَغْيِيرًا لَهَا اعْتَمَدُوا
عَلَى صَحَائِفِهِمْ يَا صَاحِ قَدْ عَكَفُوا ** وَلَوْ تَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ مَا سَجَدُوا
وَعَنْ تَدَبُّرِ حُكْمِ الشَّرعِ قَدْ صُرِفُوا ** وَفِي الْمَجَلاَّتِ كُلَّ الذَّوْقِ قَدْ وَجَدُوا

وَللشَّـوَارِبِ أَعْفُـوا واللِّحَـى نَتَفُـوا ** تَشَـبُّهًا وَمَجَـارَاةً وَمَـا اتَّـأَدُوا

قـالوا رُقِيًّـا فَقُلْنَـا لِلْحَضِـيْضِ نَعَـمْ ** تُفْضُـوْنَ مِنْـهُ إِلَـى سِـجِّيْنَ مُؤْتَصَـدُ

ثَقَافَـةٌ مِـنْ سَـمَاجٍ سَـاءَ مَـا أَلِفُـوا ** حَضَـارَةٌ مِـنْ مُـرُوْجٍ هُـمْ لَهَـا عَمَـدُوا

عَصْـرِيَّةٌ عَصَـرَتْ خُبثًـا فَحَاصِـلُهَا ** سُـمٌّ نَقِيْـعٌ وَيَـا أَغْمَـارُ فـازْدَرِدُوا

مَـوْتٌ وَسَـمُّوْهُ تَجْدِيْـدَ الْحَيَـاةِ فَيَـا ** لَيْتَ الدُعَاةَ لَهَا فِي الرَّمْسِ قَدْ لُحِدُوا

دُعَـاةُ سُـوْءٍ إِلَـى السَّـوْأَى تَشَـابَهَتِ الْـ ** قُلُوْبُ مِنْهُمْ وفِي الإِضْـلاَلِ قَـدْ جَهِـدُوا

مَـا بَـيْنَ مُسْـتَعْلِنٍ مِـنْهُمْ وَمُسْـتَتِرٍ ** وَمُسْـتَبِدٍّ وَمَـنْ بِـالْغَيْرِ مُحْتَشِـدُ

لَهُـمْ إِلَـى دَرَكَـاتِ الشَّـرِّ أَهْوِيَـةٌ ** لَكِـنْ إِلَـى دَرَجَـاتِ الخَيْـرِ مَـا صَـعَدُوا

وَفِي الضَّـلاَلاَتِ والأَهْـوَا لَهُـمْ شُـبَهٌ ** وَعَـنْ سَـبِيْلِ الْهُـدَى والحَـقِّ قَـدْ بَلِـدُوا

صُـمٌّ وَلَـوْ سَـمِعُوْا بُكْـمٌ وَلَـوْ نَطَقُـوا ** عُمْـيٌ وَلَـوْ نَظَـرُوا بُهْـتٌ بِمَـا شَـهِدُوا

عَمُـوا عَـنْ الحـقِّ صُـمُّوا عَـنْ تـدَبُّرِهِ ** عَـنْ قَوْلِـهِ خَرِسُـوْا فِي غَـيِّهِم سَـمَدُوا

كَـأَنَّهُمْ إِذْ تَـرَى خُشْـبٌ مُسَـنَّدَةٌ ** وَتَحْسَـبُ الْقَـوْمَ أيقَاظًـا وَقَـدْ رَقَـدُوا

بَاعُوا بِهَا الدِّيْنَ طَوْعًا عَنْ تَرَاضٍ وَمَا ** بَـالَوا بِـذَا حَيْـثُ عِنْـدا اللهِ قَـدْ كَسَـدُوا

يَـا غُرْبَـةَ الـدِّيْنِ والمُسْتَمْسِـكِيْنَ بِـهِ ** كَقَـابِضِ الْجَمْـرِ صَـبْرًا وَهْـوَ يَتَّقِـدُ

المُقْبِلِـيْنَ عَلَيْـهِ عِنْـدَ غُرْبَتِـهِ ** وَالمُصْـلِحِيْنَ إِذا مَـا غَيْـرُهُمْ فَسَـدُوا

إِنْ أَعْـرَضَ النَّـاسُ عَـنْ تِبْيَانِـهِ نَطَقُـوا ** بِـهِ وَإِنْ أَحْجَمُـوا عَـنْ نَصْـرِهِ نَهِـدُوا

هَـذَا وَقَـدْ آنَ نَظْـمُ الْعِقْـدِ مُعْتَصِـمًا ** بِـاللهِ حَسْـبِي عَلَيْـهِ جـلَّ أَعْتَمِـدُ

الشرح:

ثم أخذ يبين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- ما يستند إليه أهل الحق، وما يعتمدون عليه في تقرير المعتقد وعموم أمور الدين؛ قال: (**لَكِنْ لَنَا**): أي: معاشر أهل السنة والحق.

(**لَنَا**): أي: معتمدًا ومرجعًا.

(**نَصُّ آياتِ الْكِتَابِ وَمَا ... عَنِ الرَّسُوْلِ رَوَى الأَثْبَاتُ مُعْتَمَدُ**): أي: معتمدنا في ديننا كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضِلُّوا؛ كتاب الله وسُنَّتي**».

فمعتمد أهل السنة في أمور الدين -العقيدة وغيرها- على كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**وَمَا عَنِ الرَّسُوْلِ رَوَى الأَثْبَاتُ**): أخذ يُفصِّل في هذه الجملة؛ فيُبين مضان رواية الأثبات عن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والمراجع التي يُرجع إليها في معرفة ما رواه الأثبات عن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال: (**لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ**): وبدأ بهما لأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم -عليهما رحمة الله-.

(**لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللَّذَيْنِ لَهَا ... أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا**): أي: قد شهد للصحيحين بذلك -أي: بالصحة-. (**أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ**)؛ أهل الخلف؛ يعني الموافق والمخالف شهد لها بذلك. قال: (**لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللَّذَيْنِ لَهَا ... أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا**)؛ يعني: شهدوا لها بالصحة والفضل والمكانة (**أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ**)؛ أي الموافق والمخالف.

(**وَالأَرْبَعُ السُّنَنُ**): أي: سنن الترمذي وابن ماجه وأبو داود والنسائي.

(**وَالأَرْبَعُ السُّنَنُ الغُرُّ التي اشْتَهَرَتْ**): أي: اشتهرت بين الناس وبين أهل العلم وطلابه.

(**كُلٌّ إِلَى المُصْطَفَى يَعْلو لَهُ سَنَدُ**): كلٌ من أصحاب هذه الكتب يعلو له السند إلى المصطفى، تجده من أول الكتاب إلى آخره يسوق الأسانيد؛ بابٌ حدَّثنا فلان عن فلان عن فلان قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ينتقل إلى إسناد آخر.. إلى أن ينتهي من الكتاب، وإسناده يعلو إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهذه خصيصة الأمة وميزتها. تجد الإسناد متصل بين المصنف وبين الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالرجال الأثبات الثقات، حدثنا فلان وهو ثقة، حدثنا فلان وهو ثقة.. إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيأخذ الحديث بإسناده الصحيح الثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيعتمده ويدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما دل عليه هذا الحديث.

فهذه طريقة أهل السنة والجماعة؛ يعتمدون على الكتاب وعلى ما رواه الأثبات عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين والسنن الأربعة.

(**كَذَا الْمُوَطَّا**): للإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-.

(**مَعَ المُسْتَخْرَجَاتِ**): أي: الكتب سواءً على الصحيحين، أو على السنن، أو على بعضها.

والمستخرج كتابٌ يسوق فيه المستخرج أحاديث الكتاب الذي يستخرج عليه بإسناده هو، يسوق الأحاديث بإسناده هو من غير طريق المصنف؛ فيكون بمثابة المستخرج على الكتاب؛ ولهذا يوجد مستخرج على البخاري، وعلى مسلم، وعلى بعض السنن.

(**كَذَا المَسَانِيْدُ**): أي: الكتب التي صنفها الأئمة على مسانيد الرجال، مسانيد الصحابة كمسند الإمام أحمد وغيره.

(**كَذَا المَسَانِيْدُ لِلْمُحْتَجِّ مُسْتَنَدُ**): أي: يستند إليه المحتج؛ فمن أراد أن يحتج يقول: روى فلان في مستخرجه، روى فلان في مسنده، روى فلان في سننه.. إلى آخره؛ فيستند إليها عندما يُريد الاحتجاج.

قال: (**مُسْتَمْسِكِيْنَ بِهَا مُسْتَسْلِمِيْنَ لَهَا ... عَنْهَا نَذُبُّ الْهَوَى إِنّا لَهَا عَضُدُ**): هذه مصادرنا، وهذه التي نعول عليها، وهذا الذي نتمسك به. وإنا عنها نذب.

(**وَلاَ نُصِيْخُ لِعَصْرِيٍّ**): أي: لا نستمع.

(**يَفُوْهُ بِمَا يُنَاقِضُ الشَّرْعَ**): أما العصري أي العالم المعاصر الذي يبني علمه على الكتاب والسنة؛ نجلس عنده ونستمع إليه ونستفيد منه. لكن العصري الذي يفوه -أي يتكلم- بما يناقض الشرع.

(**أَوْ أياهُ يَعْتَقِدُ**): أي: يناقض الشرع ويناقض دين الله؛ فهذا ما نستمع إليه ولا نصغي إليه.

ثم ذكر من شنائع مقالات العصري الذي يناقض الشرع في أعظم مناقضته له؛ قال: (**يَرَى الطَّبِيعَةَ فِي الأَشْيَا مُؤَثِّرَةً**): أي: هي المتصرفة في الأشياء، وهي المدبرة للأشياء؛ ثم يقول في الرد: (**أَينَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟**): يعني إذا كنت تقول: أن الطبيعة مؤثرة في الأشياء! أين هذه الطبيعة إذ وُجدوا إذا كانت هي مؤثرة، فوجودها ووجود غيرها من الأشياء المؤثرة بتأثير من؟ لأنه يُنكر وجود الله وينكر تصرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتدبيره، ويقول: هذه بتصريف الطبيعة؛ (**أَينَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟**)؛ يعني: هل الأشياء الذي تزعم أنها مؤثرة في الأشياء عندما وُجدت هذه الأشياء المؤثرة أين الطبيعة؟!! أين الطبيعة المؤثرة قبل وجود هذه الأشياء التي تزعم أنها هي المؤثرة؟!!

فهذا بيان لفساد عقيدة هؤلاء. (**أَينَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟**).

(**وَمَا مَجَلاَّتُهُمْ وِرْدِي وَلاَ صَدَرِي**): يعني لهم مجلاتهم ينشرون فيها باطلهم؛ يقول: لا أنظر إليها ولا ألتفت إليها، ليست وردي ولا صدري، لا أرد لا أجعلها موردًا لي، ولا أصدر أيضًا عنها وعمَّا فيها.

(**وَمَا لِمُعْتَنِقِيْهَا فِي الفَلاَحِ يَدُ**): لمن يعتنق ما في مجلاتهم ومقالاتهم ليس له في الفلاح يد؛ أي: لا يُفلح من كان كذلك.

(**إِذْ يُدْخِلُوْنَ بِهَا**): يعني محتويات هذه المجلات. (**يُدْخِلُوْنَ بِهَا عَادَاتِهِمْ وَسَجَايَاهُمْ**)؛ هذا الذي يذكرونه؛ عادات وسجايا ويجعلونها هي الـمُحتكَم، وعليها الـمُعَوَّل.

(**وحكمَ طَوَاغِيْتٍ لَهُمْ طُرِدُوا**): أي: وصفُهم وشأنُهم الطرد والإبعاد، الطاغوت مطرود ومُبعد، (**وحكمَ طَوَاغِيْتٍ لَهُمْ طُرِدُوا**)؛ الطاغوت هو المطرود المُبعد من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فـ (**طُرِدُوا**)؛ أي: عن الرحمة.

(**مُحَسِّنِيْنَ لَهَا**): أي: لمجلاتهم ومقالاتهم، من أجل ماذا؟

قال: (**كيما تَرُوْجُ**): حتى تنتشر؛ يحسنونها؛ أي: ينمقونها ويزينونها ويشيدون بها، (**كيما تَرُوْجُ عَلَى عُمْي الْبَصَائِرِ**): أي: كي تروج على أعمي البصيرة الذي يغتر بزخرف القول وتزيين الباطل.

(**مِمَّن فَاتَهُ الرَّشَدُ**): أي: سبيل الرشاد، فلا تنطلي تلك المجلات إلا على أعمى بصيرة. (**فَاتَهُ الرَّشَدُ**)؛ أي: سبيل الرشاد.

(**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَدْ أَضْحَى زَنَادِقَةٌ**): يعني من أجل هذا الترويج وهذا العمل الدؤوب في تلك المجلات والنشر لها؛ (**أَضْحَى زَنَادِقَةٌ**): أي: يوجد زنادقة بسبب هذه الدعوة الظالمة الآثمة.

قال ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وقت كانت تُنشر فيه مجلات على نطاق ضيق مقارنة بالواقع الآن، أما الآن الزندقة تُنشر على أوسع نطاق، الزندقة في زماننا هذا تُنشر على أوسع نطاقٍ عُرف في التاريخ، الآن وُجدت وسائل اتصال حديثة ساهمت مساهمة شديدة جدًا في نشر الزندقة والباطل والأهواء، وقد كان صاحب الباطل لا يستطيع أن يصل إلى أفكار الشباب في بيوت المسلمين وديارهم، وبينهم وبينه حواجز حتى يصل إلى فكر الشاب أو عقله، أين يصل صاحب الزندقة وصاحب الضلال إلى الشاب في قريته؟ وفي قعر بيته، والبنت في قعر بيتها؟ الآن عن طريق القنوات الفضائية وعن طريق الشبكات العنكبوتية دخلت هذه كلها في جل البيوت إلا من رحم الله، مع قلة العلم وضعف الدين، ويجلس الشاب أو الشابة أمام هذه القنوات وأمام هذه المواقع، ويبدأ بفضول ينظر ماذا عندهم، ومع الأيام تتخلخل المعتقدات، وتخرب الأديان، وتنحل الأخلاق، ويشيع الفساد، وتمتلئ القلوب بالشهوات والشبهات.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف حال مجلات يعني على نطاق ضيق تُنشر في أوساط الناس، ويقول: يعني أنها تسببت في وجود زندقة.

(**أَضْحَى زَنَادِقَةٌ كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا**): يقصدون سبيل الغي، والغي ضد الرشاد؛ بسبب تلك المجلات. هذا قاله في ذاك الوقت.

لكن لو جاء في وقتنا هذا ماذا يقول الشيخ؟!

لو رأى زماننا هذا ماذا يقول -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-؟! نسأل الله أن يرحمنا برحمته، وأن يحفظنا وذرياتنا، وأن يُعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يقبضنا إليه غير مفتونين، اللهم إنا نعوذ بك أن نَضل أو نُضل.

قال: (**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَدْ أَضْحَى زَنَادِقَةٌ ... كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا**)؛ وهذه من آثار الدعوة ونتائجها، دعوة أهل الباطل أنها تفرز في الناس زهدًا في الحق، وإقبالًا على الباطل، وقصدًا له وطلبًا له وسعيًا لفعله.

(**كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا**): تجد آثار أو نتائج المتأثرين بدعوة هؤلاء الزنادقة؛ أنه زهد في الخير، لا يقبل على الخير ولا يُقبل عليه، وتجد نفسه متطلعة دائمًا في البحث عن الباطل والشهوات والرذائل والخسائس والحقارات؛ هذا الذي يبحث عنه ويطلبه.

يذكر الآن من الأشياء التي يدعون إليها:

(**يَرَوْنَ أَنْ تَبْرُزَ الأُنْثَى بِزِيْنَتِهَا**): وهذه أكبرُ هم عندهم، وأعظم أمر يسعون في الدعوة إليه وتحقيقه: أن تبرز الأُنثى بزينتها، ويتحدثون بلهجة المشفق على الأنثى، والباحث عن حقوقها، والساعي في مطالبها، ورفع الظلم والاضطهاد عنها، والأنثى مظلومة وهكذا... إلى آخره، والمقصود: أن تبرز الأنثى بزينتها. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، من الآية:٢٧].

(**وَبَيْعَهَا الْبُضْعَ**): أي: الفرج؛ والمقصود أنها تقع في الفاحشة والرذيلة؛ يريدون ذلك منها. (**وَبَيْعَهَا الْبُضْعَ تَأْجِيْلًا وَتَنْتَقِدُ**): يعني: تأخذ المقابل على بيعها البُضع.

(**تَأْجِيْلًا**): يعني: الثمن مؤجل. (**وَتَنْتَقِدُ**): الثمن حالي؛ هذا يُريدونه من الأنثى، يريديون أن تخرج بزينتها؛ هذه خطوة أولى، وإذا خطت هذه الخطوة جاءت الخطوة الثانية وهي أن تبيع البضع تأجيلًا وتنتقد.

(**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ**): من أجل تحقيق هذا الأمر.

(**بِالإِفْرَنْجِ قَدْ شُغِفُوْا**): يعني: شُغفت قلوبهم بالإفرنج، وأصبحوا ينظرون إلى ما يسمونه بحضارات هؤلاء، وهي حقارات وخسائس ورذالات أولئك، فأصبحوا يقتدون بهم، وأهم ما يُطلب من الأنثى ما يسمونه: بمتابعة الإفرنج في ما يسمى بالحضارات -وهو حقارات- في قص الشعر، في اللباس، في المظهر.. إلى آخره، ولا تزال تجري الأنثى وراء ذلك، وكل شهر شهرين ثلاثة..؛ يأتون لها الإفرنج بأشياء جديدة، والتي ما تتابع ذلك ولا تسعى في متابعته هذه، ماذا؟ متخلفة وهذه رجعية وهذه كذا؛ فيدفعونها بمثل هذه الألقاب، ويستغلون ضعف الأنثى إلى أن تخرج بزينتها.

(**بِهِمْ تَزَيَّوا**): يعني بالإفرنجي تزيوا؛ أخذوا يلبسون لباس الإفرنج، رجالًا وإناثًا، ويتشبهون بهم في ألبستهم.

(**وَفِي زَيِّ التُّقى زَهِدُوا**): وسبحان الله! من عجائب الأمر أن هؤلاء الذي يأتي من الإفرنج بسبب أنهم شغفت قلوبهم بهم يقبلونه أيًّا كان، والذي يأتي في السنة لا يقبلونه.

الآن أجد مثالًا على ذلك وذكرته مرةً أو غير مرة: قبل سنوات كان بعض الشباب غير المتدين يستهزئ بمن ثوبه إلى نصف الساق، وإذا مر به سخر منه واستهزأ به، ثم يوم من الأيام أصبحت الموضة في بلاد الغرب أن البنطال إلى الركبة، وخرجوا للشوارع ببناطيل إلى الركب، ثم زاد الغرب وجعلوا البنطال إلى الركبة ومقصص من أسفله قصات شنيعة قبيحة مُتلفة للباس؛ ففعلوا مثله.. فخرجوا بالبنطال إلى الركبة ومقصص بشكل شنيع ويمشي في الشارع وهو قبل فترة كان يسخر من المتدين الذي ثوبه إلى أنصاف ساقه؛ هذا ماذا يُفسر؟ إلا عمى القلوب والرين عليها -والعياذ بالله-، والإعجاب بكل ما يأتي من الكافر أيًّا كانت صفته، ومهما كان قبحه وشناعته، ورد الحق مهما كان حسنه وجماله، و﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج، من الآية:٤٦].

قال: (**وَبِالْعَوَائِدِ مِنْهُمْ كُلِّهَا اتّصَفُوا**): يعني جميع العادات المعروفة عند أولئك؛ في المشي، في الأكل، في المخاطبة، في المحادثة.. إلى آخره؛ اتصفوا، وكل ما كان أكثر اتصافًا بعادات أولئك وتشبهًا بهم؛ كلما كان يُوصف بأنه أكثر حضارة ورقي، فلان يعني متحضر، فلان راقي، ويُعطى من مثل هذه الألقاب التي تغش الآخرين، وتورط الجاهلين.

قال: (**وَبِالْعَوَائِدِ مِنْهُمْ كُلِّهَا اتّصَفُوا ... وَفِطْرَةَ اللهِ تَغْيِيرًا لَهَا اعْتَمَدُوا**): أصبحت الفطرة بسبب ذلك تتغير شيئًا فشيئًا، وتُمسَخ تدريجيًا. وسيذكر على ذلك مثالًا.

(**عَلَى صَحَائِفِهِمْ يَا صَاحِ قَدْ عَكَفُوا**): يعني: عكفوا على صحائف أولئك، أما الآن عكفوا على القنوات والمواقع.

(**وَلَوْ تَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ مَا سَجَدُوا**): أي: ما يؤثر فيهم القرآن، ولا تؤثر فيهم المواعظ، لكنهم على صحائف أولئك عكفوا -أي: لازموا الجلوس؛ لأن العكوف الجلوس الطويل-، وكم من عكوفٍ يحصل على مواقع هؤلاء؟!

يعني: بعض الناس حتى بعض المتدينين الآن يتورط، تجده يجلس عاكفًا على القنوات الآثمة إلى أن يُؤذن الفجر، حتى وقت النزول الإلهي عاكفًا على حقارة هؤلاء -نسأل الله العافية-.

حتى أوقات الصلوات بعضهم يبقى عاكفًا، يُنادى للصلاة ويبقى عاكفًا إلى أن تخرج الصلاة وهو عاكف على حقارة هؤلاء ورذالات هؤلاء!!...

ثم ماذا ينظر والصلاة يُنادى لها، وأوقات الخير والفضائل تمر، وساعات الخير والبركة تمر، ماذا ينظر؟ ينظر إلى أخس ما عند هؤلاء من فجورٍ وعهر وانحلال، وضياع. ثم النفس بعد هذا الجلوس الطويل والعكوف الآثم؛ تخرج متهيجةً في طلب الفساد، ما يمكن يخرج من هذا العكوف شغوفٌ بالعلم، حريصًا على الصلاة، راغبًا في الدين، وإنما يخرج من هذا العكوف متتبعًا الشهوات وباحثًا عن الرذائل.

(وَعَنْ تَدَبُّرِ حُكْمِ الشَّرعِ قَدْ صُرِفُوا): أي: بسبب تلك المجلات ما أصبح عندهم وقت يتدبرون كلام الله، ويتأملون في هدي رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه-.

(وَفِي الْمَجَلاَّتِ كُلَّ الذّوْقِ قَدْ وَجَدُوا): يعني: أصبحوا لا يتذوقون إلا تلك المجلات الحقيرة الهابطة.

قال: **(وَللشَّوَارِبِ أَعْفُوا واللِّحَى نَتَفُوا)**: يُقال: اللُّحى (بالضم)، ويُقال: اللِّحى؛ كلها صحيح لغةً.

(وَللشَّوَارِبِ أَعْفُوا واللِّحَى نَتَفُوا): ما قال: حلقوا؛ لأن النتف أبلغ في إزالة اللحية؛ لأن الذي ينتف لحيته يصبح وجهه أمرد مثل أخته تمامًا، مع أن ميزة الرجل وزينته وجماله اللحية؛ فإذا نتف اللحية أصبح وجهه أمرد مثل أخته سواء، وبعضهم لا يكتفي بذلك؛ يأخذ من المكياج الذي عند أخته ويضع حتى يزداد نعومةً.

وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت إذا أرادت أن تحلف تقول: "والذي زين الرجال باللحى". الرجل زينتُه لحيته وجمالُه للحية، لكن مع التغيرات هذه الفطرة تحولت، فأصبح من تحولت الفطرة، لا يرى نفسه جميلًا إلا إذا نتف اللحية نتفًا ولم يكتف بالحلق. فينتفها نتفًا حتى يبقى وجهه أمرد تمامًا، وبعضهم فعلًا لا يكتفي بذلك بل يضع أشياء وربما يُباع في بعض المحلات مكياج للرجال بعد نتف اللحية يضعونها، حتى يُصبح الوجه أمرد تمامًا؛ هذا التحول في الفطر.

«**عشرٌ من الفطرة**»؛ إعفاء اللحية، وقص الشارب؛ هذا شيء فطر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العباد عليه، لكن مع هذه المجلات، ومع هذه القنوات، ومع هذه الدعوات الآثمة أصبح تحوُّل في الفطر وتغيُّر فيها.

(وَللشَّوَارِبِ أَعْفُوا واللِّحَى نَتَفُوا): السُّنة والفطرة قصُّ الشارب وإعفاء اللحية، وتجد بعض الناس يحلق اللحية ويُعفي الشارب؛ بحيث يكون الشارب طويلًا ممتدًا يمينًا وشمالًا ونازل على الفم، يعني: يُغطي الفم تمامًا.

وسنة من السنوات قبل أكثر من تقريبًا أو قرابة ثلاثين سنة عُقدت مسابقة على مستوى العالم: أطول شارب، مسابقة دولية على مستوى العالم: أطول شارب. وفاز رجل بأطول شارب في العالم ونُشر في الصحف، سبحان الله! إذا رأيته تستوحش وتستنكر؛ لأن الفطرة متغيرة تمامًا.

وكتَبَ سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذاك الوقت نشرةً أو فتوى يُبين بطلان هذا العمل، ويُحذر من نشره في الصحف؛ لأن نشره في الصحف ماذا يؤثر؟ في الجهلة والحمقى والتافهين؛ يبدأ يحلق لحيته ويطول شاربه لعله يفوز في المسابقة في عامٍ قادم، ويصبح أطول شارب في العالم. وهذا قبح وشناعة وبشاعة في المنظر.

وأما الأضرار الصحية والنفسية لا حد لها؛ لأن الآن الذي يُطيل شاربه، أنا حقيقة ما أُخفيكم، أتسائل أحيانًا أقول: هذا الذي يطيل شاربه حتى يُغطي فمه! إذا أراد أنه يشرب الإدام كيف يفعل بالملعقة؟ والشارب نازل على الفم، وأقدر في نفسي أقول: لا أظن يحتاج إلى ملعقتين أو ملعقة وشوكة، ملعقة يحمل فيها الإدام، وشوكة يرفع بها الشارب حتى يستطيع أن يدخل الطعام إلى فمه.

وأما إذا أراد أن يُقبل مثل زوجته ولا طفلته الصغيرة هذه كارثة، الصغير الطفل الآن اللي عمره سنتين أو ثلاث ويُقبِّله؛ شخصًا هذه صفته يقول: يا ليت الله أراحنا من ها القبلة هذه!! هذا شر -أعوذ بالله-، ومع ذلك تجده معجب بنفسه ومعجب بمنظره، لكن كل هذا من إفراز مثل هذه الأمور، تفسد الفطر وتتغير -والعياذ بالله- ويرى حسنًا ما ليس بالحسنِ.

لماذا يفعلون هذه الأمور؟ قال: **(تَشَبُّهًا وَمَجَارَاةً وَمَا اتَّأَدُوا)**: سبحان الله! كلمةُ: **(وَمَا اتَّأَدُوا)**؛ والله جميلة في موضعها؛ يعني لو أن هؤلاء اتأدوا قليلًا وتأنـُّوا وتفكروا في الأمر لوجدوه قبيحًا، لكن مباشرةً يأتي من هؤلاء بدون تؤدة وبدون تأني يأخذونه مأخذ القبول والتسليم، ويباشرون فعله بدون حياء من الله، ولا من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. لكن لو اتأدوا وتأنوا وتأملوا في الأمر لعزفت نفوسهم عنه.

ثم إذا سُئلوا: ما هذا الذي تفعلونه؟! وهل أشياء القبيحة والشنيعة ما هذا الأمر؟

(قالوا رُقِيًّا): يعني: هذه الممارسات وهذه الأفعال رقي.

(فَقُلْنَا لِلْحَضِيْضِ نَعَمْ): يعني: هذا رقي يصل بكم إلى الحضيض، يعني إلى الهلكات والدركات، إذا استمريتم على هذا الذي تسمونه رقي لن تصلون منه إلا إلى الحضيض.

(**تُفْضُوْنَ مِنْهُ إِلَى سِجِّيْنَ مُؤْتَصَدُ**): ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [سورة الهمزة، من الآية:٨]؛ فإذا استمر على هذه الحال وهذه المتابعة لأهل الكفر والشرك والضلال؛ يفضي به إلى سجين وهي النار (**مُؤْتَصَدُ**)؛ أي: مؤصدة عليهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾.

(**ثَقَافَةٌ مِنْ سَمَاجٍ سَاءَ مَا أَلِفُوا**): يُقال: (سمُج الأمر سماجةً)؛ أي: قَبُح. (**ثَقَافَةٌ مِنْ سَمَاجٍ سَاءَ مَا أَلِفُوا**)؛ يعني: هذه الثقافة المزعومة هي حقيقة من سماج أي: من قبيح القول وقبيح الفعل. (**سَاءَ مَا أَلِفُوا**).

(**حَضَارَةٌ مِنْ مُرُوْجٍ هُمْ لَهَا عَمَدُوا**): أي: أن هذه الحضارة مبنية على مثل هذا الضلال، وهذا الوهاء، وهذا الباطل الذي قصده هؤلاء.

(**عَصْرِيَّةٌ**): هذه كلها ألقاب تُلقب بها هذه الأمور؛ تُلقَّب بثقافة وحضارة وعصرية..

قال: (**عَصْرِيَّةٌ عَصَرَتْ خُبثًا فَحَاصِلُهَا سُمٌّ نَقِيْعٌ**): الذي يتأمل في هذه العصرية التي هذه صفتها؛ هي في الحقيقة سمٌ نقيع أي: مهلك.

(**وَيَا أَغْمَارُ فازْدَرِدُوا**): أي: ابتلعوا هذا السم الذي يكون به هلاككم؛ وهذا يقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ على وجه الزجر والتحذير.

(**مَوْتٌ**): يعني: حقيقة هذه الأمور موت.

(**وَسَمُّوْهُ تَجْدِيْدَ الْحَيَاةِ**): وفي الحقيقة موت القلوب، وموت الأديان، وموت الأخلاق، وموت الفضائل، لكن عادة أهل الباطل تسمية الباطل بأسماء جميلة تجذب إليه. (**مَوْتٌ وَسَمُّوْهُ تَجْدِيْدَ الْحَيَاةِ**).

(**فَيَا لَيْتَ الدُّعَاةَ لَهَا فِي الرَّمْسِ قَدْ لُحِدُوا**): يعني: ليت دعاة الباطل يُلحدون ويُدفنون، ويتخلص الناس من شرهم، ومن دعوتهم للضلال والباطل.

(**دُعَاةُ سُوْءٍ إِلَى السَّوْأَى تَشَابَهَتِ الْقُلُوْبُ ... مِنْهُمْ وفِي الإِضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا**): دعاة سوء إلى السوء. ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [سورة الروم، من الآية:١٠]؛ فهم (**دُعَاةُ سُوْءٍ**): يعني: دعاة ضلال وباطل. (**إِلَى السَّوْأَى**): إلى العواقب السيئة والنهايات الوخيمة.

(**تَشَابَهَتِ الْقُلُوْبُ مِنْهُمْ**): أي: قلوب هؤلاء أهل الضلال والباطل.

(**وفِي الإِضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا**): انتبه لها! يعني: هؤلاء يحملون رُكامًا من الباطل والضلال وهم في جِدٍّ واجتهاد في نشره.

شهر رمضان المبارك -خير شهور السنة- فهؤلاء يجهدون قبله بشهور طويلة لإعداد برامج تُبث على القنوات الفضائية تَشغل المسلمين عن القرآن وعن الذكر وعن حقيقة الصيام وعن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن القيام، وصلاة التراويح تشغلهم ويختارون لها أفضل الأوقات، وكم من أُناسٍ تركوا التراويح، وتركوا بسبب مخططات مدروسة من شهورٍ طويلة. يخططون لشهر رمضان ويجهدون لوضع برامج تضل الناس فيه. وهم أهل ضلال وباطل.

أنت صاحب الحق وداعية الحق ماذا قدمت وماذا هيئت لرمضان؟ وما الأشياء التي تنوي وتعزم وترتب لنفسك أن تقوم بها نفعًا لنفسك ونفعًا لغيرك من المسلمين؟!

صاحب الباطل يجهد، ويصرفون أموال طائلة جدًا في سبيل الإضلال، هذا معنى قوله: **(وفِي الإِضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا)**.

(مَا بَيْنَ مُسْتَعْلِنٍ مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرٍ ... وَمُسْتَبِدٍّ وَمَنْ بِالْغَيْرِ مُحْتَشِدُ): يعني: يصف هنا أحوال هؤلاء في الدعوة؛ منهم من دعوته سرية، ومنهم من دعوته علنية، ومنهم من هو غير ذلك.. يعني هم أنواع في طريقة تخطيطهم وترتيبهم وقيامهم بالدعوة إلى ما هم عليه من ضلالٍ وباطل.

(لَهُمْ إِلَى دَرَكَاتِ الشَّرِّ أَهْوِيَةٌ ... لَكِنْ إِلَى دَرَجَاتِ الخَيْرِ مَا صَعَدُوا): يعني لهم لدركات الشر أي: لسبل الشر ومجالاته ومنافذه أهوية يهوونها ويقبلون عليها، وينشطون في القيام بها والدعوة إليها.

(لَكِنْ إِلَى دَرَجَاتِ الخَيْرِ مَا صَعَدُوا): زاهدين في درجات الخير.

(وَفِي الضَّلاَلاَتِ والأَهْوَا لَهُمْ شُبَهٌ): يحملون في قلوبهم شبه، ويُثيرون هذه الشبه في أوساط الناس إضلالًا وإفسادًا.

(وَعَنْ سَبِيْلِ الْهُدَى والحَقِّ قَدْ بَلِدُوا): أي: متبلدين إذا كان الباب بابَ خيرٍ وبابَ حق وهدى.

(صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوْا): هنا يوضح قوله: **(وَعَنْ سَبِيْلِ الْهُدَى والحَقِّ قَدْ بَلِدُوا)**: متبلدين؛ يعني: عندما تأتي آيات القرآن، الأحاديث، المواعظ.. إلى آخره؛ يكونون في تمام التبلد، يصف هذا التبلد بقوله: **(صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوْا بُكْمٌ وَلَوْ نَطَقُوا عُمْيٌ وَلَوْ نَظَرُوا بُهْتٌ بِمَا شَهِدُوا)**: هذه حال هؤلاء مع الحق والهدى؛ **(صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوْا بُكْمٌ وَلَوْ نَطَقُوا)**؛ الأبكم هو الذي لا يتكلم، **(عُمْيٌ وَلَوْ نَظَرُوا)**؛ ولو كانوا ينظرون. **(بُهْتٌ بِمَا شَهِدُوا)**؛ والبهتُ الكذب.

(عَمُوا عَنْ الحقَّ صُمُّوا عَنْ تدَبُّرِهِ ... عَنْ قَوْلِهِ خَرِسُوْا فِي غَيِّهِم سَمَدُوا): أي: سامدون في غَيِّهم متمادون فيه.

(كَأَنَّهُمْ إِذْ تَرَى خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [سورة المنافقون، من الآية:٤].

(كَأَنَّهُمْ إِذْ تَرَى خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ ... وَتَحْسَبُ الْقَوْمَ أيقَاظًا وَقَدْ رَقَدُوا): تحسبهم أيقاظ لكنهم في رقدة الضلال والباطل والزيغ والانحراف عن دين الله.

(بَاعُوا بِهَا الدِّينَ): (بِهَا)؛ أي: الحضارة والرقي والثقافة المزعومة.

(بَاعُوا بِهَا الدِّيْنَ طَوْعًا عَنْ تَرَاضٍ ... وَمَا بَالَوا بِذَا حَيْثُ عِنْدا اللهِ قَدْ كَسَدُوا): يعني: هذا البيع الذي باعوا به الدين، وأخذوا عوضًا عنه هذه الثقافة والحضارة المزعومة؛ لم يبال هؤلاء أن هذا يسبب لهم كسادًا عند الله؛ لأنهم يكونون يوم القيامة من الخاسرين.

ثم أخذ يتألم ويتأسف على حال الدين والغربة:

(يَا غُرْبَةَ الدِّيْنِ والمُسْتمْسِكيْنَ بِهِ ... كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ): يعني: مع كثرة هذه الأمور هذا يقوله في زمانه -رحمة الله عليه-. (يَا غُرْبَةَ الدِّيْنِ والمُسْتمْسِكيْنَ بِهِ... كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ)؛ يعني: المستمسك بدينه مثل الذي يمسك بيده جمرة متَّقدة؛ تُحرق يده.

(كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ)؛ هذا وصفٌ لحال الغربة جاء في الحديث عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وهذا فيه التنبيه إلى أن الصبر يحتاج إلى مجاهدة طويلة؛ لأن الفتن متلاحقة، والصوارف والصواد كثيرة جدًا، وليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجى كيف نجى؟ كتب الله لنا جميعًا النجاة.

(المُقْبِلِيْنَ عَلَيْهِ): أي: على الدين. (عِنْدَ غُرْبَتِهِ ... وَالمُصْلِحِيْنَ إِذا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا): هذا وصف الغرباء الذي جاء في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الذين يَصلحون إذا فسد الناس، والذين يُصلحون ما أفسد الناس**».

(المُقْبِلِيْنَ عَلَيْهِ عِنْدَ غُرْبَتِهِ): يعني يصلحون إذا فسد الناس.

(وَالمُصْلِحِيْنَ إِذا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا): أي: المصلحين لما أفسد الناس؛ هذا حال أهل الغربة صلاحٌ وإصلاحًا.

(إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تِبْيَانِهِ نَطَقُوا بِهِ): إن أعرض الناس عن تبيان الدين نطقوا بتبيانه؛ لا تأخذهم في الله لومة لائم.

(وَإِنْ أَحْجَمُوا عَنْ نَصْرِهِ نَهِدُوا): أي: نشطوا وجدُّوا واجتهدوا في نصره. إن أحجم الناس عن نصره.

(**هَذَا وَقَدْ آنَ نَظْمُ الْعِقْدِ مُعْتَصِمًا ... بِاللهِ حَسْبِي عَلَيْهِ جَلَّ أَعْتَمِدُ**). (**هَذَا وَقَدْ آنَ نَظْمُ الْعِقْدِ**)؛ على اعتبار أن هذه جوهرة؛ فهي عِقد ينتظم أمور الدين ومهماته.

ويمكن أن تُضبط: هذا أوان نظم العَقد: أي: المعتقد.

(**مُعْتَصِمًا بِاللهِ**): أي: ملتجئًا إليه طالبًا مده وعونه.

(**حَسْبِي عَلَيْهِ**): أي: هو حسبي.

(**جَلَّ أَعْتَمِدُ**): أي: اعتمادي على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم في علمه وعمله، معتمدًا على الله متوكلًا عليه، طالبًا مَنَّه مدَّه وتوفيقه؛ كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود، من الآية:٨٨].

والله أعلم.. وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله..

المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم..

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أبواب أمور الدين:

وَالـدِّيْنُ قَـوْلٌ بِقَلْـبٍ واللِّسَـانِ وأعْـ ** مَـالٌ بِقَلْـبٍ وَبِالأَرْكَـانِ مُعْتَمِـدُ
يَـزْدَادُ بالـذِّكْرِ وَالطَّاعَـاتِ ثُـمَّ لَـهُ ** بِالـذَّنْبِ وَالْغَفْلَـةِ النُّقْصَـانُ مُطَّـرِدُ
وَأَهْلُـهُ فِيْـهِ مَفْضُـوْلٌ وَفَاضِـلُهُ ** مِـنْهُمْ ظَلُـومٌ وَسَـبَّاقٌ وَمُقْتَصِـدُ
وَهَـاكَ مَـا سَـأَلَ الـرُّوْحُ الأَمِـيْنُ رَسُـوْ ** لَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ وَالصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا
فَكَـانَ ذَاكَ الْجَـوَابُ الـدِّيْنَ أَجْمَعَـهُ ** فَافْهَمْـهُ عِقْـدًا صَـفَا مـا شَـابَهُ عُقَـدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**أبواب أمور الدين**).

قال: (**والدِّيْنُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ وأعْمَالٌ بِقَلْبٍ وَبِالأَرْكَانِ مُعْتَمِدُ**): أي: هذا هو المعتمد عند أهل السنة والجماعة في حد الإيمان وتعريفة، وأن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل.

قال: (**والدِّيْنُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ**)؛ قولٌ بالقلب اعتقادًا، وقولٌ باللسان نطقًا وتلفظًا، وكل أمرٍ بالقول في القرآن والسنة فإنه يشمل قول القلب واللسان؛ كقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٣٦]؛ أي: قولوا ذلك بقلوبكم معتقدين، و بألسنتكم ناطقين ومتلفظين.

والقول إذا أُطلق يشمل قول القلب واللسان، وإذا قُيِّد فهو بحسب ما قُيِّد به، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٦٧]؛ ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ [سورة الفتح، من الآية:١١]؛ لكن إذا أُطلق فإنه يشمل قول القلب واللسان، وقول القلب هو الاعتقاد الذي ينطوي عليه القلب، وقول اللسان هو نطقه بالتوحيد.

(**والدِّيْنُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ وأعْمَالٌ بِقَلْبٍ وَبِالأَرْكَانِ مُعْتَمِدُ**): الأركان أي: الجوارح والأعضاء، (**وأعْمَالٌ بِقَلْبٍ**)؛ أعمال القلب هي الأعمال التي يقوم بها العبد في قلبه زائدة على الاعتقاد الذي هو أصلُ الدين

وأساسُه؛ كالرجاء، والخوف، والإنابة، والتوكل، والخشية، والرغبة، والرهبة، وغير ذلك من الأعمال القلبية؛ فهذه كلها داخلة في مسمى الإيمان كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**والحياء شُعبة من شعب الإيمان**».

قوله: (**وَبِالأَرْكَانِ**): أي: الأعضاء والجوارح؛ فعرَّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الإيمان بهذا التعريف المعتمد عن أئمة السلف -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى-؛ وهو أن الإيمان قول وعمل؛ الشطر الأول من البيت فيما يتعلق بالقول وما يندرج تحته، والشطر الثاني من البيت فيما يتعلق بالعمل وما يندرج تحته.

قال: (**يَزْدَادُ بالذِّكْرِ وَالطَّاعَاتِ**): أي: بذكر الله جَلَّ وَعَلَا، وذكر الله جَلَّ وَعَلَا أعظم ما يزيد به الإيمان، وأيسر الأعمال على الإنسان: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»؛ فذِكرُ الله يثقِّل الموازيين ويزيد إيمان العبد ويقويه، وهو من أيسر الأعمال على العبد وأخفها، خفيفتان.

والطاعات عمومًا تزيد في الإيمان، وخصَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذكر مع دخوله في عموم الطاعات لعظم شأنه، وكبر أثره.

(**ثُمَّ لَهُ**): أي: الإيمان. (**بِالذَّنْبِ وَالْغَفْلَةِ النُّقْصَانُ مُطَّرِدُ**): بالغفلة عن ذكر الله، وبالوقوع بالذنب والغفلة ينقص، ينقص بالمعصية، وينقص بالغفلة عن الطاعة، وعن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كما قال عمير بن حبيب الخطمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "الإيمان يزيد وينقص"، قيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: "إذا ذكرنا الله وسبَّحناه وحمدناه زاد، وإذا غفلنا نقص". فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وينقص بالغفلة.

قال: (**بِالذَّنْبِ وَالْغَفْلَةِ النُّقْصَانُ مُطَّرِدُ**): أي: أن نقصان الإيمان حاصل وواقع بذلك باضطراد وبدوامٍ واستمرار، كلما كان العبد يقع في الذنوب ويُقارف الآثام، وتشغله الغفلة عن ذكر الله وطاعته؛ فإيمانه لا يزال في نقص وضعف.

(**وَأَهْلُهُ فِيْهِ مَفْضُوْلٌ وَفَاضِلُهُ**): أهل الإيمان في الإيمان ما بين مفضول وفاضل؛ وذلك بحسب حظهم من الإيمان؛ فكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد فضلًا ورفعة، وكلما نقص إيمانه؛ ضعف حظه ونصيبه من الفضل.

ولهذا فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان أن أهله فيه متفاضلون، ليسوا فيه على درجةٍ واحدة؛ ولهذا تفاضل الثواب يوم القيامة؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغابر في السماء لتفاضل ما بينهم**»، هكذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي القرآن: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:١٩]، فأهل الإيمان في الإيمان متفاضلون، وهم في تفاضلهم في الإيمان في الجملة على ثلاثة أقسام قررها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

(**مِنْهُمْ ظَلُومٌ وَسَبَّاقٌ وَمُقْتَصِدُ**): هذه أقسام أهل الإيمان في تفاضلهم في الإيمان من حيث الجملة، وإلا فإن أهل كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة أيضًا متفاضلون؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٣٢-٣٣].

فهذه أقسام أهل الإيمان، أقسام عباد الرحمن، أقسام المصطفيْن الذين ورثوا الكتاب: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ فذكر أقسامهم جَلَّ وَعَلَا، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ قال بعض المفسرين: بدأ بالظالم لئلا يقنط، وأخَّر السابق لئلا يغتر: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، وكلٌّ من هذه الأقسام الثلاثة يدخل الجنة؛ ولهذا قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾؛ والواو تشمل الثلاثة بما فيهم الظالم لنفسه.

والمراد بظلم النفس هنا: أي بالذنوب والمعاصي التي هي دون الكفر بالله، بدليل أنه قد جاء في سياق هذه الآيات ذكرُ من ظلم نفسه بالكفر، وذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٣٦-٣٧]؛ فهذا ظلم الكفر الذي يوجب الخلود في النيران.

أما الظلم الأول -وهو ظلم النفس أي: بالمعاصي-؛ وهذا وإن تسبب في دخول النار إلا أن صاحبه لا يُخلد فيها؛ لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك، وعليه فإن الظالم لنفسه بالمعصية يدخل الجنة، لكن كما جاء في الحديث: «**يصيبه قبل ذلك ما يصيبه**»، لكن مآله ومصيره إلى الجنة.

والمقتصد والسابق بالخيرات يدخلان الجنة دخولًا أوليًا؛ أي: بدون حساب ولا عذاب كما قرر ذلك شيخ الإسلام في [**كتاب الإيمان**]، وغيرُه من أهل العلم، وذلك لأن المقتصدَ فعلَ الواجبَ وترك المحرم؛ فلا يُعاقب، ويدخل الجنة دخولًا أوليًا؛ لأنه فعل ما يجب عليه وترك ما حُرِّم عليه.

والسابق بالخيرات زاد على ذلك في المنافسة في الرغائب والنوافل والمستحبات؛ فَعَلَتْ درجتُه؛ قال تعالى في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه...**» الحديث.

قال: (**وَهَاكَ مَا سَأَلَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ رَسُوْلَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ**). (**وَهَاكَ**)؛ أي: سيأتي عند الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- ذكر ما سأل عنه الروحُ الأمينُ نبيَّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يشير إلى حديث جبريل المشهور: "عندما أتي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على صورة أعرابي شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد، حتى إذا جلس إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، فسأله عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان"، ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ختام الحديث: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

فالناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سيذكر ما دل عليه هذا الحديث في الأبيات الآتية عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(**وَهَاكَ مَا سَأَلَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ**): أي: جبريل، وقيل: إنه سميَ الروح؛ لأنه ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [سورة القدر، من الآية: ٤].

(**مَا سَأَلَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ رَسُوْلَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ**): لأنه قال: «**أخبرني عن الإيمان**»، «**أخبرني عن الإسلام**»، «**أخبرني عن الإحسان**»؛ فسأله عن شرحه؛ فأجاب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال: (**وَالصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا**): أي: الصحابة شهدوا هذا الأمر؛ لأن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**بينما نحن جلوس عند رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **اطلع علينا رجل**»، إلى آخر الحديث.

فـ(**الصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا**)؛ أي: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ شهدوا هذه المحادثة وهذه الأسئلة والأجوبة.

(**فَكَانَ ذَاكَ الْجَوَابُ الدِّيْنَ أَجْمَعَهُ**): أو فكان ذاك الجوابَ الدينُ أجمعُه، كلاهما يستقيم؛ (**فَكَانَ ذَاكَ الْجَوَابُ الدِّيْنَ أَجْمَعَهُ**): أي: كان ذاك الذي أجاب به محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل الدينَ أجمعه -أي: الدين كله-؛ لقول نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تمام الحديث: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»؛ فدلت هذه الجملة في تمام الحديث أن الدين كله جُمع في هذا الحديث؛ ولهذا يُسمي بعض العلماء هذا الحديث: أم السنة، مثل أن

الفاتحة تُسمى: أم القرآن؛ لأن الفاتحة جمعت إجمالًا ما حواه القرآن تفصيلًا، وحديث جبريل جمع إجمالًا ما حوته السنة تفصيلًا؛ فهو أم السنة.

(**فَافْهَمْهُ عَقْدًا صَفَا مَا شَابَهُ عُقَدُ**): أي: افهم هذا العقد، أي: هذه العقيدة الصافية النقية التي اشتمل عليها هذا الحديث العظيم -حديث جبريل-؛ فإنها عقيدة صافية نقية ما شابه أي شائبة، ولا خالطها أي مفسد أو مُكدِّر؛ بل هي عقيدة صافية حوت الخير كله.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب الإيمان بالله -تعالى- وأسمائه وصفاته:

بِاللهِ نُؤْمِنُ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ ** وَلَمْ يَلِدْ لاَ وَلَمْ يُولَدْ هُوَ الصَّمَدُ

وَلاَ إِلَهَ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ وَلَمْ ** يَكُنْ لَهُ كُفُوًا مِنْ خَلْقِهِ أَحَدُ

حَيٌّ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ جَلَّ مُقْتَدِرٌ ** عَدْلٌ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ قَاهِرٌ صَمَدُ

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**باب الإيمان بالله -تعالى- وأسمائه وصفاته**)؛ الإيمان بالله جَلَّوَعَلَا أصلُ أصول الإيمان، وأعظم أركان الدين، وبقية أركان الدين وأصوله تبعٌ لهذا الأصل وفرعٌ عنه؛ كما يدل لذلك الآيات التي فيها ذكر أصول الإيمان: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٨٥]؛ هذه تبع؛ الإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل؛ كلُ ذلكم تبع للإيمان بالله؛ والإيمان بالله هو الأصل؛ فالإيمان بالله أصل أصول الإيمان، وأعظم أركان الدين، ولهذا به يُبدأ ويُقدَّم على غيره؛ لأنه هو الأصل -أصل الأصول-، وأساس الأُسس.

والإيمان بالله هو الإيمان بوحدانية الله جَلَّوَعَلَا في ربوبيته، وألوهيته، وأسماءه وصفاته، ودين الإسلام سُميَ توحيدًا؛ لأن مبناه على الإيمان بوحدانية الله في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وفي الأبيات التالية شرحٌ للإيمان بالله؛ بدأ ذلك بقوله:

(**بِاللهِ نُؤْمِنُ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ**): نؤمن بالله بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فرد، أي: متفرد بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال؛ فليس له شبيهٌ ولا نظيرٌ ولا مثال -جلَّ وتقدَّس وتنزَّه ذي الجلال والجمال-.

(**وَاحِدٌ أَحَدٌ**): وهما إسمان من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ الأحد وَرَدَ في سورة الإخلاص، والواحد ورد في عددٍ من آي القرآن، وهما يدلان على وحدانية الله، وتفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتنزهه عن الشبيه والمثال، وأنه وحده المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواه، فواحد أحد في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسماءه وصفاته.

(**وَاحِدٌ**): لا رب سواه، ولا إله غيره، ولا معبود بحقٍّ إلا هو جَلَّ وَعَلَا.

(**وَاحِدٌ**): في أسماءه وصفاته، له الأسماء الحسنى والصفات العليا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١].

(**وَلَمْ يَلِدْ لاَ وَلَمْ يُولَدْ**): أي: ليس له جَلَّ وَعَلَا والد، وليس له ولد؛ نفي للأصل والفرع؛ وهذا من كمال غناه، وكمال صمديته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**هُوَ الصَّمَدُ**): والصمد اسمٌ دال على الصمدية، وهذه الصفة –الصمدية– تدل على كمال غناه –سبحانه– عن خلقه، وعلى افتقار خلقه إليه؛ ولهذا قيل في معناه: الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها ورغباتها؛ لأنها فقيرة إليه من كل وجه، وهو جَلَّ وَعَلَا صمدٌ غنيٌّ عن المخلوقات من كل وجه؛ فالصمد يدل على كمال غنى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى افتقار المخلوقات إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين.

(**وَلاَ إِلَهَ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا**): هذه المواضع الثلاثة كلها نفي، وكل واحد منها متعلق بقسم من أقسام التوحيد الثلاثة؛ فقوله: (**وَلاَ إِلَهَ**): هذا فيما يتعلق بتوحيد العبادة، لا إله سوى الله، لا معبود بحق إلا هو.

وقوله: (**وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ**): هذا يتعلق بتوحيد الربوبية، تفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ربوبيته.

وقوله: (ولم **يَكُنْ لَهُ كُفُوًا مِنْ خَلْقِهِ أَحَدُ**): هذا يتعلق بأسماء الله وصفاته وهو أن الله ليس له كفوا؛ أي: ليس له شبيه ولا نظير.

(**حَيٌّ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ**): هذه ثلاثة أسماء حسنى لله جَلَّ وَعَلَا؛ الأول الحي: وهو دال على كمال حياته سبحانه، حياةً لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها فناء، ولا يعتريها نقص مستلزمة لكمال سمعه، وكمال بصره، وكمال قدرته، وكمال قيوميته، وكمال صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والسميع دال على ثبوت السمع لله؛ فهو سميع بسمعٍ وسع الأصوات كلها؛ كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات".

بصير ببصرٍ يبصر به تَبَارَكَ وَتَعَالَى جميع المخلوقات، يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

(جَلَّ مُقْتَدِرٌ): (جَلَّ)؛ أي: عَظُم وتعالى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فله الجلال.

(مُقْتَدِرٌ): وهذا اسم من أسماء الله الحسنى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر، من الآية:٥٥]؛ وهو دال على كمال قدرة الله -سبحانه-، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

(عَدْلٌ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ قَاهِرٌ صَمَدُ): (عَدْلٌ)؛ أي: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متصف بالعدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يظلم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٤٦].

(حَكِيْمٌ): أي: له الحكم، والمتصف بالحكمة في أفعاله كلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(عَلِيْمٌ): أي: متصف بالعلم، المحيط الشامل الذي وسع كل شيء؛ فعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

(قَاهِرٌ): أي: له جَلَّ وَعَلَا القهر والقوة والغلبة، وجميع المخلوقات تحت تدبيره وطوع تسخيره، ولا يعجزه منها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيء. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٨].

(صَمَدُ): مر الكلام على معناه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هُوَ الْعَلِيُّ هُوَ الأَعْلى هُوَ المُتَعَا ** لي كُلُّ مَعْنَى عُلُوِّ اللهِ نَعْتَقِدُ
قَهْرًا وَقَدْرًا وَذَاتًا جَلَّ خَالِقُنَا ** مَا حَلَّ فِينَا وَلاَ بالْخَلْقِ مُتَّحِدُ
في سَبْعِ آي مِنَ القُرآنِ صَرَّحَ بِاسْـ ** تَوَى عَلَى العَرْشِ رَبّي فَهْوَ مُنْفَرِدُ
وَلَفْظُ فُوقٍ أَتَى مَعَ الاقْترانِ بِمِنْ ** وَدُوْنَهَا لِمُرِيْدِ الحَقِّ مُسْتَنَدُ
وَفِي السَّماءِ اتلُهَا فِي المُلْكِ وَاضِحَةً ** وَكَمْ حَدِيْثًا بِهَا يَعْلُوا بِهِ السَّنَدُ
وَتَعْرُجُ الرُّوْحُ وَالأَمْلاكُ صَاعِدَةً ** أَمَا إلى رَبِّهِمْ نَحْوَ الْعُلى صَعَدُوا
وَهَكذَا يَصْعَدُ المَقْبُوْلُ مِنْ عَمَلٍ ** مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا
كَذا عُرُوْجُ رَسُولِ اللهِ حِيْنَ سَرَى ** قُلْ لي إلى مَنْ لَهُ قَدْ كَانَ مُصْطَعَدُ؟
وَحِيْنَ خُطْبَتِهِ في جَمْعِ حَجَّتِهِ ** أَشَارَ رَأْسٌ لَهُ نَحْوَ العُلَى وَيَدُ
أَلَيْسَ يَشْهَدُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ عَلَى ** تَبْلِيْغِهِ ثُمَّ أَهْلُ الجَمْعِ قَدْ شَهِدُوا
وَسَنَّ رَفْعَ المَصَلِّي في تَشَهُّدِهِ ** سبَّاحَةً لِعُلُوِّ اللهِ يَعْتَقِدُ

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هُوَ الْعَلِيُّ هُوَ الأَعْلى هُوَ المُتَعَالي**): هذا البيت وأبياتٌ عديدة بعده يقرر فيها علو الله، ويذكر فيها الشواهد والدلائل على علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبدأ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- هذه الأبيات التي يقرر فيها علو الله بذكر أسماءه الحسنى الدالة على علوه، وهي ثلاثة أسماء: العلي والأعلى والمتعال؛ العلي قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٥]، والأعلى في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى، من الآية:١]، والمتعال في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [سورة الرعد، من الآية:٩]، وقرأ بعضهم: (وهو الكبير المتعالي)، كما أثبتها الناظم هنا؛ فكلٌ منهما صحيح: المتعال والمتعالي. وفي التعبيد لهذا الاسم يصح أن يُقال: عبد المتعال، وأن يقال: عبد المتعالي.

قال: (**هُوَ الْعَلِيُّ هُوَ الأَعْلى هُوَ المُتَعَالي**): هذه الأسماء الثلاثة كلها دالة على العلو، ناطقة به مصرحة به؛ ولهذا قال: كل معنى علو الله نعتقد؛ أي: الذي دلت عليه هذه الأسماء ودلت عليه النصوص الكثيرة الآتي الإشارة إلى شيءٍ منها، فنعتقده أي: نؤمن به وندين الله به ونثبته له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (**كُلُّ مَعْنَى عُلُوِّ اللهِ نَعْتَقِدُ**): فيه التنبيه إلى أن العلو الذي دلت عليه هذه الأسماء يتناول جميع معاني العلو، وقد لخصها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت الذي بعده بقوله: (**قَهْرًا وَقَدْرًا وَذَاتًا**)؛ هذه معاني العلو:

علو القهر: أي: هو القاهر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكل عباده تحت قهره وطوع تدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعلو القدر: أي: المكانة. ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [سورة الحج، من الآية:٧٤].

وعلو الذات: أي: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليٌّ بذاته فوق مخلوقاته.

فله العلو المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قهرًا وقدرًا وذاتًا.

هذه الثلاث هي تفصيل لقوله في البيت الذي قبله: (**كُلُّ مَعْنَى عُلُوِّ اللهِ نَعْتَقِدُ**)، ومعاني علو الله هي هذه الثلاثة: القدر والقهر والذات، فنحن نعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العلي قهرًا وقدرًا وذاتًا.

وأهل البدع المشتغلين بالتعطيل لا ينازعون في علو القهر والقدر، وإنما ينازعون في علو الذات؛ ولهذا سيسوق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدلائل الكثيرة المقررة لعلو الذات لعلو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذاته فوق مخلوقاته.

(**قَهْرًا وَقَدْرًا وَذَاتًا جَلَّ خَالِقُنَا**): أي: تنزه وتقدس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(مَا حَلَّ فِينَا وَلاَ بالْخَلْقِ مُتَّحِدُ): يُثبت العلو لله ذاتًا فوق مخلوقاته، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بائن منهم أي: ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته.

ويرد وينقض عقيدة الحلول والاتحاد بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا حَلَّ فِينَا)؛ هذا إبطال لعقيدة الحلول وهي قول أرباب هذه المقالة الباطلة: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حل في مخلوقاته.

وقوله: (وَلاَ بالْخَلْقِ مُتَّحِدُ): إبطال لعقيدة الاتحاد وهي أن الخالق اتحد بالمخلوق وامتزج به واختلط به فصارا شيئًا واحدًا؛ تعالى عما يقولون وسبحان الله عما يصفون. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٨٠].

قال: (فِي سَبْعِ آي مِنَ القُرآنِ صَرَّحَ بِاسْتَوَى): هذا دليل من أدلة العلو؛ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سبع آيات من القرآن الكريم صرَّح باستوائه على العرش؛ ستةٍ منها قال فيها: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٤]، وواحدة قال فيها: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٥]، ففي القرآن سبعة مواضع فيها التصريح باستواء الله على العرش.

والاستواء معناه لغةً: العلو والارتفاع؛ فمعنى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: استوى عليه. أي: ارتفع عليه، والعرش سقف المخلوقات وأرفعها وأوسعها وأكبرها؛ ولهذا وصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [سورة البروج، من الآية:١٥]، قُرِأت: المجيدُ -على اعتبار أن المجد صفة لله، وقُرأت: المجيدِ- على اعتبار أن المجد صفة للعرش، وكلٌ منهما كما قال ابن كثير: صحيح، فالعرش من صفاته المجد.

والمجد معناه في اللغة: السعة؛ فالعرش مخلوق كبير عظيم واسع، هو أوسع المخلوقات وأكبرها، وهو سقف المخلوقات وأعلاها، وقد أخبر جَلَّ وَعَلَا أنه استوى عليه أي: علا وارتفع عليه.

(فِي سَبْعِ آي مِنَ القُرآنِ صَرَّحَ بِاسْتَوَى عَلَى العَرْشِ رَبّي فَهْوَ مُنْفَرِدُ): أي: منفرد بصفات الجلال والكمال والعظمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنها علوه واستوائه على عرشه.

قال: (وَلَفْظُ فُوقٍ أتَى مَعَ الاقْترانِ بِمِنْ وَدُوْنَهَا): لفظ فوق نعتًا ووصفًا لله؛ جاء في القرآن مقترنًا بـ (من) وبدون (من)؛ حرف الجر، ففي آية من القرآن قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٨]، وفي آية أخرى قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل، من الآية:٥٠]؛ فجاء لفظ: ﴿فَوْقَ﴾ وصفًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في

موضع من القرآن مقترنًا بـ (من)، وجاء في موضعٍ آخر من القرآن بدونها: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾، والفوقية معناها معروف وهو العلو والارتفاع، ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾؛ أي: عليٌّ عليهم.

(**لِمُرِيْدِ الحَقِّ مُسْتَنَدُ**): لمريد الحق في تقرير العلو وإثباته. (**مُسْتَنَدُ**): أي: حجة ومعتمد ومعوَّل، وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِمُرِيْدِ الحَقِّ**)؛ لأن من لا يريد الحق ما تنفعه هذه الآيات: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة يونس، من الآية:١٠١]؛ ما تفيده! لا تفيده! هذه الآيات إلا من أراد الحق وقرأها ملتمسًا الهداية طالبًا السداد والتوفيق،

أما الذي يقرأ آيات القرآن الكريم ليُتَوِّلها وليصرفها عن ظاهرها؛ فهذا لا يستفيد من القرآن، والمعطلة عندما يقرأون آيات الصفات في القرآن، أو عندما يوردون آيات الصفات؛ يوردونها -كما قال شيخ الإسلام: إيراد من قصد ردها أصلًا-؛ فهو لم يوردها إيراد مريد الحق، وإنما أوردها إيراد من قصد ردها؛ لأن طريقتهم أنهم يعتقدون ثم يستدلون، ويحاولون تحريف النصوص وصرفها عن ظاهرها لتكون دليلًا لهم على معتقدهم.

قال: (**وَفِي السَّماءِ اتلُهَا فِي المُلْكِ وَاضِحَةً**): (**اتلُهَا**)؛ أي: اقرأها. (**فِي المُلْكِ**)؛ أي: في سورة الملك. (**وَاضِحَةً**)؛ أي: في إثبات علو الله، وفي سورة الملك في موضعين يقول الله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، ثم قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، وهذه واضحة في إثبات العلو -كما قال المصنف الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (**وَاضِحَةً**)؛ في إثبات العلو؛ لأن السماء في اللغة: العلو، والله أخبر في هذه الآية أنه في العلو، قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، أي: أمنتم من في العلو.

وقد يكون المراد بالسماء أي: المبنية -ليس مطلق العلو-؛ فحينئذٍ تكون بمعنى: على؛ فمعنى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]، أي: من على السماء، وفي الحديث يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»؛ أي: ارحموا من على الأرض يرحمكم من على السماء.

فقوله في سورة الملك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٦]؛ هذا من أدلة العلو.

قال: (**وَفِي السَّماءِ اتلُهَا فِي المُلْكِ وَاضِحَةً ... وَكَمْ حَدِيْثًا بِهَا يَعْلُوا بِهِ السَّنَدُ**): (**بِهَا**)؛ أي: هذه اللفظة: "في السماء". كم حديث يعلو به السند إلى النبي وردت به هذه اللفظة: (**وَفِي السَّماءِ**)؟ أحاديث كثيرة منه الحديث الذي أشرت إليه قبل قليل، وحديث: «**ألا تأمنوني وأن أمين من في السماء**»، وحديث الجارية: «**أين الله؟**»

قالت: في السماء، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**». فكم من حديثٍ جاء فيه هذا اللفظ: (في السماء). (**يَعْلُوا بِهِ السَّنَدُ**)؛ أي: إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فهذا من الأدلة.

الآن كم مر علينا من دليل على علو الله؟! من يعدها لنا؟

١- إخبار الله باستوائه على العرش.

٢- إخباره بأنه في السماء.

٣- إخباره بفوق، هذه فوقية.

٤- أسماء الله الدالة على علوه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتَعْرُجُ الرُّوْحُ وَالأَمْلاكُ**): وهذا دليل من أدلة العلو؛ الروح هو جبريل، والأملاك: عموم الملائكة. من يذكر الآية؟

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة المعارج، من الآية:٤]، فيشير إلى هذا الدليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (**وَتَعْرُجُ الرُّوْحُ وَالأَمْلاكُ**)؛ الروح جبريل، والأملاك: أي: عموم الملائكة.

(**صَاعِدَةً**): والعروج والصعود إنما يكون إلى أعلى، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾: (إليه) الضمير يعود على الله، والعروج يكون إلى أعلى، ما قال: تنزل إليه الملائكة؛ قال: (**تَعْرُجُ**)، والعروج إلى أعلى، فإذًا هذا من الأدلة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. إخباره في القرآن بعروج الملائكة إليه، والعروج إنما يكون إلى أعلى.

ولهذا أتى الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه اللفظة: (**صَاعِدَةً**)؛ لمزيد التوضيح والتقرير لهذا الدليل؛ لأن الصعود إنما يكون إلى أعلى.

(**أَمَا إِلى رَبِّهِمْ نَحْوَ الْعُلى صَعَدُوا**): أي: أليس هذا دليل واضح؟! أليس نعرف نحن في لغة العرب أن الصعود إلى أعلى؟! إذًا إخبار الله عن الملائكة أنها تعرج إليه أليس هذا من أدلة علوه؟! (**أَمَا إِلى رَبِّهِمْ نَحْوَ الْعُلى صَعَدُوا**)؛ فإخبار الله جَلَّ وَعَلَا بصعود وعروج الملائكة إليه هذا من دلائل علوه؛ لأن الصعود والعروج إنما يكون إلى أعلى لا إلى أسفل.

ثم ذكر دليلًا آخر؛ قال: (**وَهَكذَا يَصْعَدُ المَقْبُوْلُ مِنْ عَمَلٍ ... مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا**). (**مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا**)؛ أي: إلى الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر، من الآية:١٠]؛ فصعود العمل إليه هذا دليل على علوه.

(**وَهَكذَا يَصْعَدُ المَقْبُوْلُ مِنْ عَمَلٍ ... مِنَ العِبَادِ لِمَنْ إياهُ قَدْ عَبَدُوا**)؛ أي: إلى الله. فإخباره -تعالى- بصعود الأعمال المقبولة إليه دليلٌ على علوه؛ لأن الصعود إنما يكون إلى أعلى.

(**كَذا عُرُوْجُ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِيْنَ سَرَى**): أي: حينما أُسري به إلى بيت المقدس ثم عُرج به إلى السماء، والعروج إنما يكون إلى أعلى.

(**قُلْ لي إلى مَنْ لَهُ قَدْ كَانَ مُصْطَعَدُ؟**): يعني عروجه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى من؟ ونعرف في حديث العروج أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذاك العروج المُبارك العظيم لقي ربه وكلَّمه وسمع كلام الله من الله، وفُرض عليه في عروجه فوق السماوات الصلوات المكتوبات، وسمع فرضها من الله مباشرة.

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قُلْ لي إلى مَنْ لَهُ قَدْ كَانَ مُصْطَعَدُ؟**)؛ إذا لم يكن الله في العلو -كما يزعم المعطلة- إلى من كان المصطعد؟ أي: صعود النبي وعروجه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى من؟ ونزوله بالصلوات المكتوبة قد فرضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه وعلى أمته ونزل بها؛ إلى من كان ذاك الصعود؟

وأذكر شخصًا قال لي: كنت أتناقش مع أحد هؤلاء المعطلة، فكان ينكر العلو؛ يقول: فقلت له فيما قلت: أنت بإنكارك العلو تنكر أمورًا كثيرة؛ منها إنكار فضل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومكانته العلية التي شرفه الله بها، وسقت له حديث العروج، وقلت له: هو في الصحيحين في البخاري ومسلم؛ وإلى من كان هذا العروج؟ يقول: فما أن سمع هذا الحديث إلا وقد انشرح صدره للإيمان والإقرار بعلو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. هذا من أدلة العلو، إلى من كان عروج نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

المصيبة أن بعض المسلمين تركوا العقيدة المستفادة من حديث العروج، وتركوا أيضًا العبادة المستفادة من العروج -وهي الصلاة-؛ لا يعتنون بها ولا يحافظون عليها، وإذا جاءت في الليلة التي يُزعم أنها ليلة الإسراء والمعراج اجتمعوا على الاحتفال وأكل الطعام والشراب والنشيد والقصيد.. إلى آخره.

ثم ذكر دليلًا آخر على علو الله:

قال: (**وَحِيْنَ خُطْبَتِهِ فِي جَمْعِ حَجَّتِهِ ... أَشَارَ رَأْسٌ لَهُ نَحْوَ العُلَى وَيَدُ**): إشارة اليد والرأس منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أكبر مجمع حصل للمسلمين في زمانه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم عرفة، وأمام هذه الحشود والجموع الغفيرة أشار بيده وبرأسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى العلو، يرفع يده إلى السماء ثم ينكتها إلى الناس: «**اللهم فاشهد، ألا هل بلغت**»، قالوا: نعم، فيرفع أُصبعه إلى السماء ثم ينكتها إليهم: «**اللهم فاشهد**»؛ يعني: أنني بلغت، ثم يرفعها إلى السماء وأمام الجموع؛ هذه الإشارة بإصبعه: «**اللهم**»، أمام الجموع يرفع إصبعه مشيرًا إلى العلو وهو يقول:

«**اللهم**»؛ هذه من أدلة ماذا؟ من أدلة علو الله، وفي بعض كتب الضلَّال المبتدعة يقولون: الأصبع التي تشير إلى السماء مشيرة إلى الله بأنه في العلو؛ يجب أن تُقطع -يقولون-. يقولون: يجب أن تقطع، ويقولون: لا يجوز أن يُسأل عنه بـ (أين)!! وقد قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**».

قال: (**وَحِيْنَ خُطْبَتِهِ فِي جَمْعِ حَجَّتِهِ**)؛ حينما كان يخطب. (**فِي جَمْعِ حَجَّتِهِ**)؛ أي: في الجمع العظيم الذي كان في حجة الوداع. (**أَشَارَ رَأْسٌ لَهُ نَحْوَ العُلَى وَيَدُ**)؛ أي: يرفع رأسه إلى جهة العلو وأيضًا يرفع يده يرفع إصبعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وينكتها إليهم إلى الجموع التي أمامه يقول: «**اللهم فاشهد**».

هذا ما هو؟ اسمع التساؤل الذي يطرحه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**أَلَيْسَ يَشْهَدُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ عَلَى تَبْلِيْغِهِ**): أليس النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بإشارته -هذه الإشارة- وكونه ينكتها إليهم قائلًا: «**اللهم فاشهد**»؛ أليس بإشارته يشهد رب العرش؟!«**ألا هل بلغت، اللهم فاشهد**»، أليس يُشهد رب العرش -جلَّ- على تبليغه؟!

(**ثُمَّ أَهْلُ الجَمْعِ قَدْ شَهِدُوا**): أي: الصحابة الكِرام الذين كانوا أمامه في ذاك الجمع قد شهدوا؛ أي: شهدوا له بالبلاغ.

الجواب: بلى، فهذا دليل قاطع وحُجة بينة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه.

ولو لم يكن العلو صفةً لله؛ لكان رفع الإصبع أمام هذه الجموع وفيهم حديث الإسلام؛ لكان رفع الإصبع فيه تغرير بهم، ومخاطرة بهم، وإيهامهم بما ليس بحق؛ وهذا أمرٌ يُنزه عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فهو الناصح الأمين. فإشارته بإصبعه أمام هذه الجموع يقول: «**اللهم**»، ويرفع إصبعه إلى السماء أمام الآلاف التي أمامه و هم ينظرون إليه ويشاهدونه، يرفع ويقول: «**اللهم..**»، هذا من الدلائل البينة الواضحة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه.

ثم يذكر دليلًا آخر على علو الله؛ قال: (**وَسَنَّ رَفْعَ المَصَلِّي فِي تَشَهُّدِهِ ... سَبَّاحَةً لِعُلُوِّ اللهِ يَعْتَقِدُ**)؛ سُنَّ رفع المصلي في تشهده السباحة -السباحة هذه-، فسُنَّ للمصلي أن يرفع سباحته، قال: (**لِعُلُوِّ اللهِ يَعْتَقِدُ**)؛ ثم ذكر دليلًا آخر قال:.....

المتن:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكُــلُّ دَاعٍ إِلــى مَــنْ رَافــعٌ يَــدَهُ؟ ** إلاّ إلــى مَــنْ يَجِــي مِــنْ عِنْــدِهِ المَــدَدُ
وَكَـــمْ لِهَـــذَا براهِيْنًـــا مُؤَيِّـــدَةً ** وَحِــيْنَ يَسْــمَعُهَا الجَهْمِــيُّ يَرْتَعِــدُ
وَنَحْــنُ نُثْبِــتُ مَــا الْوَحْيَــانِ تُثْبِتُــهُ ** مِنْ أَنَّ ذَا الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ
يَدْنو كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا ** يَشَــا وَلاَ كَيْــفَ فِي وَصْــفٍ لَــهُ يَــرِدُ
وَكُــلُّ أَسْــمَائِهِ الحُسْــنَى نُقِرُّبِهَــا ** مِمَّــا عَلِمْنَــا وَمِمَّــا اسْــتأْثَرَ الصَّــمَدُ
مُسْــتَيْقِنِيْنَ بِمَــا دَلَّــتْ عَلِيْــهِ وَمِــنْ ** ثَلاثَــةِ الأَوْجُــهِ اعْلَــمْ ذِكْرَهــا يَــرِدُ
دَلَّــتْ عَلَــى ذَاتِ مَوْلاَنَــا مُطَابَقَــةً ** بِــهِ تَلِيْــقُ بِهَــا الــرَّحْمنُ مُنْفَــرِدُ
كَــذَا تَضَــمَّنَتِ الْمُشْــتَقَّ مِــنْ صِفَةٍ ** نَحْــوَ الْعَلِــيْمِ بِعِلْــمٍ ثُــمَّ تَطَّــرِدُ
كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ بَاقِي الصِّفَاتِ كَمَا ** لِلْقُــدْرَةِ اسْــتَلْزَمَ الــرَّحْمنُ وَالصَّــمَدُ
وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْوحْيَيْنِ مِنْ صِفَةٍ ** للهِ نُثْبِتُهَـــا والـــنَّصَّ نَعْتَمِـــدُ
صِـــفَاتُ ذَاتٍ وَأَفْعَـــالٌ نُمِـــرُّ وَلاَ ** نَقُوْلُ كَيْفَ وَلاَ نَنْفي كَمَنْ جَحَدُوا
لَكِــنْ عَلَــى مَــا بِمَوْلاَنَــا يَلِيْــقُ كَمَــا ** أَرَادَهُ وَعَنَـــــاهُ اللهُ نَعْتَقِـــــدُ
وَفِي الشَّــهادَةِ عِلْــمُ القَلْــبِ مُشْــتَرَطٌ ** يَقِيْنُــهُ انْقِــدْ قَبُــوْلٌ لَــيْسَ يُفْتَقَــدُ
إِخْلاصُكَ الصِّدْقُ فِيْهَا مَعْ مَحَبَّتِهَا ** كَــذَا الْــوَلاَ وَالْبَــرا فيهــا لَهَــا عَمُــدُ
فِيه نُوالِي أُولِى التّقْوَى وَتنْصُرُهُمْ ** وَكُــلُّ أَعْدَائِــهِ إِنَّــا لَهُــمْ لَعَــدُو

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**وَكُلُّ دَاعٍ إِلى مَنْ رَافعٌ يَدَهُ؟**): هذا دليل من أدلة العلو، وفي حديث سلمان: «**إن الله حييٌ كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا**»؛ إذًا من أدلة العلو رفع اليدين في الدعاء؛ والمصنف أو الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في تقرير هذا الدليل: (**وَكُلُّ دَاعٍ إِلى مَنْ رَافعٌ يَدَهُ؟**)؛ هذا من أدلة العلو قال يرفع يديه إليه، فرفع اليدين في الدعاء من دلائل علو الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وإلَّا لو لم يكن في العلو لم يكن لرفع اليدين أي معنى، وفي الابتهال ماذا يحدث؟ يزيد الرفع حتى يُرى بياض ابطيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الاستسقاء؛ فهذا الرفع دليلٌ من أدلة علو الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على عرشه.

(**إِلاَّ إلى مَنْ يَجِي مِنْ عِنْدِهِ المَدَدُ**): أي: الله؛ هذا الرفع لله الذي يأتي من عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَى المدد والغوث والخير والبركة، فيرفع يديه يطلب منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، يطلب من الذي يجيئ -أي يأتي- من عنده المدد.

لـمَّا ساق الأدلة على علو الله؛ لم يتقصَّ الأدلة وإنما ذكر طرفًا منها؛ ولهذا قال مشيرًا إلى كثرتها:

(**وَكَمْ لِهَذَا بِرَاهِيْنًا مُؤَيِّدَةً**): أي: أن هذا الذي هو العلو له براهين كثيرة، و(**كَمْ**) للتكثير؛ أي: كثيرة البراهين التي تؤيد علو الله، ابن القيم -رحمة الله عليه- في [النونية] يقول:

يـا قومنـا والله إن لقولنـا ألفًـا ** تـــدل عليـــه بـــل ألفـــان

قولنا: أي: علو الله، فالأدلة المؤيدة لعلو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى كثيرة جدًا. والناظم هنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- لما ذكر طرفًا من هذه الأدلة مقتصرًا عليه أشار بهذا البيت إلى كثرة الأدلة الدالة على علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، بقوله: (**وَكَمْ لِهَذَا**)؛ أي: علو الله. (**بِرَاهِيْنًا مُؤَيِّدَةً**).

(**وَحِيْنَ يَسْمَعُهَا الجَهْمِيُّ يَرْتَعِدُ**): يعني لما تُقرأ وتُتلى هذه الآيات. (**يَرْتَعِدُ**)؛ أي يقشعر الجهمي منها، ولا يطيق سماعها؛ لأنها تنقض عقيدته، وتهدم ديانته، وتبطل مقالته؛ ولهذا يرتعد الجهمي.

يقول ابن القيم -رحمة الله عليه- في كتابه [**الصواعق**]: "جمعنا مجلس بأحد هؤلاء -وكان البحث في صفة الكلام-؛ فقال: أنا أضيف الكلام إلى الله -ويقصد بالإضافة إضافة خلق-، لكن ما الدليل الصريح على أن الله تكلم ويتكلم؟ أعطوني نص صريح ودليل على أن الله تكلم ويتكلم، قال ابن القيم: فقال أحد أصحابنا الحاضرين: قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: "ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحي يُتلى"، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا تكلم الله بالوحي**». وساق له بعض أدلة أخرى، قال ابن القيم: فزوى بوجهه كأنما ذاق أخبث طعمٍ أو شم أنتن ريح!! وهذا موضع الشاهد وهذا من طبيعة الجهمي -والعياذ بالله-؛ لا يقيم حُرمةً للنصوص، وإذا تُليت زوى وأبغض ذلك وكره ذلك، بل نُقل عن الجهم -شيخ هؤلاء الذي تُنسب إليه مقالة الجهمية- أنه قال: لو وجدت سبيلًا إلى حك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:٥]؛ من المصحف لحككتها!

فهذه الآيات والنصوص والدلائل على علو الله وعلى صفاته التي تبطل عقائد الجهمية برمتها؛ لا يطيق هؤلاء سماعها، ويقشعرون منها.

ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَحِيْنَ يَسْمَعُهَا الجَهْمِيُّ يَرْتَعِدُ**)؛ إذًا هذه الآيات يمكن أن نقول أنها رُقية؛ إذا بُليت يومًا بمجلس مع جهمي؛ فعليك بهذه الآيات؛ لا تدخل معه في جدل عقيم، اقرأ الآيات إما أن يُشفى، وإما أن يُدبر ويولي عن المجلس؛ اقرأ عليه، قل له: خذ هذه الآية الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، اتلوا عليه الآيات؛ فإما أن يُشفى من مرض التجهم، أو أن يُولي من المكان مُدبرًا؛ لأنه لا يطيق ذلك، فإما أن تكون شفاءً له من سقمه، أو يذهب من المكان وتسلم من شره وشبهه، لكن لا تدخل معه في جدلٍ عقيم.

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**وَنَحْنُ نُثْبِتُ**)؛ وهذه طريقة أهل السنة. (**وَنَحْنُ نُثْبِتُ مَا الْوَحْيَانِ تُثْبِتُهُ ... مِنْ أَنَّ ذَا الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ**): هذه طريقتنا، نحن نثبت ما أثبته الوحيان، طريقتنا هذه، مثل ما قال بعض السلف مقررًا طريقتهم؛ قال: ندور مع السُّنة حيث دارت؛ أي: نفيًا وإثباتًا؛ فما ثبت في السُّنة أثبتناه، وما نـفيَ نفيناه، وهذا معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَنَحْنُ نُثْبِتُ مَا الْوَحْيَانِ تُثْبِتُهُ**)؛ الذي يثبته الوحيان نثبته، والذي تنفيه الوحيان ننفيه، لا نزيد على الكتاب والسنة، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والحديث".

قال: (**يَدْنوَ كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا يَشَا**): كل هذا نعتقده، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سورة البروج، من الآية:١٦]؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (**يَدْنوَ كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا يَشَا**): كل نثبته في ضوء ما دل عليه كتاب ربنا وسُنة نبينا -صلوات الله وسلامه عليه-.

(**يَدْنوَ كَمَا شَاءَ مِمَّنْ شَا وَيَفْعَلُ مَا يَشَا وَلاَ كَيْفَ**): التكييف باطل، وطريقة أهل السنة في الصفات إمرارها كما جاءت بلا كيف، فالتكييف باطل، لا يجوز أن يُخاض في صفات الله بكيف، لا يقال: كيف يدنو؟، ولا يُقال: كيف ينزل؟، ولا يُقال: كيف استوى على العرش؟، قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب"؛ فلا يجوز السؤال عن صفةٍ من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بكيف.

قال: (**وَلاَ كَيْفَ فِي وَصْفٍ لَهُ يَرِدُ**): يعني: لا يقال: كيف في أي وصفٍ يرد من صفات الله، في كتابه أو سنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل نُمر الصفات كما جاءت، ونؤمن بها كما وردت بدون تكييف.

وقوله: (**وَلاَ كَيْفَ**): المراد به: "لا تكييف"، أي: لا نُكيف، ونفي التكييف هو نفي علمنا بالكيفية، أما الصفات من حيث هي فلها كيفية يعلمها رب العالمين.

ثم قال: (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّ بِهَا**): أي: نُقر بكل بأسماء الله الحسنى.

نسأل سؤال في أدلة العلو: هل منكم من عدَّها؟ عديتها؟

عشرة، اثنى عشر، إحدى عشر، عشرين، ابن القيم عدَّ أنواع العلو في النونية عشرين، وذكرها في النونية بالأرقام: "ثالثها، رابعها، خامسها..."، عشرين نوع تدل على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فكم نوعًا ذكر الناظم هنا؟ اثني عشر؟ عدَّها.

مداخلة: ..... (١:١٣:٣٥)

باقي واحد، عروج النبي، ما عديته؟! على اعتبار أن العروج....

مداخلة: ..... (١:١٥:٠٠)

العروج دليل؛ عروج الملائكة وعروج النبي إذا قلت: عروج بعض المخلوقات يشمل، فهذه لك ولك مني أنا بعد جائزة.

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّبِهَا**)؛ قوله: (**وَكُلُّ**)؛ مفعول مقدم، نقر بكل أسماء الله الحسنى، (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّبِهَا ... مِمَّا عَلِمْنَا وَمِمَّا اسْتأْثَرَ الصَّمَدُ**)؛ أي: نقر بأسماء الله الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، كما في حديث ابن مسعود المعروف بحديث: (الهَم)؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما أصاب عبدٌ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهمَّ إني عبدُك، ابنُ عبدِك، ابنُ أمَتِك، ناصيَتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسَك، أو أنزلته في كتابِك، أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك**»؛ فنحن نؤمن بكل أسماء الله الحسنى، سواء منها ما علمناه في القرآن وفي السنة، أو ما لم نعلمه، نؤمن به إجمالًا، فنحن نؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وليست أسماء الله الحسنى محصورةً فيما ورد في الكتاب والسنة؛ بل هناك أسماء حسنى لله استأثر الله بالعلم بها.

وجاء في حديث الشفاعة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يعلمني محامد أحمده بها لا أعلمها الآن**»، من حُسن الثناء عليه؛ فيُعلمه الله في ذلك اليوم أسماء يثني على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها غير الأسماء الموجودة في الكتاب والسنة. فهناك أسماء استأثر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعلم بها.

والتوسل إلى الله بأسمائه هو أعظم وسيلة يتوسل بها إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

قال: (**وَكُلُّ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى نُقِرُّبِهَا... مِمَّا عَلِمْنَا**)؛ أي: مما ورد في الكتاب والسنة، (**وَمِمَّا اسْتأْثَرَ الصَّمَدُ**)؛ أي: مما استأثر الله العلم به كما في الحديث المتقدم: «**أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك**».

(**مُسْتَيْقِنِيْنَ بِمَا دَلَّتْ عَلِيْهِ**): يعني نحن نؤمن بالأسماء، وأيضًا عندنا يقين بما دلت عليه من الأوصاف، فهي عندنا ليست أسماءً جامدة، ولا أعلامًا محضة؛ بل هي أسماء دالةٌ على أوصاف؛ فهي أعلامٌ وأوصاف؛ ولهذا فنحن على يقين مما دلت عليه؛ فنؤمن بالسميع اسمًا لله، والسمع صفة، ونحن على يقين بثبوت السمع له، البصير اسمًا لله، والبصر صفة، ونحن على يقين بثبوت البصر صفةً له، وهكذا في جميع الصفات. (**مُسْتَيْقِنِيْنَ بِمَا دَلَّتْ عَلِيْهِ**).

(**وَمِنْ ثَلاثَةِ الأَوْجُهِ اعْلَمْ ذِكْرَها يَرِدُ**): أي: أن أدلة أو دلالات الأسماء الحسنى على المعاني والأوصاف هي من ثلاثة أوجه، يعني يرد من ثلاثة وجوه دلالات أسماء الله الحسنى من ثلاثة وجوه، ونحن نؤمن بما دلت عليه أسماء الله الحسنى من الأوجه الثلاثة؛ ما هي؟

يبينها -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الأبيات التي بعدها:

(**دَلَّتْ عَلَى ذَاتِ مَوْلانَا مُطَابقةً ... بِهِ تَلِيْقُ بِهَا الرَّحْمنُ مُنْفَرِدُ**): هذا النوع الأول: دلالة أسماء الله بالمطابقة؛ لأن أنواع الدلالات ثلاثة: المطابقة، والتضمن، والالتزام.

ونحن نؤمن بما دلت عليه أسماء الله من هذه الأوجه الثلاثة: المطابقة، والتضمن، والالتزام.

والمطابقة: هي دلالة اللفظ على كامل معناه؛ فدلالة الاسم على الذات والصفة هذه مطابقة؛ لأن هذه هي دلالة الاسم بكامل معناه؛ فالاستدلال بالاسم على كامل معناه -أي: على الذات والصفة- هذه مطابقة، وإليه الإشارة في قوله: (**دَلَّتْ عَلَى ذَاتِ مَوْلانَا مُطَابقةً ... بِهِ تَلِيْقُ بِهَا الرَّحْمنُ مُنْفَرِدُ**)؛ فأشار -رحمة الله عليه- هنا إلى دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على كامل المعنى، فنُثبت لله من اسمه الرحمنِ الذاتَ، ونُثبت أيضًا الصفة التي هي الرحمة؛ فإذا استدللنا بالرحمن على الذات والصفة فالدلالة مطابقة.

(**كَذَا تَضَمَّنَتِ الْمُشْتَقَّ مِنْ صِفَةٍ ... نَحْوَ الْعَلِيْمِ بِعِلْمٍ ثُمَّ تَطَّرِدُ**): أي: في بقية الأسماء، فإذا استدللت بالاسم على بعض معناه؛ كالاستدلال بالعليم على صفة العلم، والرحيم على صفة الرحمة، والعزيز على العزة، وهكذا؛ فهذه دلالة تضمن؛ لأن اسم الله العزيز يتضمن ثبوت العزة صفةً له، واسمه جَلَّ وَعَلَا العليم يتضمن ثبوت العلم صفةً له، فإذا استدللت بالعليم على العلم؛ فالاستدلال تضمن.

(**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ**): هذا النوع الثالث، يعني: يمكن ترقم:

١- (**دَلَّتْ عَلَى ذَاتِ مَوْلانَا مُطَابقةً**).

٢- (**كَذَا تَضَمَّنَتِ**).

٣- (**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ**)؛ دلالة الالتزام. (**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ بَاقِي الصِّفَاتِ**)؛ دلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على أمرٍ خارج معناه؛ فهذه تسمى دلالة الالتزام.

مثل أن تقول: أنا أستدل على كون الله حي باسمه السميع، أو أستدل بحياته على قدرته؛ فهذه تسمى دلالة التزام.

قال: (**كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ بَاقِي الصِّفَاتِ كَمَا**)؛ هذا مثال. (**كَمَا لِلْقُدْرَةِ اسْتَلْزَمَ الرَّحْمنُ وَالصَّمَدُ**): الآن لو استدللت باسم الله "الرحمن" على ثبوت القدرة صفةً له، أو استدللت باسمه الصمد على ثبوت القدرة له؛ ما نوع الاستدلال؟ هل هو مطابقة أو تضمن أو التزام؟ التزام؛ لأنك استدللت باللفظ على أمرٍ خارج معناه. فتقول: أنا أستدل بكون الله قدير باسمه الصمد، أو باسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَى "الرحمن"؛ فالرحمن دليل على أنه قدير، الصمد دليل على أنه قدير. فهذه الدلالة تسمى دلالة التزام. هذا معنى قول المصنف: (**بِمَا دَلَّتْ عَلِيْهِ وَمِنْ... ثَلاثَةِ الأَوْجُهِ**)؛ المطابقة والتضمن والالتزام نحن نؤمن بأسماء الله بما دلت عليه سواء مطابقةً أو تضمنًا أو التزامًا.

- والمطابقة دلالة اللفظ على كامل معناه.
- والتضمن دلالة اللفظ على بعض معناه.
- والالتزام دلالة اللفظ على أمرٍ خارج معناه.

(**وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْوحْيَيْنِ مِنْ صِفَةٍ ... للهِ نُثْبِتُهَا والنَّصَّ نَعْتَمِدُ**): أي: طريقتنا في الصفات أننا نثبت كل ما جاء في الوحيين؛ كما تقدم في قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والحديث".

(**صِفَاتُ ذَاتٍ وَأَفْعَالٌ**): وهذا فيه أن الصفات نوعان:

صفات ذاتية وصفات فعلية، الذاتية: كالوجه واليدين والسمع والبصر، والفعلية: كالرحمة والرزق والإحياء والإماتة وغيرها، فنحن نثبت صفات الله الذاتية التي لا تنفك عن الذات ولا تعلق لها بالمشيئة، والفعلية التي هي متعلقة بالمشيئة، كل ذلكم نثبته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**نُمِرُّ وَلاَ نَقُوْلُ كَيْفَ**): كما قال السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: "أمروها كما جاءت بلا كيف"؛ هذه عبارة السلف صاغها رَحِمَهُ ٱللَّهُ شعرًا، قالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف".

والناظم قال: (**نُمِرُّ وَلاَ نَقُوْلُ كَيْفَ**): نمرها كما جاءت، أي: نؤمن بها كما وردت، وهي وردت محملة بالمعاني. فإمرارنا لها كما جاءت أي: بإثبات معانيها.

وقوله: بلا كيف: أي: لا نكيف، لا نخوص في الكيفية، الله أعلم بكيفية صفاته.

(**وَلاَ نَنْفِي كَمَنْ جَحَدُوا**): أي: المعطلة، (**وَلاَ نَنْفِي**)؛ أي: الأسماء والصفات.

(**كَمَنْ جَحَدُوا**): أي: كما جحد المعطلة أسماء الله وصفاته.

(**لَكِنْ عَلَى مَا بِمَوْلاَنَا يَلِيْقُ كَمَا ... أَرَادَهُ وَعَنَاهُ اللهُ نَعْتَقِدُ**): أي: طريقتنا في إثبات الصفات أننا نثبتها لله على ما يليق بالله. أي: نثبت صفات الله لله على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (**كَمَا أَرَادَهُ وَعَنَاهُ اللهُ نَعْتَقِدُ**)؛ أي: نثبتها له على الوجه الذي يليق به كما أراده وعناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا الذي نعتقده وندين الله به.

قال: (**وَفِي الشَّهادَةِ**): أي: شهادة أن لا إله إلا الله، (**عِلْمُ القَلْبِ مُشْتَرَطٌ**)؛ هنا يذكر شروط لا إله إلا الله التي لا تُقبل لا إله إلا الله إلا بها، كما جاء عن وهب بن منبِّه؛ قيل له: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: "بلى، ولكن ما من مفتاحٍ إلا وله أسنان؛ فإن جئت بمفتاحٍ له أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتح"، يشير إلى شروط لا إله إلا الله. فـ(لا إله إلا الله) لها شروط لا تكون مقبولةً إلا بها.

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبيات يسوق الشروط. شروط لا إله إلا الله.

بدأها بالعلم، قال: (**وَفِي الشَّهادَةِ عِلْمُ القَلْبِ**): العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل.

(**مُشْتَرَطٌ**): أي: شرطٌ لقبول لا إله إلا الله. قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وفي القرآن: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد، من الآية:١٩].

(**يَقِيْنُهُ**): هذا الشرط الثاني -نضع واحد فوق (**عِلْمُ**)، ونضع اثنين فوق (**يَقِيْنُهُ**)-، (**يَقِيْنُهُ**): هذا الشرط الثاني من شروط لا إله إلا الله؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**». اشترط اليقين، واليقين هو انتفاء الشك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [سورة الحجرات، من الآية:١٥]؛ أي: أيقنوا ولم يشكُّوا.

(**أُنْقَدْ**): هذا الشرط الثالث، وهو الانقياد المنافي للترك بلزوم وفعل ما تقتضيه لا إله إلا الله من الخضوع والذل والامتثال لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**قَبُوْلٌ**): هذا الشرط الرابع، أي: قبول لهذه الكلمة وعدم رد لها، خلافًا لحال المشركين الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [سورة الصافات، من الآية:٣٥-٣٦].

(**قَبُوْلٌ لَيْسَ يُفْتَقَدُ**): أي: لا يفتقد في شروط لا إله إلا الله، وفي المحافظة عليه من أهل لا إله إلا الله.

(**إِخْلاصُكَ**): هذا الخامس، والإخلاص ينافي الشرك والرياء؛ بأن يكون التوحيد صافيًا نقيًا، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة، من الآية:٥].

(**الصِّدْقُ**): هذا السادس، والصدق المنافي للكذب خلافًا لمن ينطق بالشهادة بلسانه غير معتقدٍ لما دلت عليه في قلبه، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون، من الآية:١]؛ أي: بألسنتهم فقط، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون، من الآية:١].

(**مَعْ مَحَبَّتِهَا**): هذا السابع من شروط لا إله إلا الله المحبة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥].

(**كَذَا الْوَلاَ وَالْبَرا فيها لَهَا عُمُدُ**): هذا الثامن من شروط لا إله إلا الله؛ أي من شروطها البراءة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله**»، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٦]؛ وهذا الشرط الثامن، بعض أهل العلم يضيفه، وبعضهم لا يضيفه لدلالة الشروط المذكورة عليه.

وفي سلم الوصول نظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- أيضًا الشروط بأبيات، من يحفظها؟

الْعِلْـــمُ وَالْيَقِـــينُ وَالْقَبُـــولُ ** وَالِانْقِيَـادُ فَـادْرِ مَـا أَقُـولُ

وَالصِّـدْقُ وَالْإِخْـلَاصُ وَالْمَحَبَّـةْ ** وَفَّقَـكَ اللهُ لِمَـا أَحَبَّـه

(**فيهَا نُوالي أولى التّقْوَى وَتنْصُرُهُمْ**): (**فيهَا**)؛ أي: "لا إله إلا الله" كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، كلمة الإخلاص.

(**وَكُلُّ أَعْدائِهِ إِنَّا لَهُمْ لَعَدُو**): فـ(لا إله إلا الله) فيها نوالي وفيها نعادي.

المتن:

قال رَحِمَهُٱللَّهُ:

والشِّـرْكُ جَعْلُـكَ نِـدًّا لِلإِلـهِ وَلَـمْ ** يُشـارِكِ اللهَ في تَخْليْقِنَـا أَحَـدُ

تَـدْعُوْهُ تَرْجُـوْهُ تَخْشَـاهُ وَتَقْصِـدُهُ ** شَـرٍّ وَمِنـهُ الْخَيْـرَ تَرْتَفِـدُ

وَعِلْمُـهُ بِـكَ مَـعْ سَـمْعِ الـدُّعَاءِ وَقُـدْ ** رَةٍ وسُـلْطَانِ غَيْـبٍ فيْـهِ تَعْتَقِـدُ

مِثْلَ الأُلى بِدُعَا الأَمْوَاتِ قَدْ هَتَفُوا ** يَرْجُوْنَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لُحِدُوا

وَكَـمْ نُـذُوْرًا وَقُرْبَانًـا لَهَـا صَـرَفوا ** ظُلْمًا وَمِنْ أَنْفَسِ الْمَنْقُوْشِ كَمْ نَقَدُوا

وَكَـمِ قِبَابًـا عَلِيْهَـا زُخْرِفَـتْ وَلَهَـا ** أُعْلِـي النَّسِـيْجُ كِسَـاءً لَـيْسَ يُفْتَقَـدُ

فَهُـمْ يَلُـوْذُوْنَ في دَفْـعِ الشُّـرُورِ بِهَـا ** كَمَا لَهَا في قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا

وَيَصْـرِفُونَ لَهَـا كُـلَّ الْعِبَـادَةِ دُوْ ** نَ اللهِ جَهْـرًا وَلِلتّوحِيْـد قَـدْ جَحَـدُوا

إِنْ لَـمْ تَكُـنْ هَـذِهِ الأَفْعَـالُ يَـا عُلَمَـا ** شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟ قولوا لـي أَوِ ابْتَعِدُوا

إِنْ لَـمْ تَكُـنْ هَـذِهِ شِـرْكًا فَلَـيْسَ عَلَـى ** وَجْـهِ الْبَسِـيْطَةِ شِـرْكٌ قَـطُّ يُنْتَقَـدُ

طيب.. لعلنا نقف.. والله تعالى أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المجلس الثالث

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله وسلَّم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعِين.

المتن:

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصلٌ: في بيان الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ وَلَمْ ** يُشارِكِ اللهَ في تَخْلِيْقِنَا أَحَدُ
تَدْعُوْهُ تَرْجُوْهُ تَخْشَاهُ وَتَقْصِدُهُ ** لِدَفْعِ شَرٍّ وَمِنهُ الْخَيْرَ تَرْتَفِدُ
وَعِلْمُهُ بِكَ مَعْ سَمْعِ الدُّعَاءِ وَقُدْ ** رَةٍ وسُلْطَانِ غَيْبٍ فيْهِ تَعْتَقِدُ
مَثْلَ الأُلى بِدُعَا الأَمْوَاتِ قَدْ هَتَفُوا ** يَرْجُوْنَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لُحِدُوا
وَكَمْ نُذُوْرًا وَقُرْبَانًا لَهَا صَرَفوا ** ظُلْمًا وَمِنْ أَنْفَسِ الْمَنْقُوْشِ كَمْ نَقَدُوا
وَكَمِ قِبَابًا عَلِيْهَا زُخْرِفَتْ وَلَهَا ** أَغْلِي النَّسِيْجُ كِسَاءٌ لَيْسَ يُفْتَقَدُ
فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ في دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا ** كَمَا لَهَا في قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا
وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ دُوْ ** نَ اللهِ جَهْرًا وَلِلتّوحِيْد قَدْ جَحَدُوا
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَفْعَالُ يَا عُلَمَا ** شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟ قولوا لي أَوِ ابْتَعِدُوا
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ شِرْكًا فَلَيْسَ عَلَى ** وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ شِرْكٌ قَطُّ يُنْتَقَدُ

الشرح:

قال الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: فصلٌ (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**)؛ فهذا حدُّ الشِّرْك وضابطه، الشِّرْك جَعْلُ ندٍّ للإله، والنِّدُّ هو: المساوِ والمماثل والنظير، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾[سورة البقرة، من الآية:٢٢]؛ أي: شركاء، ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، من الآية:٢٢].

قال: (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**)؛ أي: جعْلُك مساويًا وشريكًا ونديدًا للإله، والشِّرْك: التسوية، قد قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة الشعراء، الآيتان:٩٧-٩٨]؛ فالشِّرْك بالله هو: تسوية غير الله به، وهو معنى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**).

(**وَلَمْ يُشارِكِ اللهَ فِي تَخْلِيْقِنَا أَحَدُ**)؛ أي: أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تفرَّد بالخَلْق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير لا شريك له؛ فوَجَبَ أن يُفرَد بالعبادة وحده لا نِدَّ له، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢١]؛ أي: أخلِصوا العبادة والتوحيد للذي تفرَّد بالربوبية والخَلْق، لم يُشاركه أحد.

قوله: (**تَدْعُوْهُ**) إلى آخره؛ هو بمثابة التوضيح لقوله: (**والشِّرْكُ جَعْلُكَ نِدًّا لِلإِلهِ**)؛ ندًّا له أي: في الدعاء، أو الرجاء، أو الخشية، أو أن يُقصَد في دَفْع الشر أو جَلْب الخير؛ هذا كلُّه شِرْكٌ بالله.

فالشِّرْك: اتِّخاذُ ندٍّ مع الله يُدعَى، ويُرجَى، ويُذبَح له ويُنذَر، ويُخضَع له ويُذلُّ، وتُصرَف له العبادة؛ هذا هو الشِّرْك.

قال: (**تَدْعُوْهُ تَرْجُوْهُ تَخْشَاهُ وَتَقْصِدُهُ ... لِدَفْعِ شَرٍّ وَمِنهُ الْخَيْرَ تَرْتَفِدُ**): (**تَرْتَفِدُ**)؛ أي: تطلب، فالشِّرْك هذا هو معناه.

وأيضًا من الشِّرْك قوله في البيت الثالث: (**وَعِلْمُهُ بِكَ مَعْ سَمْعِ الدُّعَاءِ وَقُدْ... رَةٍ وسُلْطَانِ غَيْبٍ فِيْهِ تَعْتَقِدُ**):

أي: ومن الشِّرْك أن يعتقد الإنسان في مخلوقٍ من المخلوقات عِلمه بالعباد، وسَمْعه الدعاء، وقُدرته وسُلطانه، ونحو ذلك من خصائص الله.

البيت الذي قبله الذي صدره (**تَدْعُوْهُ**)؛ هذا شِرْكٌ في حقوق الله.

والبيت الذي يليه وهو المُصدَّر بقوله: (**وَعِلْمُهُ بِكَ**)؛ هذا شِرْكٌ في خصائص الله.

الأول: شِركٌ في حقوقه على عباده، وهي:

- الدعاء والرجاء والخشية.
- وأن يُقصَد وحده في جَلْب النَّعماء ودَفْع الضُّرِّ والبلاء.

ونحو ذلك من أنواع العبادة.

والبيت الثاني: شِرْكٌ في خصائص الله:

- مثل: العِلم بالقلوب.
- ومثل: سَمعه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الدَّاعِين.
- وقدرته جَلَّ وَعَلَا على كل شيء.
- وسُلطانه وقهره للمخلوقات.

فمَن جَعَلَ هذه الخصائص أو شيئًا منها لغير الله فقد أشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم ضَرَبَ مثالًا قال: (**مَثَلَ الأُلى**)؛ أي: مثل الذين بدعاء الأموات (**قَدْ هَتَفُوا**)؛ مثل الذين هتفوا بدعاء الأموات.

(**هَتَفُوا**)؛ أي: عجُّوا ورفعوا أصواتهم بدعاء الأموات، يدعون الأموات.

(**يَرْجُوْنَ**)؛ أي: من الأموات، (**نَجْدَتَهُمْ**)؛ أي: إغاثتهم، وكَشْف ضُرِّهم، وإغاثة لهفتهم، وقضاء حاجتهم.

(**يَرْجُوْنَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لُحِدُوا**)؛ أي: من بعد أن دُفِنَ الأموات في قبورهم، فيأتون إلى الميِّت في قبره بعد أن يُدفَن في قبره ويكون رهِين عمله ورهِين كَسْبه في هذه الحياة؛ فيأتون إلى قبره ويُنزلون به حاجاتهم وطلباتهم، طالبِين منه المدد، طالبِين منه الغَوْث، طالبِين منه العون، طالبِين منه الشِّفاء، طالبِين منه الولد، مقدِّمِين له النُّذور والقرابين.

قال: (**وَكَمْ نُذُوْرًا**). (**وَكَمْ**)؛ للتكثِير.

(**وَقُرْبَانًا لَهَا صَرَفوا**)؛ أي: كم صَرَفَ هؤلاء المشركون لهذه القبور من النُّذور والقرابين.

النُّذور مثل: الزيوت، والشموع، والورود، والزهور، ونحو ذلك من التي ينذرها الواحد على نفسه أن يجعلها للضريح تقرُّبًا.

والقرابين: من بهيمة الأنعام، ويختارون أطايبها وأنفسها.

(**لَهَا صَرَفوا**)؛ أي: صرفوها لهذه القبور، وهذا من الشِّرْك بالله؛ لأنَّ النَّذْر عبادة، والقرابين عبادة، والعبادة حقٌّ لله ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾[سورة الإنسان، من الآية:٧]، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سورة الأنعام، من الآيتان: ١٦٢-١٦٣].

قال: (**لَهَا صَرَفوا ظُلْمًا**)؛ والشِّرْك أظلم الظُّلم وأشنعه؛ لأنَّ الظُّلم وَضْع الشيء في غير موضعه، وأيُّ ظُلمٍ أشنع من وَضْع العبادة في غير موضعها.

(**وَمِنْ أَنْفَسِ الْمَنْقُوْشِ كَمْ نَقَدُوا**). (**الْمَنْقُوْشِ**)؛ أي: الدراهم والدنانير المنقوشة المزيَّنة المزخرفة المُجمَّلة التي تحمل قِيمة مالية، فيأتون بأموال كثيرة وباهظة ويتقرَّبُون بها للضريح، يُلقونها داخل الضريح.

(**وَكَم قِبَابًا عَلِيْهَا زُخْرِفَتْ**)؛ ورَفْع القبور ووَضْع القِباب العالية عليها من أسباب الشِّرْك ودواعيه، وقد نَهَى النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن تشييد القبور، ورَفْع الأبنية عليه، وبَعَثَ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن لا يَدَعَ قَبْرًا مشِيدًا إلَّا سوَّاه؛ صيانةً منه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحمايةً لحِمَى التوحيد، وسدًّا لذرائع الشِّرْك.

وإذا بُنِيَ على القبر وشُيِّدَت القِباب العالية، وزُخرِف وجُمِّل ووضعت الستائر والشموع؛ إذا دخل العامِّي الجاهل؛ أَخَذَه جمال الزخرفة وجمال البناء، وروعة المنظر وهيبة المكان التي تقع في نفسه؛ فيبدأ في خطواتٍ نحو الشرك بالله: عكوفًا، استغاثةً، دعاءً، نذرًا، تقرُّبًا.

ولذا سدَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذرائع الشرك؛ فنهى عن البناء والتشييد على القبور، وأن يُسوَّى القبر، ولا يُرفَع إلا شبر، وتكون القبور متساوية؛ فيأمن ويَسْلَم الناس من الفتنة.

لكن إذا خُولف أمره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وارتُكِبَت المُحدَثَات والضلالات؛ نشأ عنها وقوع الشِّرْك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**وَلَهَا أَغْلِي النَّسِيْجُ كِسَاءٌ لَيْسَ يُفْتَقَدُ**)؛ أي: لا يُفتَقَد في تلك الأضرحة، وفي تلك المواضع وتلك القِباب.

(**أُغْلِي النَّسِيْجُ**)؛ أي: أعلاه ثمنًا، يختارون من النسيج -أي: من القماش والكساء- أغلاه ثمنًا، ويُوضَع، مثل الستور والستائر المحيطة بالقبر، ويضعونها بأشكال مزخرفة ومنمَّقة ومجمَّلة بحيث تأخذ قلوب العوام والجُهَّال.

قال: (**فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ فِي دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا ... كَمَا لَهَا فِي قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا**): أي: أنَّ هؤلاء المشركون يقصدون تلك القبور لدَفْع الشرور، وأيضًا لقضاء الحاجات؛ فهم يقصدونها في السرَّاء والضرَّاء، وفي الشِّدة والرخاء، يقصدونها في جلب النَّعماء وفي دَفْع الضُّرِّ والبلاء. ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٣٨]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٢].

الأمر كله بيد الله، جَلْب النَّعماء وكَشْف الضُّرِّ والبلاء؛ لكن القوم يلوذون بها في دَفْع الشرور، يُصيب الواحد منهم مرض، أو سقم، أو جائحة، أو مصيبة، أو بلية؛ فيفزع إلى القبر أو إلى المقبور؛ يطلب منه كَشْف ضُرِّه.

وإذا أيضًا احتاج مالًا، أو زوجةً، أو ولدًا أو غير ذلك؛ أيضًا ذهب إلى القبر وطلب منه.

(**فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ فِي دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا... كَمَا لَهَا فِي قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا**)؛ (**وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ**): كل العبادات؛ الدعاء، الذبح، النذر، السجود، يُرى بعضهم يضع جبهته مستقبلًا القبر خاشعًا متذللًا باكيًا راجيًا

طامعًا من المقبور! يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [سورة الاعراف، من الآية:١٩٤]؛ هذا كله شركٌ صراح وكفرٌ بواح، (وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ دُوْنَ اللهِ جَهْرًا)؛ أي: لا حياء من الله ولا من عباد الله، مجاهرين بالشرك والكفر بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(وَلِلتّوحِيْد قَدْ جَحَدُوا): ذلك بأنه إذا دُعي الله وحده اشمأزت تنفر قلوبهم من التوحيد، وإذا دُعوا إلى التوحيد اشمأزوا ونفروا وجحدوا.

(وَلِلتّوحِيْد قَدْ جَحَدُوا): هذه الأمور التي يحكيها الشيخ ويعرضها مما يمارسه هؤلاء وأكثر منه عند القبور؛ ما هو:

يقول: (إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَفْعَالُ يَا عُلَمَا ... شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟): إن لم تكن هذه شركًا فلا يوجد شرك، الدعاء والذبح والنذر وطلب الحاجات، وقصدهم في كشف الضر والبلاء، وتقديم النذور والقرابين؛ فإن لم تكن هذه شرك فما هو الشرك؟

(قولوا لي أَوِ ابْتَعِدُوا): قولوا: ما هو الشرك، أليس هذا هو الشرك؟! أي: قولوا لي: نعم هذا هو الشرك، وأقروا بالحقيقة المؤلمة الأسيفة وأنكروا هذا المنكر.

(أَوِ ابْتَعِدُوا): أي: لستم مني ولستُ منكم.

(إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ شِرْكًا فَلَيْسَ عَلَى ... وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ شِرْكٌ قَطُّ يُنْتَقَدُ): البسيطة هي الأرض. (إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ شِرْكًا فَلَيْسَ عَلَى ... وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ شِرْكٌ قَطُّ يُنْتَقَدُ): لا يوجد على وجه الأرض شركٌ يُنتقد، إن لم تكن هذه الممارسات وهذه الأعمال شركٌ بالله.

فهذا الفصل بيَّن فيه الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- حقيقة الشرك.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **بابٌ: الإيمان بالملائكة:**

وَبِالْمَلَائِكَةِ الرُّسْلِ الْكِرامِ عِبَا ** دِ اللهِ نُؤْمِنُ خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا

مِنْ دُوْنِ رَبِّي تَعَالَى وَالتَّبَابُ لِمَنْ ** كَانُوا لَهُ وَلَهُمْ والْمُرْسَلِيْنَ عَدُو

بَلْ هُمْ عِبَادٌ كِرَامٌ يَعْمَلَوْنَ بِأَمْـ ** ـرِ اللهِ لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلاَ وَلَدُ

مِنْهُمْ أَمِيْنٌ لِوَحْيِ اللهِ يُبْلِغُهُ ** لِرُسْلِهِ وَهْوَ جِبْرِيْلٌ بِهِ يَفِدُ

وَللرِّيَاحِ وَقَطْرٍ وَالسَّحَابِ فَمِيْـ ** كَالُ بِذَاكَ إِلَيْهِ الْكَيْلُ وَالْعَدَدُ

كَـذَاكَ بالصُّـوْرِ إِسْـرافِيْلُ وُكِّـلَ وَهْـ ** ـوَ الآنَ مُنْتَظِـرٌ أَنْ يَـأْذَنَ الصَّـمَدُ
وَحَامِلُوا الْعَرْشِ مَعْ مَنْ حَوْلَهُمْ ذُكِرُوا ** وَزَائِـرُوا بَيْتِـهِ الْمَعْمُـوْرِ مَـا افْتُقِـدُوا
والحَـافِظُوْنَ عَلَيْنَـا الكَـاتِبُوْنَ لِمَـا ** نَسْعَى وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا
وَآخَـرُوْنَ بِحِفْـظِ العَبْـدِ قَـدْ وُكِلُـوا ** حَتَّـى إِذا جَـاءهُ المَقْـدُورُ لَـمْ يَفِـدُوا
وَالْمَـوْتُ وُكِّـلَ حَقًّـا بِالْوَفَـاةِ لِـرُو ** حِ الْعَبْـدِ قَبْضًـا إِذَا مِنْهَـا خَـلا الجَسَـدُ
وَمُنْكَـرٌ وِنَكِيْـرٌ وُكِّـلاَ بِسُـؤَا ** لِ العَبْـدِ فِي القَبْـرِ عَمَّـا كَـانَ يَعْتَقِـدُ
كَـذَاكَ رِضْـوَانُ فِي أَعْوَانِـهِ خَزَنُـوا ** لِجَنَّـةِ الخُلْـدِ بُشْـرَى مَـنْ بِهَـا وُعِـدُوا
كَـذَا زَبَانِيَـةُ النِّيْـرَانِ يَقْـدُمُهُمْ ** فِي شَـأْنِهَا مَالِـكٌ بِـالْغيْظِ يَتَّقِـدُ
وَآخَـرُوْنَ فَسَـيَّاحُوْنَ حَيْـثُ أَتَـوَا ** مَجَالِسَ الـذِّكْرِ حَفُّـوا مَـنْ بِهَـا قَعَـدُوا
وَغَيْـرُهُمْ مِـنْ جُنُـوْدٍ لَـيْسَ يَعْلَمُهَـا ** إِلاَّ الْعَلِـيْمُ الْخَبِيـرُ الْوَاحِـدُ الأَحَـدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان بالملائكة**): الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، وركنٌ من أركان الدين؛ قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٧٧]، وقال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٣٦]؛ فالإيمان بهم أصلٌ من أصول الإيمان، ومن لم يؤمن بالملائكة فهو كافر بالله؛ لأن من الإيمان بالله الإيمان بكل ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالإيمان به، والملائكة خلقٌ من خلق الله، وجنود من جنوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خلقهم جَلَّ وَعَلَا من نور، وسخرهم مطيعين له جَلَّ وَعَلَا، ممتثلين أوامره، قائمين بكل ما يأمرهم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يعصونه جَلَّ وَعَلَا في شيء مما يأمرهم به؛ ولهذا لا يوجد في الملائكة ما يسمى بالمعصية؛ فأحوالهم وشؤونهم وأعمالهم دومًا طاعة وامتثال. ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم، من الآية:٦].

وسُموا ملائكة من الألوكة وهي الرسالة؛ يقالُ: ألكني أي: أرسلني؛ فهم رسل؛ ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [سورة فاطر، من الآية:١].

وكلٌ له وظيفته ومهمته التي وُكل بها، وكل منهم قائم بما وُكِّل به على التمام كما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والواجب الإيمان بالملائكة كما أمر الله، وكما جاء في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن نؤمن بأسمائهم وأعدادهم وأوصافهم ووظائفهم إجمالًا فيما أُجمل، وتفصيلًا فيما فُصِّل؛ أي: ما ذُكر من ذلكم مجملًا نؤمن به مجملًا كما جاء، وما ذُكر من ذلك مفصلًا نؤمن به مفصلًا كما جاء، وفي هذا الباب يذكر الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- شيئًا مما يتعلق بهذا الأصل العظيم:

قال: (**وَبِالْمَلاَئِكَةِ الرُّسْلِ الْكِرامِ عِبَادِ اللهِ نُؤْمِنُ**): أي: من عقيدتنا، وأصولنا الراسخة، وأسسنا الثابتة أننا نؤمن بالملائكة -الرسل الكرام-، الرسل كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [سورة فاطر، من الآية:١]، والكرام كما قال الله سبحانه: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [سورة الانفطار، من الآية:١١]، الملائكة رسل كرام، وهم عبادٌ مكرمون عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فنحن نؤمن بهم، ونؤمن أنهم عبادٌ لله، وجندٌ من جنوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يفترون عن عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:٢٠].

(**خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا**): لاحظ! ذكر وصف العبودية، وصفهم بالعبودية؛ ثم تمَّم بقوله: (**خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا**)؛ لأن العبد لا يُعبد، فخاب من عبد العبد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٩٤]، فالعبد لا يُعبد، العبادة حق للمعبود، للرب العظيم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومعنى خاب أي: خسر، وباء بالخيبة من عبدهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**خَابوا مَنْ لَهُمْ عَبَدُوا مِنْ دُوْنِ رَبِّي**): أي: خاب وخسر من عبد الملائكة من دون الله تعالى.

(**وَالتَّبَابُ لِمَنْ كَانُوا لَهُ وَلَهُمْ والْمُرْسَلِيْنَ عَدُو**): التباب: الخسران؛ فيقول: أن الخسران لمن كانوا له ولهم والمرسلين عدوا؛ أي: من كانت الملائكة عدوًا له وكان عدوًا للملائكة وعدوًا للمرسلين فقد خاب وخسر. ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٩٨].

فخاب وخسر من كان بهذه الصفة عدو لله عدو للملائكة و عدو للرسل و عدو لجبريل و عدو لميكائيل و عدو لغيرهم من الملائكة فقد خاب و خسر. و التباب لمن كانوا له: أي الملائكة و لهم: أي كان لهم و المرسلين عدو.

(**بَلْ هُمْ**): أي: الملائكة. (**عِبَادٌ كِرَامٌ**)؛ عباد مكرمون، عباد كرمهم الله، كرام على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**بَلْ هُمْ عِبَادٌ كِرَامٌ يَعْمَلُوْنَ بِأَمْرِ اللهِ**): أي: لا يعصون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، (**يَعْمَلُوْنَ بِأَمْرِ اللهِ**)؛ أي: كل ما يقوم به الملائكة يقومون به تنفيذًا وقيامًا بما أمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به.

(**لَيْسَ لَهُ نِدٌّ**): فيه الرد على من جعل الملائكة شركاء لله.

(**وَلاَ وَلَدُ**): فيه الرد على من قال: إن الملائكة بنات الله -تعالى الله عما يقولون، وسبحان الله عما يصفون-.

ثم بدأ يذكر الملائكة بشيء من التفصيل بذكر بعض وظائفهم ومهامهم وأعمالهم وما وُكلوا به؛ فبدأ بأشرف الملائكة وأفضلهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قال: (**مِنْهُمْ أَمِيْنٌ لِوَحْيِ اللهِ يُبْلِغُهُ لِرُسْلِهِ**): (**مِنْهُمْ**)؛ أي الملائكة. (**أَمِيْنٌ**)؛ كما قال الله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٩٣-١٩٥]؛ فمنهم أمينٌ لوحي الله مهمته الإبلاغ -يبلغه-، (**يُبْلِغُهُ**)؛ أي: إلى الرسل، يبلغه لرسل الله، وهو جبريل.

(**بِهِ يَفِدُ**): أي: يأتِ ويقدم على رسل الله بالوحي، يسمع كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ووحيه منه سبحانه، وينزل به؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٩٢-١٩٥]؛ فهذا جبريل وهذه وظيفته -النزول بالوحي-.

(**وَللرِّيَاحِ وَقَطْرٍ وَالسَّحَابِ فَمِيكَالٌ**): الرياح والقطر والسحاب وكَّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به من الملائكة ميكال.

قد جاء في حديث يُرفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث ابن عباس، وحسنه بعض أهل العلم أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سُئل من للقطر والنبات -أي: من الملائكة- فقال: «**ميكال**».

(**بِذَاكَ إِلَيْهِ الْكَيْلُ وَالْعَدَدُ**): (**بِذَاكَ**) أي: وُكِّل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإليه الكيل والعدد، الكيل لما يوزن، والعدد لما يُعد ويُحسب.

فميكال وكِل إليه الكيل والعدد -يعني: عدد القطر وعدد النبات ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الأمر-؛ كله وُكِل به ميكال.

(**كَذَاكَ بالصُّوْرِ إِسْرافِيْلُ**): الصور، أي: القرن الذي يُنفخ فيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [سورة الكهف، من الآية:٩٩]، النفخ في الصور هذه مهمة وكل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها ملك من الملائكة، وقد قال جماعة من أهل العلم: إنه إسرافيل، ولم يأت حديث صريح بذلك، لكن بعض أهل العلم استنبطه استنباطًا من بعض العمومات أو بعض الأدلة، وعلى هذا عدد من أهل العلم: أن إسرافيل هو الموكول بالنفخ في الصور.

(**كَذَاكَ بالصُّوْرِ إِسْرافِيْلُ وُكِّلَ ... وَهْوَ الآنَ مُنْتَظِرٌ أَنْ يَأْذَنَ الصَّمَدُ**): (**وَهْوَ الآنَ**)؛ أي إسرافيل –الملك الموكل بالنفخ في الصور– منتظر أي على أتم الأهبة والاستعداد والتهيؤ ومُصغٍ بسمعه، وملتقم للقرن –على أتم استعداد تهيؤ–، ملتقم للقرن –يعني القرن في فمه– ومصغٍ بسمعه، ينتظر أن يُؤمر؛ هذا معنى قول الناظم: (**وَهْوَ الآنَ مُنْتَظِرٌ أَنْ يَأْذَنَ الصَّمَدُ**)؛ أن يأذن الله له أن ينفخ.

بحيث أنه مجرد ما يسمع الإذن بالنفخ ينفخ. فمه ملتقمٌ للصور وأذنه مصغية.

وقد جاء في الحديث عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**كيف أنعم وقد التقم ملكُ الصورِ الصورَ، وأصغى بسمعه ينتظر أن يُؤمر**»، والتقمه أي: وضعه في فمه، وأصغى بسمعه أي: أنصت، ينتظر أن يؤمر: أي: أن يؤمر بالنفخ. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٦٨].

والنفخات التي تكون منه ثلاث نفخات أو نفختان قولان لأهل العلم، والأقرب –والله أعلم– أنها ثلاث نفخات:

– نفخة الفزع: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة النمل، من الآية:٨٧].

– ونفخة الصعق –الموت– يفنى ويموت الجميع على إثرها.

– والنفخة الثالثة نفخة القيام لرب العالمين.

قال: (**وَحَامِلُوا الْعَرْشِ مَعْ مَنْ حَوْلَهُمْ ذُكِرُوا**): أي: نؤمن بهم؛ نؤمن بالملائكة الذين هم حملة العرش، ونؤمن بالملائكة الذين هم حول العرش حافين به.

ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحملة وحدهم في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، من الآية:١٧]، وذكر الملائكة الحافين بالعرش وحدهم في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٧٥]، وذكرهما معًا في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة غافر، من الآية:٧].

(وَحَامِلُوا الْعَرْشِ مَعْ مَنْ حَوْلَهُمْ ذُكِرُوا): أي: في كتاب الله، ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه؛ فوجب الإيمان بهم.

وأيضًا (وَزَائِرُوا بَيْتِهِ الْمَعْمُوْرِ): الذي في السماء السابعة، وعندما رُفع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعُرج به إلى السماء قال: «**رأيت البيت المعمور فسألت جبريل: قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون**»؛ كل يوم يدخله سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون، أي: من دخله مرة لا يعود إليه مرة ثانية، ويوميًا يدخله سبعون ألف ملك؛ وهذا من الدلائل على كثرة عدد الملائكة: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]؛ أي: كمٌّ كثير، وعددٌ كثير.

(وَزَائِرُوا بَيْتِهِ الْمَعْمُوْرِ مَا افْتُقِدُوا): أي: لا يُفتقدون عند البيت؛ لأنه يوميًا يأتي إلى البيت سبعون ألف فلا يُفتقدون الملائكة عند البيت؛ لأنهم باستمرار ويوميًا كل يوم عند البيت المعمور سبعون ألف ملك.

(والحَافِظُوْنَ عَلَيْنَا الكَاتِبُوْنَ لِمَا ... نَسْعَى وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا): (والحَافِظُوْنَ عَلَيْنَا)؛ أي: أعمالنا؛ يكتبونها ويحصونها؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا في سورة الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار، من الآية:١٠-١٢]. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾؛ أي: للأعمال والأقوال يحصونها ويكتبونها. ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، (والحَافِظُوْنَ عَلَيْنَا الكَاتِبُوْنَ لِمَا نَسْعَى)؛ أي: الكاتبون لسعينا من قولٍ أو عمل، يكتبونه، والدليل الآية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

(وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا): (وفِي الْحَشْرِ) أي: يوم القيامة إذا حُشر الناس إلى رب العالمين؛ شهد الملائكة عليهم بالأعمال التي عملوها، والأقوال التي قالوها، والمعاصي التي ارتكبوها؛ تشهد عليهم الملائكة. (وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَى بِهِمْ شَهِدُوا): أي: شهدوا على العباد بما كانوا يعملون.

(وَآخَرُوْنَ بِحِفْظِ العَبْدِ قَدْ وُكِلُوا): كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة الرعد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد، من الآية:١١]. أي: بأمر الله.

(حَتَّى إِذا جَاءهُ المَقْدُورُ لَمْ يُفِدُوا): أي: لا يفيدونه شيئًا، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

الشاهد: أن الله عَزَّوَجَلَّ وكَّل من الملائكة من مهمتهم حفظ العباد، وإذا جاء الأمر أو القدر خلوا بينه وبينه ولم يفيدوه شيئًا.

(**وَالْمَوْتُ وُكِّلَ حَقًّا بِالْوَفَاةِ لِرُوحِ ... الْعَبْدِ قَبْضًا إِذَا مِنْهَا خَلا الجَسَدُ**): أي: أن ملك الموت وُكِّل بقبض الأرواح كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [سورة السجدة، من الآية:١١]؛ (**وَالْمَوْتُ وُكِّلَ حَقًّا بِالْوَفَاةِ لِرُوحِ الْعَبْدِ**)؛ أي: ملك الموت. (**بِالْوَفَاةِ**)؛ أي بالقبض. (**لِرُوحِ الْعَبْدِ قَبْضًا إِذَا مِنْهَا خَلا الجَسَدُ**)؛ فيقبض روحه، وقد وكل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا الأمر ملكًا من الملائكة. ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ وقد جاء تسميته أو ذُكر أن اسمه عزرائيل، ولم يثبت به دليلٌ صحيح.

(**وَمُنْكَرٌ وِنَكِيْرٌ وُكِّلاَ بِسُؤَالِ ... الْعَبْدِ فِي الْقَبْرِ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُ**): وهذا ثبت به الحديث -في الترمذي وغيره- أن الميت إذا أُدخل القبر أتاه ملكان يُقال لأحدهما: المنكر ويقال لأحدهما: النكير، وقد وُكلا هذان الملكان بسؤال القبر وبفتنة القبر؛ ولهذا يقال لهما: الفتَّانان؛ لأن مهمتهما هذه سؤال الميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وقيل لهما المنكر والنكير؛ لأنهما يأتيان للإنسان بهيئة منكرة غير معهودة عنده إطلاقًا -يعني: بصورة منكرة لم يسبق أن مر عليه مثلها-. وجاء في بعض الروايات: «**زرق العيون وسود الوجوه**»؛ فهي: هيئة منكرة لم يعهدها الميت ولم تمر عليه.

(**وَمُنْكَرٌ وِنَكِيْرٌ وُكِّلاَ بِسُؤَالِ ... الْعَبْدِ فِي الْقَبْرِ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُ**): أي: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ثلاثة أسئلة في الاعتقاد.

(**كَذَاكَ رِضْوَانُ فِي أَعْوَانِهِ خَزَنُوا لِجَنَّةِ الخُلْدِ**): أي: مهمتهم أنهم خزنة للجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٧٣]؛ نسأل الله الكريم من فضله.

فالجنة لها خزنة، والناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- هنا يشير إلى وجوب الإيمان بخزنة الجنة من الملائكة.

قوله: (**كَذَاكَ رِضْوَانُ**): فيما أعلم لم يثبت في ذلك حديث صحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولعل بعض الإخوة ينتدب لتحقيق ذلك ودراسة ما جاء فيه.

(**فِي أَعْوَانِهِ خَزَنُوا لِجَنَّةِ الخُلْدِ بُشْرَى مَنْ بِهَا وُعِدُوا**): أي: من وُعد بالجنة وعد بهذا النعيم؛ يتلقاه الخزنة كما مر معنا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٧٣].

(**كَذَاك**): أي: مما يجب أن نؤمن به. (**زَبَانِيَةُ النِّيْرَانِ**)؛ والنار وكل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها عدد كبير من الملائكة، وعلى هذا العدد من الزبانية تسعة عشر؛ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [سورة المدثر، من الآية:٣٠]؛ فهؤلاء رؤوس الملائكة الذين وُكلوا بالنار، ورأس هؤلاء جميعًا مالك؛ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:٧٧].

قال: (**كَذَا زَبَانِيَةُ النِّيْرَانِ يَقْدُمُهُمْ فِي شَأْنِهَا مَالِكٌ**)؛ (**يَقْدُمُهُمْ فِي شَأْنِهَا**)؛ أي: شأن النيران. (**مَالِكٌ**)؛ مالك الذي ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ فمالك ملكٌ جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُقدَّمًا وأساسًا للملائكة الذين وكل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهم خزانة النار.

(**بِالْغيْظِ يَتَّقِدُ**): أي: على أهل النار.

(**وَآخَرُوْنَ**): أي: من الملائكة.

(**فَسَيَّاحُوْنَ حَيْثُ أَتوَا مَجَالِسَ الذِّكْرِ حَفُّوا مَنْ بِهَا قَعَدُوا**): أي: أن هناك من الملائكة من مهمتهم السياحة في الأرض كما جاء في الحديث الصحيح: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن لله ملائكة فضلاء يسيحون في الأرض، فإذا مروا بمجلس ذكر تنادوا هلم إلى حاجتكم؛ فيحفون المجلس بأجنحتهم**»، وفي الحديث الآخر: «**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»، قال: «**وحفتهم الملائكة**»؛ هذا الشاهد. وفي الحديث الآخر قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع**»، وهذا المعنى العظيم؛ الإيمانُ به واستشعارُه مما يزيد طالب العلم إقبالًا على العلم؛ فهذه كرامة له عند الله وفضيلة عظيمة جدًا، وطالب العلم وإن لم يكن يرى الملائكة فهو على يقين مما يُخبر به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن الذي أخبر بذلك صادق مصدوق لا ينطق عن الهوى.

فهذه كرامة وفضيلة لطالب العلم أن جعل الملائكة تحفه بأجنحتها وتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع؛ فإذا استشعر طالبُ العلم هذه المعاني لا يستوحش في طريق الطلب؛ بل تزداد همته وتعظُم رغبته، ويستشعر بهذه الكرامة العظيمة التي أكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها طالب العلم.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر هذه النصوص كلها في سياق الترغيب في طلب العلم؛ «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**، وإن الملائكة»، فساق هذا في مساق التغريب في طلب العلم؛ إذًا استشعار طالب العلم لهذه الحقائق العظيمة والكرامات الجليلة التي يُكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها طالب العلم مما يحفزه لمزيد من الطلب والثبات عليه والحرص عليه.

قال:(وَآخَرُوْنَ فَسَيَّاحُوْنَ حَيْثُ أَتوَا ... مَجَالِسَ الذِّكْرِ حَفُّوا مَنْ بِهَا قَعَدُوا): أي: حفوا القاعدين في مجالس الذكر، ومعنى: حفوهم؛ أي: بأجنحتهم.

(وَغَيْرُهُمْ مِنْ جُنُوْدٍ لَيْسَ يَعْلمُهَا إِلاَّ الْعَلِيْمُ): يشير في هذا البيت أنه فقط ذكر بعض الأمثلة أو بعض النماذج وإلا فهم جنود لا يعلم عددهم وأعمالهم ووظائفهم ومهامهم إلا العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر، من الآية:٣١]. (وَغَيْرُهُمْ مِنْ جُنُوْدٍ لَيْسَ يَعْلمُهَا ... إِلاَّ الْعَلِيْمُ الْخَبِيرُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ).

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ: الإيمان بكتب الله المُنزلة:

وَكُتْبُــهُ بِالْهُــدَى وَالْحَــقِّ مُنْزَلَــةٌ ** نُوْرًا وَذِكْرَىً وَبُشْرَى لِلَّذِيْنَ هُدُوا
ثُــمَّ القُــرَآنُ كَــلاَمُ اللهِ لَــيْسَ كَمَــا ** قَالَ الَّذِيْنَ عَلى الإِلْحَادِ قَدْ مَرَدُوا
جَعْـدٌ وَجَهْـمٌ وَبِشْـرٌ ثُـمَّ شِـيْعَتُهُمْ ** أَلاَ فَبُعْـدًا لَهُـمْ بُعْـدًا وَقَـدْ بَعِـدُوا
تَكَلَّـــمَ اللهُ رَبُّ العَـــالَمِيْنَ بِـــهِ ** قَـوْلًا وَأَنْزَلَـهُ وَحْيًـا بِـهِ الرَّشَـدُ
نَتْلُـــوْهُ نَسْـــمَعُهُ نَـــرَاهُ نَكْتُبُـــهُ ** خَطًّـا وَنَحْفَظُـهُ بِالْقَلْـبِ نَعْتَقِـدُ
وَكُـــلُّ أَفْعَالِنَـــا مَخْلُوْقَـــةٌ وَكَـــذَا ** آلاتُنَـا الـرَّقُّ والأَقْـلامُ وَالْمُـدَدُ
وَلَـيْسَ مَخْلُوْقًـا الْقُـرآنُ حَيْـثُ تُلِـي ** أَوْ خُـطَّ فَهْـوَ كَـلاَمُ اللهِ مُسْـتَرَدُ
وَالْوَاقِفُــوْنَ فَشَــرٌّ نِحْلَــةً وَكَــذَا ** لَفْظِيَّةٌ سَاءَ مَا رَامُوا وَمَا قَصَدُوا

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان بكتب الله المُنْزَلة**) -أو المُنَـزَّلة-؛ وهذا أيضًا ركن من أركان الإيمان، وقد مر معنا الآيات الجامعة لأصول الإيمان، وفيها هذا الأصل العظيم.

وكُتب الله هي كتبٌ أوحاها الله عَزَّوَجَلَّ وأنزلها على رسله الكرام مشتملة على هداية البشر وصلاحهم وفلاحهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

والواجب الإيمان بكل كتابٍ أنزله الله، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١٥]؛ أي: قل أنا مؤمن بكل كتاب أنزله الله على أي رسول سواءً علمت اسم الكتاب أو لم أعلم، سواءً علمت الرسول الذين أُنزل عليه الكتاب أو لم أعلم، سواءً علمت شيئًا من التفاصيل الموجودة فيه أو لم

أعلم؛ أنا مؤمنٌ بكل كتاب أنزله الله. جميع الكتب التي أنزلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أنبيائه ورسله أنا مؤمنٌ بها إجمالًا فيما أُجمل وتفصيلًا فيما فُصِّل، ما بلغنا من هذه الكتب مفصَّلة نؤمن به؛ فنقول على سبيل المثال: من كتب الله التوراة أنزله على موسى، منها الإنجيل أنزله على عيسى، الزبور على داود؛ فمثل هذه التفاصيل التي وردت نؤمن بها مفصلةً كما جاءت، أيضًا التفاصيل التي تضمنته مما بلغنا بالطرق الصحيحة الثابتة نؤمن به. فنؤمن بكتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى المنزلة والإيمان بها ركنٌ من أركان الدين.

والإيمان بها يكون بالإيمان بأنها كتب الله ووحيه، وأنه هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي تكلم بها لا غيره، وأنها مشتملة على هداية البشر وصلاحهم وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وأن أنبياء الله قد بلغوا تلك الكتب تامةً إلى أقوامهم بدون زيادةً ولا نقصان؛ فكل ذلكم الإيمان به من الإيمان بالكتب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكُتْبُهُ**): أي: الله. المنزلة. (**وَكُتْبُهُ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ مُنْزَلَةٌ**)؛ أي: أنزلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالحق والهدى؛ فهي كتب حقٍّ وكتب هداية؛ كتب حق ليس فيها باطل، وكتب هداية ليس فيها ضلالة.

(**مُنْزَلَةٌ**): أي: أنزلها الله. (**نُوْرًا**)؛ أي: للعباد. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا﴾ [سورة الشورى، من الآية:٥٢]؛ فأنزلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نورًا للعباد تضيئ لهم الظلمات، ويميزون بها بين الحق والباطل والهدى والضلال.

(**وَذِكْرَىً وَبُشْرَى**): فهي كتبٌ فيها الذكرى للبشر بما فيه سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وبشرى لمن عمل بهذه الذكرى؛ فمن عمل بما في الكتب من الذكرى فاز بأعظم البشارة. ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [سورة الزمر، من الآية:١٧-١٨]؛ فالذي ينتفع بالذكرى التي في الكتب له أعظم البشارة بكل خيرٍ وفلاحٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة.

(**نُوْرًا وَذِكْرَىً وَبُشْرَى لِلَّذِيْنَ هُدُوا**): أي: هُدُوا بهدايات ودلالات وإرشادات كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الـمُنزَّلة.

هذا في عموم الكتب، خلاصة ما يجب علينا في عموم الكتب.

قال: (**ثُمَّ القُرآن**): أي: المنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خاتم الكتب المنزلة. (**ثُمَّ القُرآنُ كَلامُ اللهِ**)؛ أي: نعتقد أنه كلام الله تكلَّم به هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٦]؛ فالقرآن كلام الله تكلم به رب العالمين لا غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**ثُمَّ القُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ لَيْسَ كَمَا ... قَالَ الَّذِيْنَ عَلى الإِلْحَادِ قَدْ مَرَدُوا**): أي: أصبحوا متمردين على شرع الله ودينه، مُلحدين زائغين معرضين. فالذي نعتقده أن القرآن كلام الله ليس كما يقول الذين تمردوا وألحدوا وانحرفوا عن الحق والهدى، وقالوا بأنه مخلوق من مخلوقاته، وأنه من كلام البشر.

ثم ذكر أمثلة لهؤلاء:

(**جَعْدٌ وَجَهْمٌ وَبِشْرٌ ثُمَّ شِيْعَتُهُمْ**): ذكر هؤلاء الرؤوس لهذه المقالة الباطلة: الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وهؤلاء شيوخ الجهمية ومؤسسو عقائدهم، وبشر بن غياث المرِّيسي شيخ المعتزلة ومن أُسس باطلهم. (**جَعْدٌ وَجَهْمٌ وَبِشْرٌ ثُمَّ شِيْعَتُهُمْ**)؛ أي: من شايعهم في هذا الضلال وتبعهم في هذا الباطل.

(**أَلاَ فَبُعْدًا لَهُمْ بُعْدًا وَقَدْ بَعِدُوا**): أي: من كانت هذه حالهم بُعدًا لهم وسحقًا، وقد بعدوا؛ لأنهم بهذه المقالات الباطلة والعقائد الفاسدة بعدوا عن كل خيرٍ وفضيلة، وباءوا بكل خسران وهلكة.

(**أَلاَ فَبُعْدًا لَهُمْ بُعْدًا وَقَدْ بَعِدُوا**)؛ وهؤلاء عقيدتهم في القرآن أنه ليس كلام الله، ويعتقدون فيه أنه مخلوق من مخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وهذا كفر بإجماع السلف، وحكى إجماعهم على ذلك غير واحد من أهل العلم، والإمام اللالكائي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في كتابه [**شرح الاعتقاد**] سمى أكثر من خمسمائة عالم، وساق الأسانيد إليهم في تكفير من يقول: القرآن مخلوق.

(**تَكَلَّمَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ بِهِ**): الذي نعتقد هو هذا؛ أن الله رب العالمين تكلم به.

(**تَكَلَّمَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ بِهِ قَوْلًا وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا بِهِ الرَّشَدُ**): فهو كلامه وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي قاله، والكلام يُنسب إلى من قاله ابتداءً لا إلى من نقله أداءً؛ جبريل مُبلِّغ، ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مُبلِّغ، والقرآن يُنسب إلى من قاله ابتداءً وهو الله رب العالمين؛ فيُقال: كلام الله، لا يُقال: كلام جبريل، ولا يُقال: كلام محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل هو كلام الله، وجبريل مبلغ، ومحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رسول بشري، جبريل رسول ملكين، ومحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رسول بشري، ومهمة الرسول ما هي؟ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [سورة النور، من الآية:٥٤]، فالقرآن كلام الله، هو الذي تكلم به، سمعه منه جبريل فبلغه إلى محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومحمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعه من جبريل وبلغه للأمة؛ ولهذا إسناد تالي القرآن يتصل إلى الصحابي إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى جبريل إلى رب العالمين، مع أن بعض الذين يجيزون أو يمنحون بعض الإجازات بتلاوة القرآن وحفظه ممن أُصيبوا بلوثة هؤلاء وعقيدتهم الباطلة يُنهون الإسناد إلى اللوح المحفوظ، ينهون الإسناد في الإجازات إلى اللوح المحفوظ،

وهذا بسبب لوثة عقائد الجهمية والمعتزلة التي دخلت حتى على بعض القراء وبعض المُقرئين لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**نَتْلُوْهُ نَسْمَعُهُ نَرَاهُ نَكْتُبُهُ ... خَطًّا وَنَحْفَظُهُ بِالْقَلْبِ نَعْتَقِدُ**): كم واحدة هذه؟ أربع ولا خمس؟

- نتلوه.

- نسمعه.

- نراه.

- نكتبه.

- نحفظه.

هذه خمسة أمور يتوجه إليها القرآن؛ يُتلى -أي: بالألسن-، يُسمع- أي: بالآذان-، يُرى في المصاحف بالأبصار، يُكتب في الصحف، يُحفظ بالقلوب.

والسلف يقولون: القرآن أينما توجه كلام الله، يعني: سواءً حُفظ في الصدور، أو كُتب في السطور، أو تلته الألسن، أو رأته في الصحف الأعين، أو سمعه السامع بأذنه؛ فأينما توجه كلام الله؛ يعني: لا يخرجه عن كونه كلام الله تلاوة التالي له، أو كتابة الكاتب له، أو قراءة القارئ له، أو حفظ الحافظ له في قلبه، أينما توجه مثل ما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "القرآن أينما توجه كلام الله"؛ لأن الكلام يُنسب إلى من قاله ابتداءً، أرأيتم لو أن شخصًا قال كلامًا وحفظتُه أنا في صدري، أو أسمعتكم إياه؛ هل يخرج عن أنه كلامه؟ مثل الآن بيت من الأبيات معروف لأحد الشعراء قلته لكم الآن، أصبح البيت لي أنا؟! أو لمن قاله ابتداءً، فالكلام معروف يُنسب إلى من قاله ابتداءً، فكون القرآن يُتلى أو يُحفظ أو يُكتب، أو يُسمع بالآذان، أينما توجه فهو كلام الله.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٦]، الصوت صوتُ القارئ، لكن الكلام كلام مَن؟ كلام البارئ سبحانه؛ فكونه سُمع بالآذان أو كُتب في السطور أو حفظ في الصدور أو نحو ذلك لا يُخرجه عن كونه كلام الله؛ لأن الكلام يُنسب إلى من قاله ابتداءً. فإذًا قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**نَتْلُوْهُ نَسْمَعُهُ نَرَاهُ نَكْتُبُهُ ... خَطًّا وَنَحْفَظُهُ بِالْقَلْبِ نَعْتَقِدُ**)؛ فعقيدتنا في القرآن أنه أينما توجه فهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عقيدتنا فيه أنه أينما توجه فهو كلام الله.

(**وَكُلُّ أَفْعَالِنَا مَخْلُوْقَةٌ**): أفعال العباد مخلوقة، وكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غير مخلوق، أفعالنا: مثل الصوت، وحركة اللسان؛ هذه أفعال لنا هذه مخلوقة، لكن الكلام نفسه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**وَكَذَا آلاتُنَا**): الأدوات التي نستخدمها في الكتابة. (**الرَّقُّ والأَقْلامُ وَالْمُدَدُ**)؛ والحبر هذه مخلوقة، المصحف الذي كُتب كُتب بمداد وكُتب على أوراق، ووضع في غلاف وجلد؛ هذه مخلوقة، الحبر والمداد والأوراق والغلاف، هذه كلها مخلوقة، لكن الكلام المكتوب كلام الله؛ فكونُه كُتب في السطور لا يخرجه عن كونه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**وَلَيْسَ مَخْلُوْقًا الْقُرآنُ حَيْثُ تُلِي ... أَوْ خُطَّ**): أي: أينما توجه ليس مخلوقًا، تُلي، أو خُطَّ، أو سُمع، أو رُئيّ في المصاحف، أو حُفظ في الصدور؛ أينما توجه هو كلام الله ليس بمخلوق.

(**فَهْوَ كَلاَمُ اللهِ مُسْتَرَدُ**): أي: هو كلام الله لا يخرجه عن كونه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يتلى أو يُخط أو نحو ذلك.

ثم ختم بذم طائفتين من طوائف الجهمية وهم: الواقفة واللفظية؛ بعد أن حذر من الجهمية القائلين بخلق القرآن، ختم بالتحذير من طائفتين من طوائف الجهمية وهم: الواقفة واللفظية، قال:

(**وَالْوَاقِفُوْنَ فَشَرٌّ نِحْلَةً**): الواقفون أي: الذي يقول: أنا أتوقف في المسألة؛ لا أقول: القرآن كلام الله ولا أقول: ليس كلام الله، لا، أنفي ولا أُثبت، أتوقف، هذا جهمي، وعقيدته شر عقيدة –مثل ما قال الناظم: (**وَالْوَاقِفُوْنَ فَشَرٌّ نِحْلَةً**)؛ ربما يرى بعض الناس أن هذا هو الورع أن يقول: أنا أتوقف؛ لا أُثبت ولا أُنفي، لا أقول: بأنه مخلوق ولا أقول: أنه ليس بمخلوق، لكن هذا مجانب للورع كل المجانبة، بل هي عقيدةٌ شر وفساد، وهي كما وصف الناظم: (**فَشَرٌّ نِحْلَةً**).

والذي قال هذه المقالة لم يقلها إلا لدخول شبهة الجهمية عليه، وإلا فإن الأمر واضح وبيِّن غاية البيان أن القرآن كلام الله، فمن لم يعتقد أنه كلام الله فهو جهمي، سواء قال: أنا أتوقف، أو صرَّح بما صرحت به الجهمية؛ فمن لم يقل: إن القرآن كلام الله فهو جهمي؛ لأن مقالة الجهمية أثَّرت فيه ودخلت إلى قلبه؛ ولهذا قال السلف: الواقفة جهمية؛ ومعنى ذلك: أن مقالة الجهمية أثَّرت فيه.

(**وَكَذَا لَفْظِيَّةٌ سَاءَ مَا رَامُوا وَمَا قَصَدُوا**): بعض النسخ "**رَاحُوا**"؛ (**سَاءَ مَا رَامُوا**): أي: ما طلبوا وما قصدوا من معتقد، واللفظية هم الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وهؤلاء أيضًا جهمية متأثرين بمقالة الجهمية، وعندما يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق تتضمن كلمته هذه بمجملها أن القرآن مخلوق؛ لأن اللفظ يشمل الملفوظ المتلو المقروء، ويشمل القراءة والتلاوة التي هي فعل العبد.

فإذا قال: (لفظي للقرآن مخلوق، أو تلاوتي للقرآن مخلوقة أو قراءتي للقرآن مخلوقة)؛ فهذا جهمي؛ لأن مقالة الجهمية أثرت فيه.

والحق أن الأمر في هذا الباب يُفصَّل فيه؛ لا يقال: اللفظ مخلوق، ولا يقال أيضًا: اللفظ غير مخلوق.

وإنما يُفصَّل؛ يقال: إن كان المقصود باللفظ المقروء المتلو؛ فهذا كلام الله ليس بمخلوق، وإن كان المقصود فعل العبد؛ فالأمر كما قال الناظم قبل قليل: (**وَكُلُّ أَفْعَالِنَا مَخْلُوْقَةٌ**).

هذا المعنى الذي ورد في هذا البيت في ذم الواقفة وذم اللفظية، وأيضًا ما جاء في الأبيات التي قبله في ذم الجهمية؛ نظمه الإمام ابن أبي داود في حائيته المشهورة في ثلاثة أبيات. من يحفظها؟

ولا تــك بــالقرآن بــالوقف قــائلًا ** كما قال اتباعٌ لجهم وأسجحوا

فالواقفة عند السلف جهمية.

بقي بيت يتعلق باللفظية.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **بابٌ: الإيمان بالرسل** عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

وَالرُّسْلُ حَقٌّ بِلاَ تَفْرِيْقَ بَيْنَهُمُ ** وَكُلُّهُمْ لَلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ هَدوا
وَبِالْخَوَارِقِ وَالإِعْجَازِ أيدَهُمْ ** رَبِّي عَلَى الْحَقِّ مَا خَانُوْا وَمَا فَنَدُوا
وَفَضَّلَ اللهُ بَعْضَ الْمُرْسَلِيْنَ عَلَى ** بَعْضٍ بِمَا شَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمَا وُعِدُوا
مِنْ ذَاكَ أَعْطَى لِإِبْرَاهِيْمَ خُلَّتَهُ ** كَذَا لأَحْمَدَ لَمْ يَشْرُكْهُمَا أحَدُ
وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى دُوْنَ وَاسِطَةٍ ** حَقًّا وَخَطَّ لَهُ التَّوْرَاةَ فاعْتَمِدُوا
وَكَانَ عِيْسَى بِإِذْنِ اللهِ يُبْرِئُ مِنْ ** عِلاَّتِ سُوْءٍ وَيُحْيِي الْمَيْتَ قَدْ فَقَدُوا
والكُلُّ فِي دَعْوةِ التَّوْحِيْدِ مَا اخْتَلَفُوا ** أَمَّا الْفُرُوْعُ فَفِيْهَا النَّسْخَ قَدْ تَجِدُ
إِلاَّ شَرِيْعَتَنَا الْغَرَّا فَلَيْسَ لَهَا ** مِنْ نَاسِخٍ مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أَحُدُ
إِذْ كَانَ أَحْمدُ خَتْمَ الْمُرْسَلِيْنَ فَمَنْ ** مِنْ بَعْدِهِ رَامَ وَحْيًا كَاذِبٌ فَنِدُ
وكَانَ بعْثَتُهُ للْخَلْقِ قَاطِبَةً ** وَشَرْعُهُ شَامِلٌ لَمْ يَعْدُهُ أَحَدُ

وَلَمْ يَسعْ أَحَدًا عَنْها الخروْجُ وَلَوْ ** كَانَ النَّبيونَ أَحْيَاءً لَهَا قَصَدُوا

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان بالرسل** عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ)؛ والإيمان بهم كما مر معنا في الآيات من أصول الإيمان العظيمة وأُسس الدين المتينة.

والإيمان بالرسل -عليهم صلوات الله وسلامه- يتناول أمورًا عديدة أشار الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- إلى جملةٍ منها بحسب ما يتناسب مع هذه المنظومة المختصرة.

قال: (**وَالرُّسْلُ حَقٌّ**): قد كان نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول كل ليلة: «**والنبيون حق**» عندما يقوم الليل؛ فهذه عقيدة يجب على المسلم أن يجدد الإيمان بها، وأن يُحضرها في قلبه اعتقادًا وإيمانًا وتسليمًا.

(**وَالرُّسْلُ حَقٌّ بِلاَ تَفْرِيْقَ بَيْنَهُمُ**): مثل ما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٨٥]؛ أي: نعتقد أنهم كلهم حق، وأنهم كلهم دعاةُ هدى، وأنهم كلهم مبلِّغون عن الله، وأنهم كلهم بلَّغوا البلاغ المبين، وأنهم نصحوا لأممهم، وأنهم ما تركوا خيرًا إلا دلوا الأمم عليه، ولا شرًا إلا حذرهم منه. لا نفرق بين الرسل. كل الرسل حق وكلهم بلغوا، وكلهم قاموا بالمهمة، كما أمرهم الله، نصحوا، ووضحوا، وبينوا، ودعوا إلى الله، وهدوا إلى صراطه المستقيم، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته إلى خير ما يعلمه لهم، وأن ينذرهم من شر ما يعلمه لهم**».

(**وَكُلُّهُمْ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ هُدُوا**): أي: كلهم هُداة ودُعاة إلى صراط الله المستقيم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:٥٢-٥٣]، كل الرسل هذا شأنهم؛ هُداةٌ ودُعاةٌ إلى صراط الله المستقيم.

وقوله: (**هَدَوا**): أي: هداية دلالة وبيان، وأما هداية التوفيق فهي بيد الله، وإذا قيل: (**هُدُوا**)؛ فالهداية هنا هداية التوفيق؛ أي: هداهم الله ووفقهم.

وإذا قيل: (**هُدُوا**)؛ فالهداية هداية التوفيق؛ وإذا قيل: (**هَدَوا**): أي: المراد هداية الدلالة والإرشاد، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، الهداية بمعنى: الدلالة.

(**وَبِالْخَوَارِقِ وَالإِعْجَازِ أَيَّدَهُمْ**): أي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيد الرسل الكرام بالخوارق وبالآيات وبالمعجزات وبالبراهين، وسيأتي إشارة إلى شيءٍ من ذلك.

(**أيَدَهُمْ رَبِّي عَلَى الْحَقِّ**): أي: على الحق الذي بعثهم به وأرسلهم دعاة إليه، فأيدهم بالخوارق والمعجزات.

(**مَا خَانُوْا وَمَا فَنَدُوا**): أي: لم يكن أحدٌ منهم ذا خيانة أو كذب؛ بل جميعهم بلَّغوا ما أمروا به دون خيانة ودون كذب، وحاشاهم من ذلك، بل بلغوا البلاغ المبين على التمام والكمال كما أمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**وَفَضَّلَ اللهُ بَعْضَ الْمُرْسَلِيْنَ عَلَى ... بَعْضٍ بِمَا شَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمَا وُعِدُوا**): أي: به في الآخرة، فضَّل بين الأنبياء والمرسلين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٥٥]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٣]. فنعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ فضَّل الرسل بعضهم على بعض.

(**بِمَا شَاءَ**): خصَّ بعضهم بأن اتخذه خليلًا؛ فاتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خليلًا، خصَّ بعضهم بأن كلمه تكليمًا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٦٤]، وأيضًا كلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبينا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكليمًا حينما عُرج به إلى السماء، ففضل الله بعض المرسلين على بعض بما شاء في الدنيا.

(**وَمَا وُعِدُوا**): أي: به في الآخرة، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الوسيلة: «**هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لواحد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو**».

فـ(**مِنْ ذَاكَ**): -يعني من وجوه التفضيل- (**أَعْطَى لِإِبْرَاهِيْمَ خُلَّتَهُ كَذَا لأَحْمَدَ لَمْ يَشْرُكْهُمَا أَحَدُ**)؛ أي: أن الخلة إنما كانت لهذين فقط، لإبراهيم الخليل ولمحمدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفي الحديث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**».

(**وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى دُوْنَ وَاسِطَةٍ**): أي أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمع كلام الله من الله بلا واسطة؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة طه، من الآية:١٢]، سمع هذه الكلمات من الله بدون واسطة -أي: الملك-.

(**وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى دُوْنَ وَاسِطَةٍ حَقًّا**): أي: كلامًا حقًا سمعه موسى من الله.

(**وَخَطَّ لَهُ التَّوْرَاةَ**): أي: بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كما جاء في الحديث: «**إن الله كتب التوراة بيده**».

(**فاعْتَمِدُوا**): أي: اعتمدوا ذلك عقيدةً لصحة الخبر به.

(**وَكَانَ عِيْسَى بِإِذْنِ اللهِ يُبْرِئُ مِنْ عِلاَّتِ**): أي: من أسقام وأمراض. ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٤٩].

(**ويُحْيي الْمَيْتَ قَدْ فَقَدُوا**): أي: الميت الذي فقد أهله بخروج روحه منه؛ يحيه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**والكُلُّ**): أي: جميع المرسلين.

(**والكُلُّ فِي دَعْوةِ التَّوْحِيْدِ مَا اخْتَلَفُوا**): أي: كلهم في العقيدة على عقيدة واحدة، متفقون على عقيدة واحدة؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**نحن الأنبياء أبناء علات، ديننا واحد، وأمهاتنا شتى**».

«**ديننا واحد**»؛ أي: عقيدتنا واحدة، «**أمهاتنا شتى**»؛ أي: شرائعنا مختلفة كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة، من الآية:٤٨]، أما التوحيد فهو واحد عند جميع النبيين؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الانبياء، من الآية:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:٢١]؛ أي: الرسل. ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:٢١]؛ فأمور التوحيد والاعتقاد عند النبيين واحدة.

ولهذا قال العلماء: العقيدة لا يدخلها نسخ، لا بين نبي وآخر، ولا أيضًا في شريعة النبي الواحد؛ العقيدة لا يدخلها نسخ، لا تُنسخ العقيدة، العقيدة واحدة، فالعقيدة التي كان عليها آدم هي التي عليها جميع النبيين، وبُعث بها جميع المرسلين.

(**والكُلُّ فِي دَعْوةِ التَّوْحِيْدِ مَا اخْتَلَفُوا ... أَمَّا الْفُرُوْعُ فَفِيْهَا النَّسْخَ قَدْ تَجِدُ**): أي: قد تجد النسخ فيها، تجد النسخ فيها بين نبي وآخر، وتجد النسخ فيها في شريعة النبي الواحد، يُشرع له ولأمته شيءٌ ثم يُنسخ إلى أمرٍ آخر، هذا في الفروع، أما العقائد لا؛ العقائد لا تُنسخ، فلا يدخلها النسخ.

(**إِلاَّ شَرِيْعَتَنَا الْغَرَّا فَلَيْسَ لَهَا مِنْ نَاسِخٍ**): أي: شرائع الأنبياء تُنسخ؛ تأتي شريعة النبي الآخر فتَنسخ الشريعة، أما شريعة النبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فليس لها ناسخ، أي: لن يأتي بعدها شريعة نبي آخر تنسخها؛ فشريعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي مات عليها وترك أمته عليها شريعة كاملة لا يدخلها بعد ذلك نسخ، إلا شريعتنا الغراء فليس لها من ناسخٍ.

(**مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أَحُدُ**): أي: ما وُجِدَ على هذه الأرض إنسان. المعنى: أي إلى قيام الساعة لن تُنسخ، باقية إلى قيام الساعة.

مداخلة: ..... (١:٣٣:٢٨)

ممكن نعم.

(**مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أُحُدُ**)؛ يعني ما وُجِدَ في الأرض هذا الجبل -جبل أُحد-، والمراد إلى قيام الساعة. وفي الآية الكريمة قال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [سورة النازعات، من الآية:٣٢]؛ (**مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أُحُدُ**)؛ والمراد بأُحد: الجبل المعروف في المدينة، أي: ما دام أن جبل أُحد راسيًا ثابتًا في مكانه ما يعتريها نسخ.

والمقصود: أنها غير منسوخة إلى قيام الساعة؛ لأن جبل أُحد باقي إلى أن يأتي اليوم الذي تنسف فيه الجبال ﴿نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [سورة طه، من الآية:١٠٥-١٠٦]؛ فالمعنى إذا: (**مَا رَسَى فِي أَرْضِهِ أُحُدُ**)؛ أي: إلى قيام الساعة لن تُنسخ شريعته -صلوات الله وسلامه عليه-.

(**إِذْ كَانَ أَحْمدُ خَتْمَ الْمُرْسَلِيْنَ**): هذا التعليل والتبيين لما سبق؛ لأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خُتم به المرسلون فلا نبي بعده، إذًا إلى قيام الساعة لن تُنسخ الشريعة التي جاء بها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(**إِذْ كَانَ أَحْمدُ خَتْمَ الْمُرْسَلِيْنَ فَمَنْ ... مِنْ بَعْدِهِ رَامَ وَحْيًا كَاذِبٌ فَنِدُ**): أي: الذي يروم ويزعم أو يدعي أنه يوحى إليه بعد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو كاذب مفترٍ، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يأتي بعدي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي**»، كما جاء في حديث ثوبان، فالذي يزعم بعده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه نبي فهو كاذب فند أي كاذب مفتر على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكذب.

وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثلاثون**»؛ مع أن الذين وُجدوا عبر التاريخ إلى زماننا هذا أكثر من هذا بكثير أكثر من ثلاثين؛ فالمراد بالثلاثين أي: يظهر لهم صوت وصيت عند الناس ويوجد لهم أتباع، أما الذي كثير ممن يعطب عقله بالخمور والمخدرات والهوس وكذا يقول: أنا نبي، أنا كذا، أنا كذا، فهذا كثير جدًا، كثير حتى في زماننا هذا، مثل يعني يتعاطى المخدرات ويصبح مختل عقله، وإذا قال لأي إنسان في الشارع: أن النبي؛ يعرفون أنه فاقد عقله مختل، فلا يدخل في العدد المراد في الحديث. الثلاثون يعني ثلاثون يصبح لهم صيت ولهم أتباع ولهم وجود وانتشار.

(**وكَانَ بعْثُهُ للْخَلْقِ قَاطِبَةً**): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الانبياء، من الآية:١٠٧]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ، من الآية:٢٨]؛ بُعث للعالمين أي: للخلق كافة. (**وكَانَ بعْثُهُ للْخَلْقِ قَاطِبَةً**)؛ ليس للعرب بل للعالمين. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

(**وَشَرْعُهُ شَامِلٌ لَمْ يَعْدُهُ أَحَدُ**): شريعته للخلق كافة، وشريعته للحق شاملة، شملت الحق كله، ما ترك خيرًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبابًا للسعادة في الدنيا والآخرة إلا بيـَّنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتم البيان. فشريعته شاملة لكل خيرٍ وفلاحٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة.

(**وَلَمْ يَسعْ أَحَدًا عَنْها الخروْجُ**): أي: لا يسع أحد الخروج عن شريعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(ولو**كَانَ النَّبيونَ أَحْيَاءً لَهَا قَصَدُوا**): في هذا يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**»، فلا يسع أحد الخروج عن ما جاء به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولو كانوا النبيون، (**وَلَوْ كَانَ النَّبيونَ أَحْيَاءً لَهَا قَصَدُوا**): أي: لم يحيدوا عنها، ولهذا فإن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذا نزل في آخر الزمان لا يحكم بالإنجيل وإنما يحكم بالقرآن الكريم.

والله تعالى أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا رسول الله.

المجلس الرابع

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المتن:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **بابٌ الإيمان باليوم الآخر:**

وَالْيَـوْمُ الآخِـرُ حَـقٌّ ثُـمَّ سَـاعَتُهُ ** بِمُنْتَهـى عِلْمِهَـا الـرَّحْمنُ مُنْفَـرِدُ
وَالْمَـوْتُ حَـقٌّ وَمَـنْ جَـاءَتْ مَنِيَّتُـهُ ** بـأي حَتْـفٍ فَبِالْمَقْـدُوْرِ مُفْتَقَـدُ
مَـا إِنْ لَـهُ عَنْـهُ مِـنْ مُسْـتَأْخِرٍ أَبَـدًا ** كَـلاَّ وَلاَ عَنْـهُ مِـنْ مُسْـتَقْدِمٍ يَجِـدُ
كُـلٌّ إِلـى أَجَـلٍ يَجْـرِي عَلَـى قَـدَرٍ ** مَـا لِامْـرِئٍ عَـنْ قَضَـاءِ اللهِ مُلْتَحَـدُ
وَفِتْنَـةُ الْقَبْـرِ حَـقٌّ وَالْعَـذَابُ بِـهِ ** لِكَـافِرٍ وَنَعِـيْمٌ لِلأُلَـى سَـعِدُوا

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان باليوم الآخر**)؛ الإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان، وأحد أركانه العِظام، وسُمي بهذا الاسم لتأخره عن يوم الدنيا، وله أسماء كثيرة بحسب أوصافه وأحواله وأهواله.

واليوم الآخر هو يوم الجزاء والحساب، فاليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل، وللدنيا أبناء وللآخرة أبناء، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:٦٤].

ويتعلق باليوم الآخر تفاصيل كثيرة جاء بيانها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والواجب على كل مؤمن أن يؤمن بكل ما يتعلق باليوم الآخر.

وضابط ذلك أن يؤمن بكل ما ورد في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت؛ فإن من مات قامت قيامته، وبدأت في حقه أول منازل الآخرة.

ويذكر أهل العلم في الكلام عن الإيمان باليوم الآخر أشراط الساعة -كما صنع الناظم هنا-؛ لأنها تأتي مقدمات بين يدي الساعة مشعرةٍ بِدِنُوِّهَا وقُرب مجيئها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْيَوْمُ الآخِرُ حَقٌّ**): أي: حقٌّ كما أخبر الله، وواقع لا محالة، والناس صائرون إليه لا ريب في ذلك. ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [سورة الحج، من الآية:٧]؛ فاليوم الآخر حق.

(ثُمَّ سَاعَتُهُ بِمُنْتَهى عِلْمِهَا الرَّحْمنُ مُنْفَرِدُ): ساعة اليوم الآخرأي: وقت قيام الساعة؛ هذا أمرٌ تفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعلمه. ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٦٣]؛ فتفرد جَلَّ وَعَلَا بالعلم بالساعة، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٨٧]؛ فالعلم بالساعة ووقتها أمرٌ تفرَّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعلمه.

وكل ادعاءٍ لوقتٍ معين تُقوم فيه الساعة يُثار بين وقتٍ وآخر؛ كل ذلك رجم بالغيب وقول بلا علم؛ فإن الساعة تفرد بالعلم بها رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، وليس للإنسان أن يبحث عن وقت مجيئها؛ بل عليه أن يبحث عن العُدَّة لمجيئها، كما لفت إلى ذلك نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما سأله رجلٌ فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددت لها؟**»، فالسؤال الذي ينبغي أن يطرحه الإنسان على نفسه طرحًا مستمرًا: ماذا أعددتُ للساعة؟

فالساعة آتية لا ريب فيها، وساعة الإنسان خروج روحه من جسده ومفارقته للدنيا، وقد تكون هذه المفارقة من الإنسان للدنيا، بعد يوم، أو يومين، أو شهر، أو شهرين.

فالسؤال الذي ينبغي أن يطرحه العبد على نفسه طرحًا متكررًا : ماذا أعددتُ للساعة؟

وأما وقت مجيئها فلا يُبحث؛ أمرٌ تفرد به رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهذا لما سأل هذا السائل عن وقت المجيء؛ شغله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما يعنيه من هذا الأمر، وما يلزمه أن يعتني به في هذا الباب وهو الاستعداد ليوم المعاد، والتزود ليوم الرحيل. قال: «**ماذا أعددت لها؟**».

ويضرب بعض أهل العلم مثالًا توضيحيًا لذلك مع الفارق، لكن المثال يُراد به التوضيح؛ قال: لو أن أُناسًا قيل لهم: العدو مقبل على بلدكم؛ فأخذ بعضهم يبحثون: أين وصل؟ كم باقي على وصوله؟ كم بيننا وبينه الآن؟ إيش المسافة؟ يطرحون مثل هذه الأسئلة، وآخرون لم يشتغلوا؛ قالوا: هو قادم قادم؛ إذًا نستعد، سواءً جاء اليوم أو بعد أسبوع؛ ما دام أنه قادم إذًا نستعد، فاشتغلوا بالاستعداد والتهيؤ؛ فأي الفريقين أهدى؟

ولهذا الساعة قادمة ومقبلة. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [سورة الجمعة، من الآية:٨]؛ أي: قادم إليكم، ومقبل إليكم، فلا يشتغل الإنسان بمتى؟ ولكن يشتغل بماذا أعد لهذا اليوم العظيم؟

قال: (**وَالْمَوْتُ حَقٌّ**): والموت يكون بقبض ملكُ الموتِ روحَ العبد، وخروج روحه من جسده، وهو حق لا ريب فيه، ومن إيماننا باليوم الآخر إيماننا بالموت وأنه حق، وأن كل نفسٍ ذائقته، وأن أي أحد من الناس لن يبقى؛ بل لابد أن يذوق الموت، وأن يفارق هذه الحياة؛ فالموت حق.

(**وَمَنْ جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ بأي حَتْفٍ فَبِالْمَقْدُوْرِ مُفْتَقَدُ**): (**وَمَنْ جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ بأي حَتْفٍ**): بأي طريقة وبأي صفة كان موته فإن موته بالمقدور؛ يعني: سواءً مات بمرض، أو مات بأن قُتل، أو مات بحرق، أو بغرق، أو بأي صفة أو أي حال كانت عليها موته فبالمقدور، خلافًا لطائفة من أهل الضلال يقولون: من مات مقتولًا فإن القاتل قطع عليه أجله -يعني: قضى عليه قبل الأجل الذي كتبه الله له-؛ وهذا افتراء عظيم على الله، وقولٌ باطل بلا علم، فإن كل من مات بأي صفةٍ كان موتُه؛ قد مات بأجله ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٣٤]، وهذا قدَّر الله عليه أن يموت مريضًا، وهذا قدَّر الله عليه أن يموت مقتولًا، وهذا قدَّر الله عليه أن يموت غريقًا.. كلُ ذلكم بأجل وبقدر. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [سورة الرعد، من الآية:٣٨]. قال: (**فَبِالْمَقْدُوْرِ مُفْتَقَدُ**)؛ أي: بالقدر الذي قدره الله عليه يفتقده أهله.

قال: (**مَا إِنْ لَهُ عَنْهُ مِنْ مُسْتَأْخِرٍ أَبَدًا ... كَلاَّ وَلاَ عَنْهُ مِنْ مُسْتَقْدِمٍ يَجِدُ**): يعني: ليس هناك تقدم ولا تأخر إذا جاء الأجل. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ فكلٌّ يموت في الأجل الذي كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له.

وعندما يكون في بطن أمه يُقدَّر عليه رزقُه، وعملُه، وأجله، وشقيٌّ هو أو سعيد؛ فيُكتب متى يموت؟ وهذا التقدير الذي يكون على الإنسان وهو في رحم أمه هو تقدير داخلٌ في التقدير العام الذي كُتب في اللوح المحفوظ؛ ولهذا قال ابن القيم: "تقدير من بعد تقدير"؛ يعني: تقدير داخلٌ في التقدير العام الذي كُتب على العبد في اللوح المحفوظ، وذاك يُسمى التقدير العام، وهذا يسمى التقدير العمري -يعني: المتعلق بعمر كل إنسان بخاصته-.

(**كُلٌّ إِلى أَجَلٍ يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ**): "**كُلٌّ**" أي: من الناس.

(**إِلى أَجَلٍ**): أي: إلى وقتٍ محددٍ معينٍ تكون نهايته فيه. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾.

(**كُلٌّ إِلى أَجَلٍ يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ**): يعني: كلٌّ يجري إلى أجله على قدر؛ أي: على قدر قدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه.

وأحيانًا بعض الناس يتحرك من بلده ومن بيته ويودع أهله مسافرًا، ويكون هذا السفر الذي تحرك من بيته هو سفرٌ لأن يموت -وكثيرًا ما يحصل هذا- يخرج من بيته ويودع أهله ليسافر سفر الموت، منيته ووفاته بأرضٍ معينة ينطلق إليها بسيارته، وربما يُسرع أيضًا في سيارته؛ لأن منيته في ذاك المكان، في تلك الأرض، وكثيرًا ما يحصل، وكثيرًا ما تُفتقد أرواح وتُزهق نفوس تذهب إلى أجلها، يجري لأجله، ينطلق إلى حيث قدَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن تُقبض رُوحه.

(مَا لِامْرِئٍ عَنْ قَضَاءِ اللهِ مُلْتَحَدُ): أي: لا مفر للإنسان عن قضاء الله؛ فالمكتوب واقع لا محالة لا مفر منه، وتأمَّل هذا المعنى في الآية: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [سورة الجمعة، من الآية:٨]؛ فلا مفر من قضاء الله وما كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العبد، فما قدَّره كائن لا محالة.

قال: **(وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ وَالْعَذَابُ بِهِ ... لِكَافِرٍ وَنَعِيْمٌ لِلأُلَى سَعِدُوا)**: ذكر هنا ثلاثة أمور تتعلق بالقبر وهي الفتنة، والعذاب، والنعيم؛ الفتنة حيث يأتي ملكان إلى الميت في قبره، ويُقعدانه، ويقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ويقال لهما: الفتَّانان.

ففتنة القبر حقٌّ، وعلى إثر هذه الفتنة يكون حال الإنسان في قبره؛ إما في نعيم، أو في عذاب.

فعذاب القبر حقٌّ، ونعيم القبر حق، وأصحاب القبور بين حالتين: إما في روضةٍ من رياض الجنة -نسأل الله الكريم من فضله-، أو في حفرةٍ من حفر النيران -أعاذنا الله جميعًا-.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلِلْقِيَامَـــةِ آيـــاتٌ إِذَا وَجَبَـــتْ ** فَلَـيْسَ مِـنْ تَوْبَـةٍ تُجْـدِي وَتَلْتَحِـدُ
مِـنْ ذَاكَ أَنْ تَسْـتَبِينَ الشَّـمْسُ طَالِعَـةً ** مِنْ حَيْثُ مَغْرِبُهَا والخلْقُ قَدْ شَـهِدُوا
كَـــذَاكَ دَابَّـــةُ أَرْضٍ أَنْ تُكَلِّمَهُـــمْ ** جَهْـرًا وَتَفْـرُقَ بِـالتَّمْيِيزِ مَـنْ تَجِـدُ
نُـــزُوْلُ عِيْسَـــى لِـــدَجَّالٍ فَيَقْتُلَـــهُ ** وَفَـتْحُ سَـدِّ عِبَـادٍ مَـا لَهُـمْ عَـدَدُ
كَـذَا الـدُّخَانُ وَرِيْـحٌ وَهْـيَ مُرْسَـلَةٌ ** لَقَـبْضِ أَنْفُـسِ مَـنْ للـدَّيْنِ يَعْتَقِـدُ
وَغَيْرُهَا مِـنْ أُمُـوْرٍ فِي الْكِتَـابِ جَرَتْ ** ذِكْـرَى وَصَـحَّ بِهَـا فِي السُّـنَّةِ السَّـنَدُ

الشرح:

ذكر الناظم هنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- أشراط الساعة، وهي العلامات التي تأتي بين يدي الساعة مؤذنةً بدنو مجيئها وقربها؛ وهي على قسمين: آيات صغرى وآيات كبرى.

والآيات الكبرى هي التي تقع عند دنوها، وإذا وقعت الآيات الكبرى توالت كالعِقد إذا انفرط، وعلى إثرها يخرب هذا الكون وتقوم القيامة.

بدأ الكلام على آيات الساعة بقوله:

(وَلِلْقِيَامَةِ آياتٌ إِذَا وَجَبَتْ... فَلَيْسَ مِنْ تَوْبَةٍ تُجْدِي وَتَلْتَحِدُ): يعني: إذا وُجدت هذه الآيات ووقعت فلا تنفع التوبة، إذا رأى الإنسان الآية -والمراد بالآية هنا الآيات العِظام ليس الآيات الصغرى، وإنما المراد الآيات العظام الآيات الكبرى- فإذا وقعت أي ظهر شيء من هذه الآيات الكبرى العظيمة وعاينها الإنسان وأعلن توبته؛ لا تفيده التوبة.

قال أهل العلم: لأن هذا الإيمان إيمان مشاهدة، والذي ينفع هو إيمان الغيب، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٣]، أما إيمان المشاهدة الذي يرى بدايات خراب الكون، ويرى الأمور العظام المهيلة؛ فيؤمن على أثر ذلك، لا ينفعه إيمانه، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٥٨].

وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طلعت فرَآهَا النَّاسُ، آمَنُوا أجمعون، فَذلك حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**».

وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**».

فالشاهد: أن الآيات الكبرى -الآيات العِظام- من شأنها أنها إذا وُجد شيء منها؛ فإن الإيمان حينئذٍ لا ينفع.

ومن أجمع الأحاديث لآيات الساعة العظام حديث حذيفة بن أُسيد الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "اطلع علينا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة"، وهذه فائدة في حياة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ أي: أنهم يجلسون لتذاكر الساعة، يُذكِّر بعضهم بعضًا بذلك اليوم وبالتهيؤ له والاستعداد. قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات.. فذكر**

الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

ثم أخذ الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- يذكر بعض علامات الساعة؛ قال:

(مِنْ ذَاكَ أَنْ تَسْتَبِينَ الشَّمْسُ طَالِعَةً... مِنْ حَيْثُ مَغْرِبُهَا والخلْقُ قَدْ شَهِدُوا): أي: أن من علامات الساعة أن تطلع الشمس من مغربها ويشاهدها الخلق طالعة، يُفاجئون يوم من الأيام وإذا بالشمس بدل أن تطلع عليهم من المشرق فإذا بها تطلع من المغرب، وهذا تحول مُهيل ومُذهل في الكون، ومؤذن بخراب هذه الدنيا ودنو زوالها؛ فإذا رأى الناس هذه الآية آمنوا أجمعين -كما مر معنا في الحديث- لكن الإيمان حينئذٍ لا ينفع ولا يفيد؛ لأنه شاهد الآية العظيمة المؤذنة بزوال العالم؛ فلا يفيده الإيمان حينئذٍ.

(كَذَاكَ دَابَّةُ أَرْضٍ أَنْ تُكَلِّمَهُمْ ... جَهْرًا وَتَفْرُقَ بِالتَّمْيِيزِ مَنْ تَجِدُ): أي: أن من آيات الله العظام آية قد جاء ذكر هذه الآية في القرآن الكريم: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [سورة النمل، من الآية:٨٢]، ومرَّ معنا الحديث لذلك عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومن شأن هذه الدابة إذا خرجت أن يحصل منها أمران أشار إليهما الناظم:

الأول: أنها تكلم الناس جهرًا -أي: كلامًا يسمعونه-؛ وهذه آية من آيات الله العجيبة؛ أن دابة تخرج على الناس تكلمهم.

والأمر الثاني: ما أشار إليه الناظم بقوله: **(وَتَفْرُقَ بِالتَّمْيِيزِ مَنْ تَجِدُ)**، أي: أنها تسم من تجده، تضع على من تجد وسمًا، فكل من تجده تسمعه؛ تضع عليه سمة وعلامة.

(نُزُوْلُ عِيْسَى لِدَجَّالٍ فَيَقْتُلَهُ ... وَفَتْحُ سَدِّ عِبَادٍ مَا لَهُمْ عَدَدُ): هذا البيت ذكر فيه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- ثلاث أمارات للساعة؛ وهي خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وهم أمتان عظيمتان من نسل آدم ومن ذريته؛ يأذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخروجهم.

(وَفَتْحُ سَدِّ عِبَادٍ مَا لَهُمْ عَدَدُ): أي: ليس لهم عدد، إشارة إلى كثرتهم، **(مَا لَهُمْ عَدَدُ)**: أي: عدد يُحصيه الناس، وإلا لهم عدد يعلمه الله، لكن يُشير بذلك إلى كثرتهم الكاثرة.

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يخرج الدجال في أمتي؛ فيمكث أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة**

بن مسعود، فيطلبه فيهلكه -أي: يقتله- ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يُرسل الله ريحًا باردةً من قِبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل -أي: جوف جبل- لدخلت عليه حتى تقبضه».

ثم قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (كَذَا الدُّخَانُ): وهو أيضًا من الآيات العظام، ومرَّ معنا بعض أدلته، وجاء أيضًا في القرآن: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾ [سورة الدخان، من الآية: ١٠].

(كَذَا الدُّخَانُ وَرِيْحٌ وَهْيَ مُرْسَلَةٌ ... لَقَبْضِ أَنْفُسِ مَنْ للدَّيْنِ يَعْتَقِدُ): (وَرِيْحٌ وَهْيَ مُرْسَلَةٌ)؛ أي: يرسلها الله. (لَقَبْضِ أَنْفُسِ مَنْ للدَّيْنِ يَعْتَقِدُ)؛ أي: لتقبض روح أهل الإيمان، ومرَّ معنا الحديث بذلك، وأنها تقبض روح كل مؤمن ولو دخل الإنسان في جوف جبل؛ لدخلت عليه تلك الريح لقبض روحه.

قال: (وَغَيْرُهَا مِنْ أُمُوْرٍ فِي الْكِتَابِ جَرَتْ ... ذِكْرَى وَصَحَّ بِهَا فِي السُّنَّةِ السَّنَدُ): يشير هنا إلى أنه لم يتقص الآيات؛ بل هذه بعضها، وقد ذُكرت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وصحَّ بها السند في السنة -سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والواجب على كل مسلم أن يؤمن بما ورد في كتاب الله، وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذكر لأشراط الساعة، وغير ذلك من أصول الإيمان وحقائقه العظام.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَغَيْرُهَا مِنْ أُمُوْرٍ فِي الْكِتَابِ جَرَتْ ** ذِكْرَى وَصَحَّ بِهَا فِي السُّنَّةِ السَّنَدُ
والنفخُ في الصُّوْرِ حَقٌّ أَوَّلًا فَزَعٌ ** فَصَعْقَةٌ فَقِيَامٌ بَعْدَ مَا رَقَدُوا
وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ وَالأَعْمَالُ مُحْضَرَةٌ ** فِي الصُّحْفِ تُنْشَرُ وَالأَشْهَادُ قَدْ شَهِدُوا
وَالْجِسْرُ مَا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْجَحِيْمِ كَمَا ** فِي النَّصِّ إِنْ أَحَدٌ إِلاَّ لَهَا يَرِدُ
يَجُوْزُهُ النَّاسُ بِالأَعْمَالِ تَحْمِلُهُمْ ** عَلَيْهِ لَيْسَ الْقُوى وَالْعَدُّ وَالْعُدَدُ
كَالْبَرْقِ والطَّرْفِ أَوْمَرِّ الرِّيَاحَ وَكَالْـ ** جِيَادِ أَوْ كَرِكَابِ النُّوْقِ تَنْشَرِدُ
وَذَاكَ يَعْدُو وَذَا يَمْشِي عَلَيْهِ وَذَا ** زَحْفًا وَذَا كُبَّ فِي نَارٍ بِهِ تَقِدُ
وَالنَّارُ حَقٌّ وَجَنَّاتُ النَّعِيْمِ وَلاَ ** نَقُوْلُ تَفْنَى وَلاَ ذَا الآنَ تُفْتَقَدُ
هَذي لأَعْدائِهِ قَدْ أُرْصِدَتْ أَبَدًا ** وَذِي لأَحْبابِهِ وَالْكُلُّ قَدْ خَلَدُوا
وَحَوْضُ أَحْمَدَ قَدْ أَعْطَاهُ خَالِقُهُ ** غَوْثًا لأُمَّتِهِ فِي الْحَشْرِ إِذْ تَرِدُ

وَالرُّسْلُ تَحْتَ لَوَاءِ الْحَمْدِ تُحْشَرُ إِذْ ** ذَاكَ اللِّوَا لِخِتَامِ الرُّسْلِ يَنْعَقِدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**والنفخُ في الصُّوْرِ حَقٌّ**): النفخ في الصور؛ أي: نفخ ملك الصور، (**في الصُّوْرِ**)؛ والصور هو قرن قد سُئل عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الصور: ما هو؟ قال: «**هو قرنٌ يُنفخ فيه**»، فالنفخ في الصور حق؛ لثبوت ذلك في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال: (**أَوَّلًا فَزَعٌ فَصَعْقَةٌ فَقِيَامٌ**): والشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- يختار أنها ثلاث نفخات، وسبق أن أشرت إلى أن من أهل العلم من يختار أنها نفختان: الصعق والقيام، ويجعل الفزع متعلقًا بذلك وليس نفخةً مستقلة، ومنهم من يختار أنها ثلاث ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-.

قال: (**أَوَّلًا فَزَعٌ فَصَعْقَةٌ فَقِيَامٌ بَعْدَ مَا رَقَدُوا**): قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٦٨]، وفي الآية الأخرى قال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل، من الآية:٨٧].

فهذه ثلاث نفخات: الفزع، والصعق، والقيام لرب العالمين.

قال: (**وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ وَالأَعْمَالُ مُحْضَرَةٌ ... فِي الصُّحْفِ تُنْشَرُ وَالأَشْهَادُ قَدْ شَهِدُوا**): هذه أيضًا من الأمور الثابتة مما يقع يوم القيامة.

(**وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ**): كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:٤٧]، والوزن حق، ويوم القيامة تُنصب الموازيين، وهو ميزان حقيقي له كِفَّتان؛ كفة فيه توضع الحسنات، وكفة توضع السيئات، ويوزن أو يوضع على الميزان العامل والأعمال والصحف؛ كل ذلكم يوزن كما دلت على ذلك الدلائل.

(**وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ**): أي: بالعدل.

(**وَالأَعْمَالُ مُحْضَرَةٌ**): أي: عمل كل عامل يُحضر يوم القيامة؛ ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، من الآية:٤٩].

(**فِي الصُّحْفِ**): أي: كلٌ يحضر عمله في صحيفته، في كتاب يجمع كل عمل الإنسان. ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، من الآية:٤٩].

(**فِي الصُّحْفِ تُنْشَرُ**): أي: تُنشر الدواوين -دواوين الأعمال- وكلٌّ يطلع على أعماله وديوان عمله.

(**وَالأَشْهَادُ قَدْ شَهِدُوا**): أي: شهدوا على الإنسان بعمله، ومن ذلكم أن جوارح الإنسان تشهد عليه بما قدَّم وبما عمل، ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [سورة يس، من الآية:٦٥]، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٢١].

قال: (**وَالْجِسْرُ مَا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْجَحِيْمِ كَمَا ... فِي النَّصِّ إِنْ أَحَدٌ إِلاَّ لَهَا يَرِدُ**): كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [سورة مريم، من الآية:٧١-٧٢]، وقد فسَّر جماعة من أهل العلم الورود بالمرور على الصراط الذي يُنصب على متن جهنم، وهو صراطٌ حقيقي أحدُّ من السيف وأدق من الشعرة، يُنصب على متن جهنم ويُطلب من الخلائق العبور، ومن تحتهم نار جهنم تلظَّى، ثم يمر الناس على هذا الجسر المنصوب على متن جهنم بحسب أحوالهم في الإيمان والدين والعبادة، فمرورهم على الصراط الذي يُنصب على متن جهنم يوم القيامة، بحسب سيرهم على الصراط المستقيم في الحياة الدنيا؛ ولهذا يتفاوت الناس في المرور تفاوتًا عظيمًا كما سيأتي بيان ذلك عند الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-.

قال: (**يَجُوْزُهُ النَّاسُ**): أي يمرون عليه، (**يَجُوْزُهُ النَّاسُ بِالأَعْمَالِ تَحْمِلُهُمْ ... عَلَيْهِ لَيْسَ الْقُوى وَالْعَدُّ وَالْعُدَدُ**): ليس الذي يحمل الإنسان على الجسر قوة جسمه ليس هذا الذي يحمله ولا العدد يجتمع مجموعة يتعاونون أونحو ذلك ليس الذي يحمل الإنسان على الجسر شيئًا من ذلك، ما الذي يحمله؟ الأعمال، الذي يحمل الإنسان على الجسر الأعمالُ الصالحة، هي التي تحمله فقط؛ ولهذا سُرعة السير على الجسر بحسب الأعمال؛ كلما قويت الأعمال وكثرت خالصةً لله صالحةً وفق شرع الله كلما كان ذاك أسرع في سيره ومروره؛ ولهذا قال: (**كَالْبَرْقِ والطَّرْفِ أَوْ مَرِّ الرِّيَاحَ وَكَالْجِيَادِ**)؛ الخيل. (**أَوْ كَرِكَابِ النُّوْقِ تَنْشَرِدُ**)؛ تعدو وتسرع، فمتفاوتون في سيرهم على الصراط.

منهم من يمر (**كَالْبَرْقِ**)؛ نسأل الله الكريم من فضله. (**وَذَاكَ يَعْدُو وَذَا يَمْشِي عَلَيْهِ وَذَا زَحْفًا**): أنظر التفاوت؛ يعني: منهم كالبرق، منهم كالريح، منهم كطرف العين، منهم كأجاويد الخيل، ومنهم كركاب الإبل، ومنهم جريًا، ومنهم مشيًا، ومنهم زحفًا -يمشي على الصراط زحفًا-.

(**وَذَا كُبَّ فِي نَارٍ بِهِ تَقِدُ**): أي: تتقد به، يعني: يسقط من على الصراط، وجاء في الحديث: أن الأنبياء على جنبتي الصراط يقولون: «**اللهم سلِّم سلِّم**»، وهذه شفاعة منهم لأممهم.

قال: (**وَالنَّارُ حَقٌّ وَجَنَّاتُ النَّعِيْمِ**): أي حق النار حق بكل أنواع العذاب الذي أودعه الله فيها، والجنة حق بكل أنواع النعيم الذي أودعه الله فيها. أجارنا الله جميعًا من النار، وأكرمنا بدخول جنته في عباده الأبرار.

قال: (**وَالنَّارُ حَقٌّ وَجَنَّاتُ النَّعِيْمِ وَلاَ نَقُوْلُ تَفْنَى**): لا نقول: النار تفنى، ولا نقول: الجنة تفنى؛ بل الجنة باقية أبد الآباد، والنار باقية أبد الآباد، وأهل الجنة خالدين فيها أبد الآباد، والنار كذلك. لا نقول: تفنى.

(**وَلاَ ذَا الآنَ تُفْتَقَدُ**): ولا نقول: الآن النار مفقودة، ليست موجودة، بل نعتقد أن النار والجنة الآن موجودتان، لا نقول: إن الجنة والنار الآن تفتقد، مفقودة لم توجد بعد، وأنها تُخلق يوم القيامة -لا نقول ذلك- ، بل نقول: إن الجنة والنار الآن موجودتان.

وقد دلَّت دلائل كثيرة جدًا في الكتاب والسُّنة على أن النار مخلوقتان موجودتان، ومن ذلكم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٣٣]، والمُعَدُّ موجود، وجاء في صلاة الكسوف أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي بهم تقدَّم إلى الأمام ومد يده وقت الصلاة، ثم تأخر إلى الوراء فسألوه فقال: «**رأيت الجنة والنار**»، وكان تقدُّمه ليأخذ عنقودًا من عناقيد الجنة، يرى الجنة ويرى عناقيد من العنب أمام ناظريه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والصحابة خلفه في الصفوف لا يرون شيئًا -وربنا على كل شيءٍ قدير-. وتقدَّم ومد يده ليُمسك عنقوًا، يرى الجنة أمامه رأي العين.

قال: «**ولو أخذت عنقودًا لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**»؛ يعني يبقى سليمًا ليأكل منه الناس إلى أن تبقى في الدنيا.

ورأى النار، ورأى بعض من في النار؛ ومما رأى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في النار -وهو يصلي بالناس صلاة الكسوف- رأى امرأة دخلت النار في هرة، ورآها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في النار.

ورأى عمرو بن لُحي الذي جلب الأصنام، وأعاد عبادة الأوثان.

فإذًا نعتقد أن النار حق والجنة حق، ولا نقول: النار تفنى، ولا نقول: الجنة تفنى، بل هما باقيتان، وأيضًا ولا نقول: إن الجنة أو النار تُفتقد الآن، ليست موجودة، بل نعتقد أن الجنة والنار موجودتان الآن، خلق الله الجنة وهيئها لعباده المتقين، وخلق النار وأعدها للظالمين.

كما يُبين ذلك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في قوله: (**هَذي لأَعْدائِهِ قَدْ أُرْصِدَتْ أَبَدًا**): (**هَذي**)؛ أي: النار. (**لأَعْدائِهِ قَدْ أُرْصِدَتْ**)؛ أي: أُعدت. (**أَبَدًا**).

(**وَذِي**): أي: الجنة.

(**لأَحْبابِهِ وَالْكُلُّ قَدْ خَلَدُوا**): أي: أهل الجنة وأهل النار كلهم يخلدون؛ هؤلاء يخلدون في الجنة أبد الآباد، هؤلاء يخلدون في النار أبد الآباد.

وقد جاء في الحديث الصحيح: أنه يؤتى -حين يبقى في النار أهلها الذين هم أهلها ويُخرج عُصاة الموحدين- يؤتى بكبشٍ ويوضع بين الجنة والنار؛ فينادى أهل الجنة فيستبشرون، ويُقال: تعرفون ذلك؟ يقولون: نعم نعرفه؛ هذا الموت، ويُنادى أهل النار ويقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم نعرفه، ثم يُذبح بين الجنة والنار، الموت يذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

قال: (**وَحَوْضُ أَحْمَدَ قَدْ أَعْطَاهُ خَالِقُهُ ... غَوْثًا لأُمَّتِهِ فِي الْحَشْرِ إِذْ تَرِدُ**): في الحشر يرد الناس -أي: يجيئون عطاشًا- أحوج ما يكون وأشد ما يكونون إلى الماء؛ فهو يوم العطش، والناس أحوج ما يكونون في ذلك اليوم إلى الماء؛ فأكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبينا بالحوض المورود، وجاء وصفه في السُّنة بأن طوله شهر، وعرضه شهر، وعدد كيزانه عدد نجوم السماء، وأن ماءه أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأطيب من ريح المسك، من شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا.

فنؤمن بالحوض المورود، (**وَحَوْضُ أَحْمَدَ قَدْ أَعْطَاهُ خَالِقُهُ ... غَوْثًا لأُمَّتِهِ فِي الْحَشْرِ**). يعني: في ذلك اليوم العصيب وفي العطش الشديد.

وجاء في الحديث: أن أقوامًا يُذادون عن الحوض، فيقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أصحابي أصحابي**»؛ فيُقال: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، وهذا فيه دلالة على خطورة الإحداث في دين الله، وأنه من أسباب الذود عن الحوض، والحرمان من الشرب منه. ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُكرمنا أجمعين بالورود عليه وأن نشرب منه شربًا هنيئةً لا نظمأ بعدها أبدًا.

قال: (**وَالرُّسْلُ تَحْتَ لَوَاءِ الْحَمْدِ تُحْشَرُ ... إِذْ ذَاكَ اللِّوَا لِخِتَامِ الرُّسْلِ يَنْعَقِدُ**): هنا يذكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- لواء الحمد، وهو لواءٌ يكون بيد محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وبيدي لواء الحمد**».

يقول الناظم: (**وَالرُّسْلُ تَحْتَ لَوَاءِ الْحَمْدِ تُحْشَرُ ... إِذْ ذَاكَ اللِّوَا لِخِتَامِ الرُّسْلِ يَنْعَقِدُ**): أي: يكون منعقدًا لختام الرسل الذي هو محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيكون بيده لا بيد غيره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وهذا من خصائصه، وله خصائص كثيرة في الآخرة -صلوات الله وسلامه عليه-؛ فمن خصائصه أن الله عَزَّوَجَلَّ يجعل بيده لواء الحمد لا بيد غيره، ومرَّ معنا من خصائصه الشفاعة العظمى، وأيضًا من خصائصه الشفاعة لأهل الجنة في دخول الجنة،

فله خصائص، أمور خصه الله بها يوم القيامة، ومن خصائصه أن أعلى درجة ومنزلة في الجنة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللهم اجمعنا به في جنات النعيم.

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: (**كَذَا المَقَامُ لَهُ الْمَحْمُودُ حَيْثُ بِهِ ... فِي شَأْنِهِ كُلُّ أَهْلِ الْجَمْعِ قَدْ حَمِدُوا**): هنا أيضًا يذكر رَحِمَهُ اللَّهُ شيئًا مما خصَّ الله به نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو المقام المحمود، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٧٩]، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي يغبطه عليها الأولون والآخرون -صلوات الله وسلامه عليه-؛ ولهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ مفسرًا المقام المحمود:

(**وَهْوَ الشَّفَاعَةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ وفِي ... فَتْحِ الْجِنَانِ لأَهْلِيْهَا إِذَا وَفَدُوا**): المقام المحمود هو الشفاعة العُظمى، واستفتاح الجنة هو مقامٌ يُحمد عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن المقام المحمود المعني بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، هو الشفاعة العُظمى للخلائق في أن يبدأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالفصل بين العباد. قال: (**وَهْوَ الشَّفَاعَةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ**).

وقد مرَّ معنا أن الناس يأتون إلى الأنبياء فيعتذرون، وكلٌّ منهم يُحيل إلى الآخر حتى يحيلهم عيسى إلى نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيقول: «**أنا لها**»، ويخر ساجدًا تحت العرش، ويحمد الله بمحامد ويُثني عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأسمائه وصفاته مما يعلمه الله إياه في ذلك الوقت، ثم يقول الله له: «**ارفع رأسك، وسل تُعطى، واشفع تُشفع**»، وحينئذٍ يجيء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنفسه للفصل بين العباد. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر، من الآية:٢٢].

(**وفِي فَتْحِ الْجِنَانِ**): قد جاء في الحديث الصحيح أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أستفتح باب الجنة فيقول لي الخازن: لك أُمرت أن أفتح، وألا أفتح لأحدٍ قبلك**»؛ فهو أول من يستفتح باب الجنة، وأول من يُفتح له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ باب الجنة.

(**وفِي فَتْحِ الْجِنَانِ لأَهْلِيْهَا إِذَا وَفَدُوا**): أي إذا وفدوا إلى الجنة للدخول والفوز بثواب الله العظيم.

قال: (**وَفِي عُصَاةِ أُولِي التَّوْحِيْدِ**): أي: الشفاعة في عصاة أولي التوحيد.

(**يُخْرِجُهُمْ مِنَ الْجَحِيْمِ وَيُدْرِيْهِمْ بِمَا سَجَدُوا**): أدراه بالشيء أي: أعلمه به، (**وَفِي عُصَاةِ أُولِي التَّوْحِيْدِ يُخْرِجُهُمْ ... مِنَ الْجَحِيْمِ وَيُدْرِيْهِمْ بِمَا سَجَدُوا**)؛ هذه الشفاعة لعصاة الموحدين، وهي ليست خاصة به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ بل هو يشفع، والملائكة تشفع، والأنبياء يشفعون، والصالحون من عباد الله يشفعون، والشهداء يشفعون، قد جاء في الحديث: "أن الشهيد يشفع لسبعين من أهله"، فالشفاعة حق وثابتة.

(**وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ الأَمْلاَكُ وَالشُّهَدَا ... وَالأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعٌ لَهُمْ سَعِدُوا**): كل هؤلاء يشفعون. (**الأَمْلاَكُ**)؛ الملائكة تشفع، والشهداء يشفعون، والأنبياء يشفعون، وأتباعٌ للأنبياء أيضًا يشفعون.

فَيُخْرِجُوْنَهُمو فَحْمًا قَدِ امْتَحَشُوا ** مِنَ الجَحِيْمِ قَدِ اسّودُّوا وَقَدْ خَمَدُوا

فَيُطْرَحُوْنَ بِنَهْرٍ يَنْبُتُونَ بِهِ ** نَبْتَ الْحُبُوبِ بِسَيْلٍ جَاءَ يَطَّرِدُ

يذكر -رحمة الله عليه- في هذين البيتين صفة خروج عصاة الموحدين من النار بعد شفاعة الأملاك والشهداء والأنبياء والصالحين من عباد الله؛ ما هي الصفة التي يخرج عليها عصاة الموحدين من النار، ذكر ذلك في هذين البيتين قال:

(**فَيُخْرِجُوْنَهُمو فَحْمًا**): يعني: قطع من الفحم، قطع متفحمة. فحماً.

(**قَدِ امْتَحَشُوا**): أي: من النار، صلتهم النار.

(**قَدِ امْتَحَشُوا مِنَ الجَحِيْمِ قَدِ اسّودُّوا وَقَدْ خَمَدُوا**): أي: يخرجون قطع خامدة ميتة متفحمة. بهذه الصفة قطع من الفحم.

(**فَيُطْرَحُوْنَ**): أي: هذه القطع من الفحم.

(**بِنَهْرٍ**): نهر الفردوس في الجنة.

(**يَنْبُتُونَ بِهِ**): ينبتون بهذا النهر.

(**نَبْتَ الْحُبُوبِ بِسَيْلٍ جَاءَ يَطَّرِدُ**): يعني: مثل الحبوب التي تنبت يحملها السيل، الآن الأودية قبل مجيء السيل تكون فيها بذور -حبوب- مترامية في الأودية؛ إذا جاء السيل يحمل الحبوب التي في الأرض على متنه وهو يمشي ويقذف بها على جنبتي الوادي، وتنبت هذه الحبوب بمائه -تحيا بماء السيل-؛ فهؤلاء يُلقَوْن في نهر -هذه القطع المتفحمة- تُلقى في نهر الفردوس، وتحيا بمائه؛ فينبتون كما جاء في الحديث: «**كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السيل**»، والحِبَّة -بكسر الحاء- وهي التي تكون في الصحراء وفي الأودية، أما الحبوب التي يزرعها الناس فواحدتها "حَبَّة"؛ مثل: القمح والشعير والحنطة والذرة وغير ذلك. أما الحبوب التي في الصحراء فواحدتها "حِبَّة".

وهذا المعنى صاغه ابنُ أبي داود -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في [**حائيته**] المشهورة في بيتين، من يحفظهما؟

فهذا المعنى الذي ذكره ابن أبي داود وذكره الحافظ هنا ثبت به الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلكم ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم**، من هم؟ عصاة الموحدين -أو قال: بخطاياهم- **فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحمًا، أُذِن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر**»؛ يعني: جماعات جماعات، ودفعات دفعات، لماذا لا يخرجون دفعة واحدة؟ لماذا لم يخرج هؤلاء العصاة دفعة واحدة؟ لأن كبائرهم متفاوتة بين مُقلٍّ ومستكثر، ودخولهم النار للتمحيص والتطهير؛ فمنهم التطهير يحتاج إلى وقت، ومنهم التطهير إلى دون ذلك، ولهذا يخرجون ضبائر ضبائر؛ أي: جماعات جماعات.

قال: «**فجيء بهم ضبائر ضبائر فبُثوا على أنهار الجنة** -أي: يُطرحون على أنهار الجنة- **ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا علينا**»، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حميل السيل**»، وهذه المعلومة -الحِبة في حميل السيل- هذه المعلومة لا يعرفها إلا أهل البوادي، أما الذي ليس من أهل البادية عندما يرى النبات على جنبتي الوادي وتسأله عن هذا النبات: من أين بذور هذا النبات؟ لا يدري، لكن أهل البادية يعرفون أن الوادي ممتلئ بالبذور، وأنه إذا جاء السيل يطفح حمل البذور وألقاها على جنبتيه، ولهذا تنبت هذه البذور على جنبتي الوادي. قال: «**فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان بالبادية**»؛ لأن هذه المعلومة ليست معروفة إلا عند أهل البوادي.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَـذَا المَقَـامُ لَـهُ الْمَحْمُـودُ حَيْـثُ بِـهِ ** فِي شَأْنِهِ كُلُّ أَهْلِ الْجَمْعِ قَدْ حَمِدُوا
وَهْـوَ الشَّـفَاعَةُ فِي فَصْـلِ الْقَضَـاءِ وفِي ** فَـتْحِ الْجِنَـانِ لأَهْلِيْهَـا إِذَا وَفَـدُوا
وَفِي عُصَاةِ أُولِي التَّوْحِيْدِ يُخْرِجُهُمْ ** مِنَ الْجَحِيْمِ وَيُدْرِيْهِمْ بِمَا سَجَدُوا
وَبَعْـدَهُ يَشْـفَعُ الأَمْـلاَكُ وَالشُّـهَدَا ** وَالأَنْبِيَـاءُ وَأَتْبَـاعٌ لَهُـمْ سَـعِدُوا
فَيُخْرِجُوْنَهُمـو فَحْمًـا قَـدِ امْتَحَشُـوا ** مِنَ الجَحِيْمِ قَدِ اسْوَدُّوا وَقَدْ خَمَدُوا
فَيُطْرَحُـوْنَ بِنَهْـرٍ يَنْبُتُـونَ بِـهِ ** نَبْـتَ الْحُبُـوبِ بِسَـيْلٍ جَـاءَ يَطَّـرِدُ
ثُـمَّ الشَّـفَاعَةُ مُلْـكٌ للإِلَـهِ وَلاَ ** شَـرِيْكَ جَـلَّ لَـهُ فِي مُلْكِـهِ أَحَـدُ
فَلَـيْسَ يَشْـفَعُ إِلاَّ مَـنْ يَشَـاءُ وَفِي ** مَنْ شَاءَ حِيْنَ يَشَاءُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ

وَيُخْرِجُ اللهُ أَقْوَامًا بِرَحْمَتِهِ ** بِلاَ شَفَاعَةَ لاَ يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ
وَلَيْسَ يَخْلُدُ فِي نَارِ الجَحِيْمِ سِوَى ** مَنْ كَانَ بِالكُفْرِ عَنْ مَوْلاَهُ يَبْتَعِدُ
يَا عُظْمَ مَا رَكِبُوا يا سُوْءَ ما نَكَبُوا ** عَنْ رَبِّهِمْ حُجِبُوا مِنْ فَضْلِهِ بُعِدُوا

الشرح:

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: (ثُمَّ الشَّفَاعَةُ مُلْكٌ للإِلَهِ): كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر، من الآية:٤٤]؛ فالشفاعة ملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(ثُمَّ الشَّفَاعَةُ مُلْكٌ للإِلَهِ وَلاَ ... شَرِيْكَ جَلَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدُ): لا شريك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ملكه، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، من الآية:٢٢-٢٣]، فالشفاعة ملك لله وليس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شريكٌ في ملكه.

(فَلَيْسَ يَشْفَعُ إِلاَّ مَنْ يَشَاءُ وَفِي ... مَنْ شَاءَ حِيْنَ يَشَاءُ): هذه ضوابط للشفاعة؛ فالشفاعة لا تكون إلَّا لمن أَذِنَ الله له أن يشفع؛ ليس كل أحد يشفع، وإنما الذي يشفع من أَذِنَ الله له بالشفاعة. قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، من الآية:٢٣]، وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]؛ فهذا ضابط للشفاعة وهو إذن الله للشافع.

قال: (فَلَيْسَ يَشْفَعُ إِلاَّ مَنْ يَشَاءُ): **أي من يأذن الله له بالشفاعة.**

(وَفِي مَنْ شَاءَ): والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يأذن بالشفاعة إلا لمن رضيَ قوله وعمله؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:٢٨]، وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]؛ إذنه للشافع، ورضاه تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن المشفوع له، وهو جَلَّ وَعَلَا لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، أمَّا من سواهم فإن الشفاعة لا تنفعهم.

قال: (وَفِي مَنْ شَاءَ حِيْنَ يَشَاءُ): أي: أن الشفاعة لا تكون إلا في الوقت الذي يأذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه للشفعاء بأن يشفعوا. (حِيْنَ يَشَاءُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ).

(**وَيُخْرِجُ اللهُ أَقْوَامًا بِرَحْمَتِهِ ... بِلاَ شَفَاعَةَ لاَ يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ**): وهذا جاء في صحيح البخاري بعد أن يشفع الشفعاء يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «**بقيت رحمتي**»، ثم يُخرج سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ برحمته -كما قال الناظم- عددًا لا يحصيه إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يخرجهم برحمته.

قال: (**وَلَيْسَ يَخْلُدُ فِي نَارِ الجَحِيْمِ سِوَى ... مَنْ كَانَ بالكُفْرِ عَنْ مَوْلاَهُ يَبْتَعِدُ**): أي: أن النار لا يُخلَّد فيها إلا الكفار، أما العصاة -عصاة أهل التوحيد- ومن في قلبه إيمان فإنه يخرج من النار، كما في الحديث القدسي: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان**».

والذين يخلدون في النار هم الكفار، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

[سورة فاطر، من الآية:٣٧].

(**يَا عُظْمَ مَا رَكِبوا يا سُوْءَ ما نَكَبُوا ... عَنْ رَبِّهِمْ حُجِبُوا مِنْ فَضْلِهِ بُعِدُوا**): هذه حال الكافر -عياذًا بالله-؛ (**يَا عُظْمَ مَا رَكِبوا**)؛ أي: من الذنوب، وأيُّ جرمٍ أشنع وأيُّ ذنب أفظع من الكفر بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟!

(**يا سُوْءَ ما نَكَبُوا**): نكِبَ عن الحق أو عن الطريق أو عن الجادة؛ أي: حاد عنها، وهم نكبوا عن صراط الله المستقيم، وانحرفوا عن سبيله القويم.

(**عَنْ رَبِّهِمْ حُجِبُوا**): ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ﴾ [سورة المطففين، من الآية:١٥-١٦].

(**مِنْ فَضْلِهِ بُعِدُوا**): أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ طردهم من رحمته، وأبعدهم عن فضله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ونعمته. نسأل الله لنا جميعًا الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل، وأن يُعيذنا من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ: الإيمان بالنظر إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الدار الآخرة:

وَالْمُؤْمِنُـــوْنَ يَـــرَوْنَ اللهَ خَـــالِقَهُمْ ** يَـوْمَ اللِّقَـا وَعْـدُهُ الصِّـدْقُ الـذِي وُعِـدُوا
يَرَوْنَـــهُ فِي مَقَـــامِ الْحَشْـــرِ حِـــيْنَ يُنَـــا ** دِيْهِـــمْ لِيَتَّبِـــعِ الأَقْـــوَامُ مَـــا عَبَـــدُوا
فَيَتْبَـــعُ الْمُجْـــرِمُ الأَنْـــدَادَ تَقْـــدُمُهُمْ ** إِلَـــى جَهَـــنَّمَ وِرْدًا سَـــاءَ مَـــا وَرَدُوا
وَالْمُؤْمِنُـــوْنَ لِمَـــوْلاَهُمْ قَـــدِ انْتَظَـــرُوا ** إِذَا تَجَلَّـــى لَهُـــمْ سُـــبْحَانَهُ سَـــجَدُوا

إِلاَّ الْمُنَـــافِقُ يَبْقَـــى ظَهْـــرُهُ طَبَقًـــا ** إِذْ فِي الْحَيَـــاةِ إِذَا قِيْـــلَ اسْـــجُدُوا
كَـــذَا الزِّيَـــادَةُ فِي يَـــوْمِ الْمَزِيْـــدِ إِذَا ** مَرَدُوا عَلَى النَّجَائِبِ للرَّحْمَانِ قَدْ وَفَدُوا
فَالأَنبِيَـــاءُ كَـــذَا الصِّـــدِّيْقُ وَالشُّـــهَدَا ** عَلَـــى مَنَـــابِرَ نُـــوْرٍ فِي الْعُـــلا قَعَـــدُوا
وَغَيْرُهُمْ مِنْ أُولى التقْوَى مَجَالِسُهُمْ ** كُثْبَـــانُ مِسْـــكٍ أَلاَ يَـــا نِعْمَـــتِ الْمُهُـــدُ
مِـنْ فَـوْقِهِمْ أَشْـرَفَ الـرَّحْمَنُ جَـلَّ وَنَـا ** دَاهُـــمْ سَـــلاَمٌ عَلَـــيْكُمْ كُلُّهـــم شَـــهِدُوا
يَرَوْنَـــهُ جَهْـــرَةً لاَ يَمْتَـــرُوْنُ كَمَـــا ** للشَّـمسِ صَـحْوًا يَـرَى مَـنْ مَـا بِـهِ رَمَـدُ
هُنَـــاكَ يَـــذْهَلُ كُـــلُّ عَـــنْ نَعِـــيْمِهِمُ ** بِـــذَا النَّعِـــيْمِ فَيَـــا نُعْمَـــى لَهُـــمْ حُمِـــدُوا
وَذَا لَهُـــمْ أَبَـــدًا فِي كُـــلِّ جُمْعَـــتِهِمْ ** بُشْـــرَى وَطُـــوْبَى لِمَـــنْ فِي وَفْـــدِهِمْ يَفِـــدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (بابٌ: **الإيمان بالنظر إلى الله** عَزَّوَجَلَّ **في الدار الآخرة**)؛ وهذا أكمل وأعظم نعيمٍ يناله أهلُ الجنة، وفي الدعاء المأثور عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضرَّاء مضرة، ولا فتنة مضلة**»؛ فهذا أكمل نعيم وأفضل نعيمٍ يناله أهل الجنة؛ ألا وهو رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ينظرون إليه حقيقةً عيانًا بأبصارهم، وقد جاء في الحديث عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامُّون في رؤيته**».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذه العقيدة: (**وَالْمُؤْمِنُوْنَ يَرَوْنَ اللهَ خَالِقَهُمْ يَوْمَ اللِّقَا**): أي: يوم القيامة، يوم يلقون الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف، من الآية:١١٠]، وقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾، ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾؛ هذا هو الزاد للقاء وللثواب ولرؤية الرب الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ فليست هذه النعم العظام والعطايا الجليلة بمجرد الأماني.

وفي حديث الرؤية المشهور قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروبها فافعلوا**»؛ أي: صلاة الفجر وصلاة العصر، فالأمر يحتاج إلى عمل وجِد واجتهاد وصبر ومصابرة ومرابطة. ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة النساء، من الآية:١٢٣].

قال: (**وَعْدُهُ الصِّدْقُ الذِي وُعِدُوا**): أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ وعدهم بذلك، ووعده سُبْحَانَهُوَتَعَالَى صِدْق، وعدهم في مثل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة، من الآية:٢٢-٢٣]، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق، من الآية:٣٥]، والمزيد رؤية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ فالله وعد أهل الإيمان بذلك ووعده الصدق؛ ولهذا فإن أكبر نعيم يناله أهل الجنة في الجنة هو رؤية الله؛ ولهذا جاء في صحيح مسلم: «**أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة يُناديهم الله** جَلَّوَعَلَا: **هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا! ألم تنجنا من النار! ألم تدخلنا الجنة!**»؛ قال: «**فيُكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى الله** سُبْحَانَهُوَتَعَالَى»، فهذا أكمل وأكبر وأعظم نعيم.

قال: (**يَرَوْنَهُ فِي مَقَامِ الْحَشْرِ حِيْنَ يُنَادِيْهِمْ لِيَتَّبِعِ الأَقْوَامُ مَا عَبَدُوا**): وذلك حين يجيء الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لفصل القضاء كما في الآية الكريمة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر، من الآية:٢٢]؛ فيرونه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في مقام الحشر حين يجيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَى للفصل بين العباد.

(**لِيَتَّبِعِ الأَقْوَامُ مَا عَبَدُوا**): أي: كل قوم يتبعون من يعبدون؛ فأصحاب الأوثان يتبعون الأوثان، والشمس الشمس، والنجوم النجومَ؛ وهكذا كل أتباع يتبعون ما عبدوا.

(**فَيَتْبَعُ الْمُجْرِمُ الأَنْدَادَ تَقْدُمُهُمْ ... إِلى جَهَنَّمَ وِرْدًا سَاءَ مَا وَرَدُوا**): أي: أن عُبَّاد الأصنام والأوثان يتبعون أصنامهم وأوثانهم فتقدم أمامهم إلى النار -نار جهنم- فيردونها أجمعين. (**سَاءَ مَا وَرَدُوا**).

(**وَالْمُؤْمِنُوْنَ لِمَوْلاَهُمْ قَدِ انْتَظَرُوا ... إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ سَجَدُوا**): اللهم اجعلنا من أهل هذه السجدة.

قال: (**وَالْمُؤْمِنُوْنَ لِمَوْلاَهُمْ قَدِ انْتَظَرُوا ... إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ سَجَدُوا**): يعني: يتبع كل أقوام معبوديهم، ويقدمون بهم النار ويبقى المؤمنون ينتظرون ربهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ فإذا تجلَّى لهم ربهم جَلَّوَعَلَا سجدوا.

(**إِلاَّ الْمُنَافِقُ يَبْقَى ظَهْرُهُ طَبَقًا**): يعني: يبقى ظهره مستقيمًا لا يتمكن من السجود؛ قال تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [سورة القلم، من الآية:٤٢]. يبقى ظهره طبقًا، أي: لا يتمكن ولا يستطيع أن يسجد. (**إِلاَّ الْمُنَافِقُ يَبْقَى ظَهْرُهُ طَبَقًا**).

(**إِذْ فِي الْحَيَاةِ إِذَا قِيْلَ اسْجُدُوا**): مردوا. حالهم أن في الحياة إذا قيل: اسجدوا مردوا. ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٤٢]، المنافق الصلاةُ ثقيلة عليه، وإذا قيل له: صلي؛ مرد؛ يعني: يتمرد ويمتنع

ويتعذر..؛ فهي ثقيلة عليه؛ ولهذا يوم القيامة يبقى ظهره طبقًا لا يستطيع أن يسجد؛ لأنه كان في الحياة إذا قيل لهم: اسجدوا؛ مردوا.

قال: (**كَذَا الزِّيَادَةُ فِي يَوْمِ الْمَزِيْدِ**): يشير إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق، من الآية:٣٥]؛ والمزيد رؤية الله، قال: (**كَذَا الزِّيَادَةُ فِي يَوْمِ الْمَزِيْدِ**). ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس، من الآية:٢٦]، والزيادة هي النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكريم.

(**كَذَا الزِّيَادَةُ فِي يَوْمِ الْمَزِيْدِ إِذَا ... مَرَدُوا عَلَى النَّجَائِبِ لِلرَّحْمَانِ قَدْ وَفَدُوا**): أي: على الركاب الذي أُعد لهم في الجنة يركبونه، ويذهبون لزيارة الرحمن ويفدون عليه، فينظرون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. (**كَذَا الزِّيَادَةُ فِي يَوْمِ الْمَزِيْدِ إِذَا ... مَرَدُوا عَلَى النَّجَائِبِ لِلرَّحْمَانِ قَدْ وَفَدُوا**)؛ أي: قدموا وذهبوا إلى الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**فَالأَنبِيَاءُ كَذَا الصِّدِّيْقُ وَالشُّهَدَا ... عَلَى مَنَابِرَ نُوْرٍ فِي الْعُلا قَعَدُوا**): يعني يكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذه المنازل العلية، على منابر من نور في العُلا؛ أي: في أعلى منازل في الجنة.

(**وَغَيْرُهُمْ مِنْ أُولى التقْوَى مَجَالِسُهُمْ ... كُثْبَانُ مِسْكٍ أَلاَ يَا نِعْمَتِ الْمُهُدُ**): وهذا فيه تفاوت أهل الجنة في الجنة في المنازل وفي النعيم وفي النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكريم.

(**مِنْ فَوْقِهِمْ أَشْرَفَ الرَّحْمَنُ جَلَّ وَنَا ... دَاهُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كُلُّهم شَهِدُوا**): يعني: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يناديهم من فوقهم، ويشرف عليهم ويتجلى لهم، ويقول جَلَّ وَعَلَا: سلام عليكم، وكلهم -أي: أهل الجنة- شهدوا هذا النعيم العظيم.

(**يَرَوْنَهُ جَهْرَةً لاَ يَمْتَرُوْنُ كَمَا ... لِلشَّمسِ صَحْوًا يَرَى مَنْ مَا بِهِ رَمَدُ**): هذا مأخوذ من قوله: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر**»، وفي الحديث الآخر: «**كما ترون الشمس ليس بينكم وبينها حجاب**»، والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية وليس للمرئي بالمرئي، والمعنى: أنكم سترون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رؤيةً حقيقيةً بأبصاركم كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس بينكم وبينها حجاب أو سحاب.

قال: (**هُنَاكَ يَذْهَلُ كُلٌّ عَنْ نَعِيْمِهِمُ بِذَا النَّعِيْمِ**): أي: الذي هو رؤية الله، يذهل أهل النعيم -أهل الجنة-. (**عَنْ نَعِيْمِهِمُ**)؛ أي: النعيم الذي يحظون به ويكرمهم الله به في الجنة. (**بِذَا النَّعِيْمِ**)؛ أي: برؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي هو أكبر نعيم.

(**فَيَا نُعْمَى لَهُمْ حُمِدُوا**): أي: ما أعظمها نعمة! وما أجلَّها مِنةً! يكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها.

(**وَذَا لَهُمْ أَبَدًا فِي كلِّ جُمْعَتِهِمْ**): أي: أن هذه الزيارة تكون كل جمعة، وهذا جاء في حديث عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -لكن يحتاج إلى أن يُراجع-.

(**وَذَا لَهُمْ أَبَدًا فِي كلِّ جُمْعَتِهِمْ ... بُشْرَى وَطُوْبَى لِمَنْ فِي وَفْدِهِمْ يَفِدُ**): إي والله يعني: لمن يكون في هذا الوفد الكريم، وأكرم به من وفد، منَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى علينا جميعًا بذلك.

المتن:

قال -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى-: بابٌ: الإيمان بالقدر خيره وشره:

كَـذَاكَ بَالْقَـدَرِ الْمَقْـدُوْرِ نُـؤْمِنُ مِـنْ ** خَيْـرٍ وَشَـرٍّ وَذَا فِي دِيْنِنَـا عَمَـدُ
وَلاَ مُنَافَـاةَ بَـيْنَ الشَّـرْعِ وَالْقَـدَرِ الْـ ** مَحْتُومِ لَكِنْ أُوْلُوا الأَهْوَاءِ قَدْ مَرَدُوا
فَـإِنَّ الإِيمَـانَ بِالأَقْـدَارِ مُـرْتَبِطٌ ** بِالشَّـرْعِ ذَا دُوْنَ هَـذَا لَـيْسَ يَنْعَقِـدُ
إِيـاهُ نَعْبُـدُ إِذْعَانًـا لِشِـرْعَتِهِ ** بِـالنَّهْيِّ مُنْزَجِـرِيْنَ الأَمْـرَ نَعْتَمِـدُ
وَنَسْـتَعِيْنُ عَلـى كُـلِّ الأُمُـوْرِ بِـهِ ** إِذْ كُلُّهَـا قَـدَرٌ مِـنْ عِنْـدِهِ تَـرِدُ
أَحَـاطَ عِلْمًـا بِهَـا رَبِّـي وَقَـدَّرَهَا ** دِقًّا وَجِلًا وَمَنْ يَشْقَى وَمَنْ سَعِدُوا
مِـنْ قَبْـلِ إِيجَادِهَـا حَقًّـا وَسَـطَّرَهَا ** فِي اللَّـوْحِ جَفَّتْ بِهَا الأَقْلاَمُ وَالْمُدَدُ
كَيْفِيّـةٌ وَزَمَـانٌ وَالْمَكَـانُ فَـلاَ ** يَعْدُو امْرُؤٌ مَا قَضَاهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
بِقَـوْلِ كُـنْ مَـا يَشَـا أَمْضَـى بِقُدْرَتِـهِ ** بِـالْخَلْقِ وَالأَمْـرِ ربُّ الْعَـرْشِ مُنْفَـرِدُ
وَقُـدْرَةُ الْعَبْـدِ حَقًّـا مَـعْ مَشِـيْئَتِهِ ** لَكِـنْ لِمَـا شَـاءَ مِنْـهُ اللهُ نَعْتَقِـدُ
إِذْ كَـانَ ذَاتًـا وَفِعْـلًا كُلُّـهُ عَـدَمٌ ** إِلاَّ إِذَا جَـاءَهُ مِـنْ رَبِّـهِ الْمَـدَدُ
مَـنْ يَهْـدِهِ اللهُ فَهُـوَ الْمُهْتَـدِي وَكَـذَا ** مَـنْ شَـاءَ إِضْـلاَلَهُ أَنّـى لَـهُ الرَّشَـدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: الإيمان بالقدر خيره وشره**). يذكر هنا -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى- الكلام على الأصل السادس من أصول الإيمان؛ وهو الإيمان بالقدر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر، من الآية:٤٩]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٣٨]، وقال: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٤٠]، والآيات في هذا المعنى عديدة.

والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان أن نؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ قدر مقادير الخلائق، وكتب كل ما هو كائن، وأحصى جَلَّوَعَلَا كل شيءٍ عددًا، وأحاط بكل شيءٍ علمًا، وأن مشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى نافذة، وقدرته جَلَّوَعَلَا شاملة، وأنه خالق الخلق أجمعين سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ فهذا الإيمان بالقدر، وهو أصل من أصول الإيمان العظيمة، وأساس من أسسه المتينة.

وهُنا يشرح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- شيئًا مما يتعلق بهذا الأصل العظيم، قال: (**كَذَاكَ بَالْقَدَرِ الْمَقْدُوْرِ نُؤْمِنُ ... مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَذَا فِي دِيْنِنَا عَمَدُ**): أي: هذا من أعمدة الدين ومن أصوله، فهو أصل من أصول الدين؛ مثل ما قال ابن أبي داود في [**الحائية**]:

وَبِالقَدَرِ المَقْدُورِ أَيْقِن فَإِنَّـه دعامـةُ ** عَقْــدِ الدِّيــنِ، وَالدِّيــنُ أفيــحُ

فهو عمود من أعمدة الدين، ودعامة من دعائمه، وأصلٌ من أصوله العظام، وكما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه"؛ فبدأ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- بهذا البيت في الإيمان بالقدر، نؤمن بالقدر المقدور من خيرٍ وشر، (**وَذَا**)؛ أي: ذا الإيمان. (**فِي دِيْنِنَا عَمَدُ**)؛ أي: أنه عمود من أعمدة الدين.

قال: (**وَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ ... لَكِنْ أُوْلُوا الأَهْوَاءِ قَدْ مَرَدُوا**): أي: أولوا الأهواء تمردوا على شرع الله، وافتاتوا عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في قدره وإلا ليس هناك منافاةٌ بين الشرع والقدر، ليس هناك منافاة بين أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى شرع الشرائع، وأمر بالتكاليف والأعمال، ونهى عن النواهي مع أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى قدَّر ما هو كائن، ليس هناك منافاة بين الشرع والقدر، ليس هناك تنافي بين كون الله شرع الشرائع، وأمر العباد بالصلاة، بالصيام، بالحج، بالصدقة، نهاهم عن المحرمات، مع أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى قدَّر كل ما هو كائن؛ ليس هناك منافاة بين الشرع -يعني: شرع الله للشرائع، وأمره للعباد بالأوامر ونهيه لهم عن النواهي- وبين أنه قدَّر ما هو كائن؛ فليس هناك منافاة.

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سألوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قالوا: أنعمل في ما قُدِّر وقضي أو في أمر مستأنف؟ قال: «**فيما قُدِّر وقضي**»، قالوا: ففيمَ العمل؟ وفي رواية أخرى: ألا نتكل على القدر؟ قال: «**اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة يسَّره الله لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يسَّره الله لعمل أهل الشقاوة**»، وتلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

لِلْعُسْرَىٰ﴾ [سورة الليل، من الآية:٥-١٠]، وهذا يبين أنه ليس هناك منافاة بين الشرع والقدر، «**أعملوا فكلٌ ميسر لما خُلق له**».

فليس هناك منافاة؛ بل العبد مُطالب بأن يعمل وأن يجتهد، وهو ميسر لما خُلق له، وليس أحدٌ يدري ما الذي قُدِّر له؟! جنة أو نار، نعيمٌ أو عذاب، حسن ختامٍ أو سوء ختام، نسأل الله العافية والسلامة. لا أحد يدري.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:١٠١]؛ لا يدري الإنسان هل هو ممن سبقت له الحسنى؟! هل هو ممن يختم له بالسعادة؟! لا يدري، الأمور بقدر نعم قدرها الله وكتبها، لكن لا يدري الإنسان ماذا قُدر له؛ هذا أمرٌ مُغيَّب.

والمطلوب من العبد أن يجاهد نفسه، ويسأل ربه ويُلح عليه، ويسأله الثبات، ويسأله الهداية، ويسأله التوفيق؛ أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا، يدع الله ويجاهد نفسه بطاعة الله؛ فهذا هو معنى قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أعملوا فكلٌ ميسر لما خُلق له**».

فإذًا كما قال الناظم: (**وَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ الْـمَحْتُومِ** -أي: المكتوب المقدر- **لَكِنْ أُوْلُوا الأَهْوَاءِ قَدْ مَرَدُوا**)؛ أي: مردوا على شرع الله فلم يرضخوا للأوامر، ولم ينتهوا عن النواهي.

وبعضهم يحتج على شركه وعلى باطله وعلى معاصيه بالقدر؛ وهذا كله من التمرد على شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يوضح الناظم يقول: (**فَإِنَّ الإِيمَانَ بِالأَقْدَارِ مُرْتَبِطٌ ... بِالشَّرْعِ ذَا دُوْنَ هَذَا لَيْسَ يَنْعَقِدُ**): فالشرع والقدر بينهما ارتباط؛ الشرع هو ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرعًا وديناً، والقدر هو ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كونًا وقدرًا، فالشرع والقدر بينهما ارتباط، (**فَإِنَّ الإِيمَانَ بِالأَقْدَارِ مُرْتَبِطٌ ... بِالشَّرْعِ ذَا دُوْنَ هَذَا لَيْسَ يَنْعَقِدُ**)؛ والشرع هو الذي أطلعنا على هذه الأصول وعلى هذه الحقائق، وأن الأمور كلها بقضاء الله وقدره، وعرَّفنا بمراتب القدر ومراتب التقدير؛ كل هذه المسائل لم نعلمها إلا من خلال شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال:

إِيـــاهُ نَعْبُـــدُ إِذْعَانًـــا لِشِـــرْعَتِهِ ** بِـالنَّهْيِّ مُنْزَجِـرِيْنَ الأَمْـرَ نَعْتَمِـدُ

وَنَسْـتَعِيْنُ عَلـى كُـلِّ الأُمُـوْرِ بِـهِ ** إِذْ كُلُّهَـا قَـدَرٌ مِـنْ عِنْـدِهِ تَـرِدُ

هذا تأصيل المسألة، وتوضيح عدم التنافي بين الشرع والقدر، وبيان الواجب العملي الذي ينبغي عليه أن يكون المؤمن بالقدر، وبيان الناحية التطبيقية في هذه المسألة؛ وهذا كلام عظيم جدًا، ومستمد من قول النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعملوا فكلٌ ميسر لما خُلق له**»؛ جملتان: «**أعملوا**» أي: صلُّوا، اعبدوا، صوموا، تصَدَّقوا، بروا، أحسنوا.. إلى آخره، وأيضًا «**أعملوا**»؛ يدخل تحتها: تجنبوا الحرام، ابتعدوا عن الآثام..؛ كلها داخلة تحت قوله: «**أعملوا**».

وقوله: «**فكلٌ ميسر لما خلق له**»؛ هذا باب الاستعانة وطلب العون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والتوفيق؛ ولهذا الأصل في هذه المسألة أن تعمل وتستعين، تُجاهد نفسك على العمل، وتطلب العون من الله. لخص هذا المعنى في بيتين.

البيت الأول: يتعلق بقوله: «**أعملوا**»؛ قال: (**إياهُ نَعْبُدُ إِذْعَانًا لِشِرْعَتِهِ ... بِالنَّهْيِّ مُنْزَجِرِيْنَ الأَمْرَ نَعْتَمِدُ**)؛ نعمل هذه طريقتنا، نُجاهد أنفسنا على العمل، على العبادة، على الإذعان، على الخضوع، على الانتهاء عن النواهي، على الامتثال للأوامر والاعتماد لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نُجاهد أنفسنا على ذلك.

البيت الثاني: «**فكلٌ ميسر لما خُلق له**»؛ هذا إذًا يتطلب منا زيادةً على العمل، أن نستعين، نطلب العون من الله كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»، وقال الله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود، من الآية:١٢٣]. (**وَنَسْتَعِيْنُ عَلى كُلِّ الأُمُوْرِ بِهِ ... إِذْ كُلُّهَا قَدَرٌ مِنْ عِنْدِهِ تَرِدُ**): أي: أمور مقدرة مكتوبة، قدرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على العباد.

(**أَحَاطَ عِلْمًا بِهَا رَبِّي وَقَدَّرَهَا ... دِقًّا وَجِلًا وَمَنْ يَشْقَى وَمَنْ سَعِدُوا**): (**أَحَاطَ عِلْمًا**) هذه مرتبة من مراتب الإيمان بالقدر؛ الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحاط علمًا بكل شيء؛ علم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهنا يذكر هذه المرتبة من مراتب القدر وهي علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المحيط الشامل، ولا يؤمن بالقدر من لا يؤمن بعلم الله المحيط الشامل.

(**أَحَاطَ عِلْمًا بِهَا رَبِّي وَقَدَّرَهَا**): أي: قضاها على العباد وقدرها.

(**دِقًّا وَجِلًا**): أي: دقيق الأمور وجليلها، صغيرها وكبيرها، قدَّر كل شيء، والأمر كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كل شيء بقدر حتى وضعك كفك على ذقنك هكذا بقدر"، كل شيء بقدر. وفي الحديث الصحيح في صحيح مسلم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**». كل شيء بقدر.

(**دِقًّا وَجِلًا وَمَنْ يَشْقَى وَمَنْ سَعِدُوا**): أي: أهل الشقاء شقاءهم بقدر، وأهل السعادة سعادتهم بقدر؛ قال الشافعي -رحمة الله عليه-:

مَـا شِـئْتَ كَـانَ وَإِنْ لَـمْ أَشَـأْ ** وَمَـا شِـئْتُ إِنْ لَـمْ تَشَـأْ لَـمْ يَكُـن
خَلَقْتَ العِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ** وَفِي العِلْـمِ يَجْـرِي الفَتَى وَالمُسِـن
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَـذَا خَـذَلْتَ ** وَهَـــذَا أَعَنْـــتَ وَذَا لَـــمْ تُعِـــن
فَمِـنْهُم شَـقِيٌّ وَمِـنْهُم سَـعِيدٌ ** وَمِـــنْهُم قَبِـــيحٌ وَمِـــنْهُم حَسَـــن

كلُ هذا بقدر، كل هذا قدَّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكتبه جَلَّ وَعَلَا على عباده.

(**مِنْ قَبْلِ إِيجَادِهَا حَقًّا وَسَطَّرَهَا**): قدَّرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من قبل إيجادها؛ إن الله كَتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، حتى مجلسنا هذا كُتب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق رب العالمين السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

(**مِنْ قَبْلِ إِيجَادِهَا حَقًّا وَسَطَّرَهَا فِي اللَّوْحِ**): أي: في اللوح المحفوظ. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج، من الآية:٧٠]، وفي الحديث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أول ما خلق الله القلم قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»؛ فهو جَلَّ وَعَلَا سطرها حقًّا في اللوح المحفوظ.

(**جَفَّتْ بِهَا الأَقْلاَمُ وَالْمُدَدُ**): وفي الحديث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ... قال في آخره – جفت الأقلام ورُفعت الصحف**»؛ هذا معنى قوله هنا: (**جَفَّتْ بِهَا الأَقْلاَمُ**)؛ أي: بما هو كائن إلى يوم القيامة.

(**كَيْفِيَّةٌ وَزَمَانٌ وَالْمَكَانُ**): كل هذا جفت به الأقلام. (**كَيْفِيَّةٌ وَزَمَانٌ وَالْمَكَانُ**)؛ يعني: الأمور التي قدرها الله جفت الأقلام بها من حيث كيفيتها، ومن حيث زمانها، ومن حيث مكانها؛ جفت الأقلام بما هو كائن من حيث الكيفية و من حيث الزمان و من حيث المكان، فالشيء الذي قدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكتبه في اللوح المحفوظ يقع في الوقت الذي شاء، وفي الكيفية التي شاء، وفي المكان الذي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شاءه.

(**فَلاَ يَعْدُو امْرُؤٌ مَا قَضَاهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ**): يعني: لا يتجاوز أحدٌ الشيءَ الذي قضاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**بِقَوْلِ كُنْ مَا يَشَا أَمْضَى بِقُدْرَتِهِ ... بِالْخَلْقِ وَالأَمْرِ ربُّ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ**): (**بِقَوْلِ كُنْ مَا يَشَا أَمْضَى بِقُدْرَتِهِ**) أي: كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس، من الآية:٨٢]، فهو جَلَّ وَعَلَا بـ(كن) ما يشاء أمضاه بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذي يشاءه يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: كن؛ فيكون كما شاء.

(بِقَوْلِ كُنْ مَا يَشَا أَمْضَى بِقُدْرَتِهِ ... بِالْخَلْقِ وَالأَمْرِ ربُّ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ): أي: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منفردٌ بالخلق ومنفردٌ بالأمر، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٤]، فهو منفردٌ بالخلق لا شريك له في الخلق، ومنفردٌ بالأمر. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:٢١]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة يوسف، من الآية:٤٠]. فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منفرد بالخلق لا شريك له، ومنفردٌ بالأمر لا شريك له، تفرد بهذا وتفرد بهذا، تفرد بخلق المخلوقات، وهو المتفرد بالأمر يشرع ما يشاء، ويقضي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يريد.

(وَقُدْرَةُ الْعَبْدِ حَقًّا مَعْ مَشِيْئَتِهِ): يعني: العبد له قدرة وله مشيئة، فنحن نؤمن بأن العبد له قدرة وله مشيئة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [سورة التكوير، من الآية:٢٨]، وقال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف، من الآية:٢٩]، العبد له مشيئة؛ ولهذا خُوطب بالأوامر والنواهي؛ لأن من لا مشيئة له لا يُخاطب بالأوامر والنواهي. لا يقال: اعمل لمن لا مشيئة له. فالمخاطبة بالأوامر والنواهي دليل على أن العبد له مشيئة. فالعبد له قدرة وله مشيئة، لكن ماذا؟

يقول: (وَقُدْرَةُ الْعَبْدِ حَقًّا مَعْ مَشِيْئَتِهِ ... لَكِنْ لِمَا شَاءَ مِنْهُ اللهُ نَعْتَقِدُ): هذا أخذه من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير، من الآية:٢٩]، مثل قوله الشافعي قبل قليل:

مَـــا شِـــئْتَ كَـــانَ وَإِنْ لَـــمْ أَشَـــأْ ** وَمَـا شِـئْتُ إِنْ لَـمْ تَشَـأْ لَـمْ يَكُـن

أي: أن العبد له مشيئة لكنها تحت مشيئة الله، هذا معنى قول الناظم: (لَكِنْ لِمَا شَاءَ مِنْهُ اللهُ نَعْتَقِدُ).

(نَعْتَقِدُ): أي: مشيئة العبد لما شاءه الله منه، أما إذا لم يشئه الله منه ما تنعقد، أحد الأعراب قيل له: بما عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم وحَل الهمم.

فالشاهد: أن مشيئة العبد لا تنعقد إلا إذا قدَّر له الله عَزَّوَجَلَّ وشاءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. (لَكِنْ لِمَا شَاءَ مِنْهُ اللهُ نَعْتَقِدُ)؛ أي: نعتقد حصوله، وإذا كان على القراءة، على قراءة التصحيف التي حصلت مني، (لَكِنْ لِمَا شَاءَ مِنْهُ اللهُ نَعْتَقِدُ)؛ يعني: تنعقد المشيئة إذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شاء ذلك.

لكن النظم قال: (لَكِنْ لِمَا شَاءَ مِنْهُ اللهُ نَعْتَقِدُ): أي: نعتقد أن مشيئة العبد تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**إِذْ كَانَ ذَاتًا وَفِعْلًا كُلُّهُ عَدَمٌ**): الإنسان ذاتًا وفعلًا كلُّه عدم؛ قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:١]؛ فالإنسان كله عدم، فلما خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخلق له مشيئة؛ فمشيئته تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يمكن أن يقع منه شيء إلا شيءٌ شاءه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.(**إِذْ كَانَ ذَاتًا وَفِعْلًا**)؛ أي: الإنسان.(**كُلُّهُ عَدَمٌ**).

(**إِلاَّ إِذَا جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ الْمَدَدُ**): إذا جاءه المدد والعون من الله يقع الأمر ويتحقق.

ثم ختم في بيان أن الأمر كله بيد الله؛ قال:

(**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَهْوَ الْمُهْتدي وَكَذَا ... مَنْ شَاءَ إِضْلاَلَهُ أَنّى لَهُ الرَّشَدُ**): فالهداية والضلال بيد الله؛

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٢٢]،

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٨]،

فالهداية بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [سورة الكهف، من الآية:١٧]. (**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَهْوَ الْمُهْتدي وَكَذَا ... مَنْ شَاءَ إِضْلاَلَهُ أَنّى لَهُ الرَّشَدُ**): يعني من شاء وكتب وقدر عليه الضلال. (**أَنّى لَهُ الرَّشَدُ**)؛ من أين السبيل أن تأتيه الهداية أو يأتيه الرشاد.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مُجمل أركان الإسلام:

هَـذَا وَقَـدْ بُنِـيَ الإِسْـلاَمُ فَـادْرِ عَلَـى ** خَمْسٍ دَعَائِمَ فَـاحْفَظْ إِنَّهـا العُمُـدُ
هِـيَ الشَّـهَادَةُ فَـاعْلَمْ وَالصَّـلاَةُ مَـعَ الـزَّ ** كَاةِ وَالصَّـوْمِ ثُـمَّ الحَـجِّ فَاعْتَمِـدُوا
وَذَرْوةُ الـدِّيْنِ أَعْلاَهَـا الْجِهَـادُ حِمَـىً ** لِحَقِّـهِ وَلأَهْـلِ الْكُفْـرِ مُضْـطَهَدُ

الشرح:

ثم ذكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- هنا مُجمل أركان الإسلام، لعلنا نذكر أن الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في بداية المنظومة قال:

وَبَعْدُ ذِي فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ (جَوهَرةٌ ** فَرِيْـدَةٌ) بِسَـنَا التَّوحِيْـدِ تَتَّقِـدُ
بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلةٌ ** وَنَقْضِ كُـلِّ الـذي أَعْـداؤهُ عَقَـدُوا

فهو عازم على أن يشرح كل عُرى الإسلام في هذه المنظومة، ولهذا أتى هنا إلى الكلام على مجمل أركان الإسلام.

قال: (**هَذَا وَقَدْ بُنِيَ الإِسْلاَمُ فَادْرِ عَلَى ... خَمْسٍ دَعَائِمَ فَاحْفَظْ إِنَّها العُمُدُ**): أي: أعمدة الدين، أعمدة الإسلام؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**»، وجاءت أيضًا هذه الخمس في حديث جبريل المشهور، وجاءت في أحاديث أخرى عديدة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. فهي أعمدة للدين.

والـدينُ لاَ يُبْتَنَـى إِلاَّ بأعمـدةٍ ** ولا عمادَ إذا لم تُرسَ أوتـادُ

فهذه أعمدة للدين عليها قيامُه.

قال: (**هِيَ الشَّهَادَةُ**)؛ أي: هذه الأعمدة والدعائم. (**هِيَ الشَّهَادَةُ**)؛ أي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، (**فَاعْلَمْ**)؛ أي: اعلم ذلك. وقد قال الله في القرآن: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد، من الآية:١٩].

(**هِيَ الشَّهَادَةُ فَاعْلَمْ**): وهذا الأمر -اعلم- يؤتى به بين يدي الأمور العظيمة المهمة التي يحتاج لفت انتباه الإنسان لها، واستدعاء الاهتمام بها.

(**وَالصّلاَةُ مَعَ الزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ ثُمَّ الحَجِّ فَاعْتَمِدُوا**): أي: اعتمدوا هذه الخمس أركانًا الإسلام كما جاء ذلك مبينًا في حديث الرسول -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال: (**وَذِرْوَةُ الدِّيْنِ أَعْلاَهَا الْجِهَادُ حِمَىً لِحَقِّهِ وَلأَهْلِ الْكُفْرِ مُضْطَهَدُ**): يشير هنا إلى مكانة الجهاد ومنزلته العلية، وهذا مُستفاد من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومن أحاديث الأربعين للإمام النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-؛ قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «**لقد سألت عن عظيم، ويسير على من يسره الله عليه؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام**»، ذكر هذه المباني الخمس في جواب سؤال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن عمل يدخله الجنة، ويباعده عن النار، فذكر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الخمس.

وبهذا يُعلم أن من ضبط هذه الخمس دخل الجنة؛ ولهذا في حديثٍ لما ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الخمس لأعرابي أمسك بيده قال: والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**دخل الجنة إن صدق**»، وفي

لفظ قال: «**أفلح إن صدق**»؛ فهذه الخمس إذا فعلها الإنسان دخل الجنة وتباعد عن النار، وفي الحديث الآخر قال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، أأدخل الجنة؟ قال: «**نعم**».

فالشاهد: أن هذه الخمس إذا واظب عليها العبد وتجنب المحرمات؛ كان من المقتصدين، والمقتصد يدخل الجنة بدون حسابٍ ولا عذاب.

لكن هناك درجة أعلى من هذا! أعلى من درجة المقتصد؛ ولهذا فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما ذكر لمعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذه الخمس التي يكون بها دخول الجنة والمباعدة من النار أشار إلى أعلى من ذلك، وهو المسابقة والمنافسة في الخيرات ونيل علو الدرجات في الجنة؛ فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟**»؛ يعني: زيادةً على هذه المباني العظيمة التي يحصل بالعناية بها دخول الجنة والنجاة من النار، «**ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، وصلاة الرجل من جوف الليل**»، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة، من الآية:١٦-١٧].

ذكر هنا عندما قال: أبواب الخير، ذكر الصوم، وذكر الصدقة، وذكر الصلاة، أليس كذلك، والصلاة من جوف الليل ؛ هذه الثلاث نوافل ليست فرائض، هذه الثلاث المذكورة هنا نوافل و ليست فرائض، الفرائض ذُكرت قبل -في مباني الإسلام-. لكن التي ذكرت بعد أبواب خير للمنافسة.

فيكون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أجاب معاذ عن سؤاله: دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؛ ذكر له الخمس، ثم نقله إلى منزلة أعلى وأرفع وهي المنافسة في علو الدرجات، زائد على مجرد دخول الجنة والنجاة من النار، المنافسة في علو الدرجات في الجنات.

افتتح ذلك بقوله: «**ألا أدلك على أبواب الخير**»؛ فذكر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصيام -والمراد بالصيام النفل «**الصيام جُنة**» والصدقة التنفل بالصدقات، والصلاة -صلاة الليل وهي نافلة-؛ قال تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٧٩]؛ فيتنفل بهذه النوافل طلبًا لعلو الدرجات ومسابقةً في الخيرات، فيكون بذلك من عباد الله المقربين؛ «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**».

ثم قال له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه**»: أي: أعلاه.

قلت: بلى يا رسول الله! قال: «**رأس الأمر الإسلام**»؛ رأس الأمر التوحيد والإخلاص والإذعان والانقياد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ هذا رأس الأمر الذي عليه يُبنى دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك؛ هذا رأس الأمر، وإذا وُجدت الأعمال بدون الرأس لا قيمة لها، عملٌ بلا توحيد كجسدٍ بلا رأس.

«**وعموده الصلاة**»: وهذا فيه دليل على كفر تارك الصلاة.

«**وذروة سنامه**»؛ -أي: أعلى سنامه- الجهاد في سبيل الله. وهذا قول الناظم هنا: (**وَذَرْوةُ الدِّيْنِ أَعْلاَهَا الْجِهَادُ**)؛ ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه وقال: «**كف عليك هذا**»، قلت: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم** -أو قال: على مناخرهم- **إلا حصائد ألسنتهم**».

قال: (**وَذَرْوةُ الدِّيْنِ أَعْلاَهَا الْجِهَادُ حِمَىً لِحَقِّهِ**): أي: حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده من التوحيد والعبادة والطاعة والامتثال. (**وَلأَهْلِ الْكُفْرِ مُضْطَهَدُ**).

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: جامع وصف الإحسان:

هَـذَا وَالإِحْسَـانُ فِي سِـرٍّ وَفِي عَلَـنٍ ** أَصْلٌ وَمَعْنَاهُ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى يَرِدُ

أَنْ تَعْبُـدَ اللهَ بِاسْتِحْضَـارِ رُؤْيَتِـهِ ** إِيـاكَ ثُـمَّ كَمَـنْ إِيـاهُ قَـدْ شَـهِدُوا

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: (**جامع وصف الإحسان**).

قال: (**هَذَا وَالإِحْسَانُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ ... أَصْلٌ وَمَعْنَاهُ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى يَرِدُ**): أي: قد ورد معنى الإحسان في السر والعلن عن خير الورى؛ حيث قال:

(**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ بِاسْتِحْضَارِ رُؤْيَتِهِ ... إياكَ ثُمَّ كَمَنْ إياهُ قَدْ شَهِدُوا**): هذا هو الإحسان؛ وفي حديث جبريل: «**أخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

(**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ بِاسْتِحْضَارِ رُؤْيَتِهِ إياكَ ثُمَّ كَمَنْ إياهُ قَدْ شَهِدُوا**)، يعني يشير كما ذكر بعض أهل العلم أن الإحسان على درجتين:

- درجة أن تعبد الله مستحضرًا رؤيته -قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»-؛ يعني إن لم تصل إلى هذه الدرجة استحضر أنه يراك ومطلع عليك. استحضر أنه جَلَّ وَعَلَا يراك ومطلع عليك. (**أَنْ تَعْبُدَ**

اللهَ بِاسْتِحْضَارِ رُؤْيَتِهِ إياكَ ثُمَّ كَمَنْ إياهُ قَدْ شَهِدُوا)؛ الأولى: أن تعبد الله باستحضار رؤيته، أن تستحضر رؤية الله لك، وهذا يؤخذ من الحديث في قوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

(ثُمَّ كَمَنْ إياهُ قَدْ شَهِدُوا)؛ هذا يؤخذ من قوله في الحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»؛ فذكر الدرجتين.

مرة ثانية: الحديث قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، أشار إلى هذين المعنيين في الإحسان بقوله: **(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ بِاسْتِحْضَارِ رُؤْيَتِهِ إياكَ)**؛ وهذا مأخوذ من قوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

والثانية: **(ثُمَّ كَمَنْ إياهُ قَدْ شَهِدُوا)**؛ هذا مأخوذ من قوله في الحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه**».

والإحسان أعلى مراتب الدين وأرفع درجاته، وهو الإتقان والإجـادة ـ المحسن هو الذي أتقن وأجاد العمل، وأتى به على أتم صوره وأكمل أحواله، وهذا أعلى ما يكون في الدين.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث جبريل ذكر مراتب الدين الثلاثة -الإسلام والإيمان والإحسان- وذكرها تدرجًا باعتبار ما يكون؛ فأول ما يبدأ الإنسان دخولًا في الدين الإسلام؛ فإذا رسخت قدمه فيه وقوي وتمكن الإيمان في قلبه ارتقى إلى درجة الإيمان، وإذا زاد في الإتقان والإجادة والإحسان في العمل والعبادة والتقرب إلى الله؛ ارتقى إلى درجة الإحسان.

ولهذا قال العلماء: "كلُّ محسنٍ مؤمنٌ مسلمٌ، وكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا، وليس كلُّ مؤمنٍ محسنًا؛ لأن درجة الإحسان أرفع، ثم درجة الإيمان، ثم درجة الإسلام.

وقد وضح هذا بعض السلف بمثال؛ فوضع ثلاث دوائر -دائرة صغرى ثم دائرة أكبر منها محيطة بها ثم دائرة ثالثة محيطة بالدائرتين-، فقال عن الدائرة الصغرى: "هذا الإحسان، ثم تليها الإيمان، ثم تليها الإسلام، فالذي في دائرة الإحسان، هو أيضًا في دائرة الإيمان وفي دائرة الإسلام، فإذا خرج من دائرة الإحسان كان في دائرة ماذا؟ الإيمان، فكان حينئذٍ مؤمنًا مسلمًا؛ لأن الذي في دائرة الإيمان هو أيضًا في دائرة الإسلام الأوسع؛ فإذا خرج من الإيمان -نُفيَ عنه الإيمان، وليس المراد نفي الإيمان أصله، وإنما المراد كماله الواجب ـ يصبح في دائرة ماذا؟ الإسلام، والذي في دائرة الإسلام هو خارج عن دائرة الإيمان ودائرة الإحسان؛ ولهذا قالوا: "كل محسنٍ مؤمنٍ مسلم، وكل مؤمن مسلم، وليس العكس"، ومن خرج من دائرة الإسلام فليس بعد الإسلام إلا الكفر.

والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على عبد الله ورسوله، نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المجلس الخامس

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المتن:

قال المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: بابٌ نواقض الإسلام -أعاذنا الله منها-:

وَلَيْسَ يَخْرج مِنْ الإِسْلاَمِ دَاخِلُهُ ** إلاَّ بِإِنْكَارِ مَا فيْهِ بِهِ يَرِدُ
أَمَّا الْمَعَاصِي الَّتي مِنْ دُوْنِ ذَاكَ فَلاَ ** تَكْفِيْرَ إلاَّ لِمَنْ لِلْحِلِّ يَعْتَقِدُ
وَالْكُفْرُ إِنْ كَانَ عَنْ جَهْلِ الْكفُوْرِ فَتَكْ ** ذِيْبٌ كَكُفْرِ قُرَيْشٍ حِيْنَمَا مَرَدُوا
أَوْ كَانَ عَنْ عِلْمِهِ فَهْوَ الْجُحُوْدُ كَكُفَّ ** ارِ الْيهودِ الأُلَى بِالْمُصْطَفَى جَحَدُوا
أَوْ بِالإِبَاءِ مَعَ الإِقْرَارِ فَهْوَ عِنَا ** دٌ كَالرَّجِيْمِ إِذِ الأَمْلاكُ قَدْ سَجَدُوا
أَوْ أَبْطَنَ الْكُفْرَ بِالإِسْلاَمِ مُسْتَتِرًا ** فَهْوَ النِّفَاقُ فَهَذي أَرْبَعٌ تَرِدُ
مُقَابِلاَتٌ لِقَوْلِ الْقَلْبِ مَعْ عَمَلٍ ** مِنْهُ وَقَوْلِ لِسَانٍ مَعْهُ يَنْعَقِدُ
كَذَا لِسَائِرِ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ فَاعْـ ** لَمْ أَرْبَعٌ قَابَلَتْهَا فَاسْتَوَى الْعَدَدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**باب نواقض الإسلام -أعاذنا الله منها-**)؛ الإسلام له نواقض وله نواقص.

والنواقض: هي التي تهدمه من أساسه، وتبطله من أصله.

والنواقص: هي التي تضعفه دون أن تأتي على أساسه بالإبطال؛ فيبقى الإنسان على أصل الإيمان مع ضعف دينه ونقص إيمانه.

ونواقض الدين: أي: مبطلاته، مبطلات الدين، ومبطلات الإيمان، وهي كثيرة جدًا، نواقض الدين كثيرةٌ جدًا، والمكفرات.

لكن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ اجتهد أن يجمع خلاصةً في هذا الباب في ضوء تعريف السلف للإيمان، حيث عرف السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ الإيمان بأنه قولٌ وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيُبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ نواقض الإيمان في ضوء تعريف الإيمان، يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ نواقض الإيمان في ضوء تعريف السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ للإيمان.

وبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامه على نواقض الإسلام بقوله: (**وَلَيْسَ يَخْرج مِنْ الإِسْلاَمِ دَاخِلُهُ إِلاَّ بِإِنْكَارِ مَا فِيْهِ بِهِ يَرِدُ**)؛ أي: أن الدين دين الإسلام ينتقض بإنكار ما به الدين يرد، أي: إنكار ما ورد في الدين من أوامر ونواهي وجحد ذلك، وهذا يُسمى تكذيبًا، ويُسمى استكبارًا وعنادًا بحسب حال من رد ذلك، وقد يكون كفرُ الشخص بتوليه وإعراضه، وهو كفر التولي والإعراض، يُعرض عن دين الله، وعن الخضوع لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المعاصي؛ أي: الذنوب التي دون الكفر والشرك بالله لا يُكفَّر فاعلها ولا يكفر بها.

قال: (**أَمَّا الْمَعَاصِي الَّتِي مِنْ دُوْنِ ذَاكَ، فَلاَ تَكْفِيْرَ**)؛ يعني: لا يُكفَّر من وقع في المعاصي؛ كالسرقة، أو الزنى، أو القتل، أو غير ذلك من المعاصي التي هي دون الكفر بالله لا يُكفَّر، إلا في حالةٍ واحدة وهي أن يستحل ذلك، أي: أن يعتقد حِل هذه المحرمات، فهذا يكفر ولو لم يباشرها، لو لم يفعلها يكون كافرًا، من قال: الزنى حلال كافر وإن لم يزني، ومن قال: السرقة حلال كافر وإن لم يسرق؛ ولهذا قال: (**إِلاَّ لِمَنْ لِلْحِلِّ يَعْتَقِدُ**)؛ أي: من يستحل هذه المحرمات، يعتقد حِلها، فهذا يكفر بالاستحلال، أما مجرد الوقوع في المعصية فهذا ذنب من الذنوب لا يُكفَّر به فاعله.

ثم شرع في بيان أنواع الكفر في ضوء تعريف الإيمان:

فذكر النوع الأول: قال: (**وَالْكُفْرُ إِنْ كَانَ عَنْ جَهْلِ الْكُفُوْرِ**)؛ يعني: عن جهل الكافر، (**فَتَكْذِيْبٌ**)؛ (**إِنْ كَانَ عَنْ جَهْلِ الْكُفُوْرِ فَتَكْذِيْبٌ**)؛ يعني: إن كان الباعث عليه جهل الكفور، فمضى على جهله وجاهليته؛ فلم يقبل الدين ولم يُقبل عليه، يكون كفرُه كفرَ تكذيب.

مثال ذلك: قال: (**كَكُفْرِ قُرَيْشٍ حِيْنَمَا مَرَدُوا**)؛ أي: حين تمردوا على دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلم يقبلوه؛ فكفرهم كفرُ تكذيب، قال: (**وَالْكُفْرُ إِنْ كَانَ عَنْ جَهْلِ الْكُفُوْرِ فَتَكْذِيْبٌ**).

النوع الثاني: قال: (**أَوْ كَانَ عَنْ عِلْمِهِ فَهْوَ الْجُحُوْدُ**)؛ يعني: عنده علم بصدق هذا الدين، وصدق ما جاءت به المرسلين لكنه لا يقبل؛ فيكون جاحدًا، يُسمى: كفر الجحود، ليس ناشئًا عن جهل بل هو عن علم، فلديه علمٌ لكنه يجحد، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[سورة الأنعام، من الآية:٣٣].

قال: (**أَوْ كَانَ عَنْ عِلْمِهِ فَهْوَ الْجُحُوْدُ كَكُفَّارِ الْيهودِ الأُلَى بِالْمُصْطَفَى جَحَدُوا**)؛ فهم عندهم علم بصدقه وأنه رسول رب العالمين، وعندهم من الشواهد والدلائل بما يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة، ولكنهم مع ذلك لم يقبلوا الدين الذي جاء به؛ فكان بذلك كفرهم كفرَ جحود.

والنوع الثالث: الإباء، كفر الإباء، وهذا يكون مع الإقرار، يعني: يُقر في قرارة نفسه بأن ما جاء به الرسول حق، ولكنه يأبى ويعاند في الرضوخ والامتثال لما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(أَوْ بِالإِبَاءِ مَعَ الإِقْرَارِ فَهْوَ عِنَادٌ كَالرَّجِيْمِ)؛ أي: كإبليس فإن كفره كفرَ عنادٍ واستكبار.

(إِذِ الأَمْلاكُ قَدْ سَجَدُوا)؛ إذ قد سجد الأملاك لما أمرهم الله بالسجود، وأبى هو استكبارًا، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[سورة البقرة، من الآية:٣٤].

النوع الرابع: **(أَوْ أَبْطَنَ الْكُفْرَ بِالإِسْلاَمِ مُسْتَتِرًا)**؛ أو أبطن الكفر وهو مستترٌ بالإسلام، وأبطن الكفر بالإسلام مستترًا، أبطن الكفر والحال أنه مستتر، وحاله أنه مستتر بالإسلام، يعني يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر؛ فهذا يُسمى: كفر نفاق.

(فَهْوَ النِّفَاقُ فَهَذِي أَرْبَعٌ تَرِدُ مُقَابِلاَتٌ)؛ فهذه الأنواع الأربعة للكفر ترد، أي: جاءت أو تجيء مقابلاتٍ، **(تَرِدُ مُقَابِلاَتٌ لِقَوْلِ الْقَلْبِ مَعْ عَمَلٍ مِنْهُ وَقَوْلِ لِسَانٍ مَعْهُ يَنْعَقِدُ)**.

(كَذَا لِسَائِرِ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ فَاعْلَمْ أَرْبَعٌ قَابَلَتْهَا فَاسْتَوَى الْعَدَدُ)؛ أي: أن هذه الأربع الأنواع للكفر جاءت مقابلات لقول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح؛ فهذه جاءت مقابلاتٍ لها.

ولم يذكر رَحِمَهُ اللَّهُ كفر الشك أو كفر الظن، وقد جاء في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾[سورة الكهف، من الآية:٣٤-٣٧].

وكفر الظن -ويقال له كفر الشك -: أي أن يقع في قلب الإنسان شك في الله، أو في رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو في شرعه وتشريعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو في أصول الإيمان، الإيمان باليوم الآخر، أو الإيمان بالملائكة، أشك يقول في وجودهم أو أشك في البعث، فهذا كفرٌ، وهو من أخطر ما يكون على الناس خاصةً عندما تُثار الشبهات، أو يُبتلى الناس بمن يثير عندهم الشبهات، فيقع في قلوب كثيرٍ منهم كفر الشك.

وفي هذا الزمان بُلِيَ الناس بلاءً عظيماً بترويج الشبهات، شبهات أهل الباطل، وشبهات أهل الضلال، وأصبحت الشبهات تدخل على الناس في بيوتهم، وفي حجرهم، شبه اليهود، وشبه النصارى، وشبه أصحاب

المقالات الكفرية الباطلة، مما يجعل بعض الناس يقع في كفر الشك، لا يتحقق فيه انتفاء الريب، الذي لا يكون الإيمان إلا به، ولا يصح الإيمان إلا به، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[سورة الحجرات، من الآية:١٥]، أي: أيقنوا ولم يشكوا.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ: شركٌ دون شرك، وكفرٌ دون كفرٌ، وظلمٌ دون ظلم، وفسوقٌ دون فسوق، ونفاقٌ دون نفاق:

قال:

وَالشِّرْكُ قَدْ جَاءَ مِنْهُ أَصْغَرٌ وَهُوَ الرِّ ** يَاءُ مِمَّنْ سِوَى الرَّحْمنِ مَا عَبَدُوا
كَمَنْ يُصَلِّى لِرَبِّي ثَمَّ زِيَّنَها ** لِمَا يَرَى أَنْ إِلَيْهِ نَاظِرٌ أَحَدُ
كَذَلِكَ الْحَلْفُ بِالْمَخْلُوْقِ مِنْ وَثَنٍ ** كَذَا الأَمَانَةُ وَالآبَاءُ وَالْوَلَدُ
وَبِالشَّهَادَةِ فَالسَّاهِي يكفّرُ كَي ** يُقِرَّ فِي الْقَلْبِ مَعْنَاهَا وَيَرْتَصِدُ
وَنَحْوَ لَوْلاَ فُلاَنٌ كَانَ كَيْتَ وَمَا ** شَاءَ الإِلهُ وَشِئْتَ الْكُلُّ مُنْتَقَدُ
وَهَكَذَا كُلُّ لَفْظٍ فِيْهِ تَسْوِيَةٌ ** بِاللهِ جَلَّ وَلَكِنْ لَيْسَ يَعْتَقِدُ
وَلاِنْتِفَاءِ التَّسَاوِي جَازَ ثُمَّ مَكَا ** نَ الواوِ نَصًّا وَأَهْلُ الْعِلْمِ مَا انْتَقَدُوا

الشرح:

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ: شركٌ دون شرك، وكفرٌ دون كفرٌ، وظلمٌ دون ظلم، وفسوقٌ دون فسوق، ونفاقٌ دون نفاق**)؛ أي: أن هذه المذكورات: الشرك، والكفر، والظلم، والفسوق، والنفاق كلها منقسمة إلى قسمين:

الأول: أكبر، ناقل من الملة.

والقسم الآخر: دون ذلك، لا ينقل من الملة.

وهو ما عبر عنه بقوله: (**كفرٌ دون كفر، وفسوقٌ دون فسوق، ونفاقٌ دون نفاق**)؛ ومعنى: دون نفاق، ودون كفر، ودون شرك؛ معنى ذلك أي: دون الأكبر، دون الشرك الأكبر، ودون النفاق الأكبر، ودون الظلم الأكبر، فالشرك والكفر، والظلم، والفسوق، والنفاق، كل هذه منها أكبر؛ أي: ناقل من الملة، ومخرج من حظيرة

الدين، ومنه ما هو دون ذلك؛ يعني: يُطلق عليه ظلم، ويُطلق عليه شرك، ويُطلق عليه فسوق، ويُطلق عليه نفاق، ويُطلق عليه كفر، ولكنه ليس بناقلٍ من الملة؛ لأنه دون الأكبر.

وهنا يُبيِّن -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- ذلك، قال: (**وَالشِّرْكُ قَدْ جَاءَ مِنْهُ أَصْغَرٌ**)؛ أي: جاء في النصوص إطلاق الشرك، إطلاق وصف الشرك على بعض الأعمال، ولا يُراد بذلك الأكبر الناقل من الملة، وإنما يُراد شركٌ دون شرك، أي: يُراد الشرك الأصغر، يُراد بذلك الشرك الأصغر وهو يختلف عن الشرك الأكبر في الحد والحكم؛ لأن الشرك الأكبر حدُّه تسوية غير الله بالله في شيءٍ من خصائص الله وحقوقه، وحكم صاحبه إن مات عليه الخلود في النار أبد الآباد.

والشرك الأصغر: هو كل عملٍ أُطلق عليه في النصوص بأنه شرك ولم يبلغ حد الأكبر، فكل ما أطلق عليه بأنه شركٌ ولم يبلغ حد الأكبر فهو شركٌ أصغر، ويختلف في الحكم؛ لأن صاحبه إن عُذِّب في النار فإن صاحبه لا يُخلد فيها؛ لأنه لا يُخلد في النار إلا المشرك الشرك الناقل من الملة.

قال: (**وَهُوَ الرِّيَاءُ**)؛ وهذا على سبيل التمثيل، (**وَالشِّرْكُ قَدْ جَاءَ مِنْهُ أَصْغَرٌ وَهُوَ الرِّيَاءُ**)؛ والمراد بالرياء؛ أي: المراءاة بالعمل، أي يعمل العمل ليُريه الناس، ويريد به رؤية الناس له.

والرياء نفسه الذي ضربه الناظم مثالًا منه أكبر ناقل من الملة، وهو رياء المنافقين، قال الله سبحانه: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [سورة النساء، من الآية:١٤٢]، فهذا رياءٌ أكبر ناقل من الملة، وهو رياء المنافقين، الذين لم يقم في قلبهم توحيدٌ ولا إخلاص أصلًا؛ وإنما يُظهرون الأعمال مراءاة، يُظهرون أعمال الدين مراءاةٍ للناس، وليس في قلبهم إخلاصٌ ولا توحيد، فهذه المراءاة رياءٌ أكبر ناقل من الملة.

وهناك رياء دون ذلك وهو يسير الرياء، ليس خالص الرياء وإنما يسيره، وهو الذي يريده الناظم هنا، بقوله: (**وَهُوَ الرِّيَاءُ**)؛ أي: يسير الرياء، ليس المراد الرياء الخالص، رياء المنافقين؛ فإنه رياءٌ أكبر، أو رياءٌ خالص ناقل من الملة.

(**وَهُوَ الرِّيَاءُ مِمَّنْ سِوَى الرَّحْمنِ مَا عَبَدُوا**)؛ وهذا يوضح أنه ليس المراد الرياء الخالص، رياء المنافقين، وإنما المراد بالرياء هنا رياء أهل التوحيد، ويُبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك بقوله: (**مِمَّنْ سِوَى الرَّحْمنِ مَا عَبَدُوا**)؛ من هم الذين سوى الرحمن ما عبدوا؟ أهل التوحيد، أهل التوحيد هم الذين سوى الرحمن ما عبدوا؛ أي: لم يعبدوا إلا الله، أهل إخلاص، أهل توحيد، لكن يقع في قلوبهم شيء من يسير الرياء بسبب مواقف معينة، أو أمور معينة، أو عوارض معينة، فهذا شركٌ دون شرك؛ أي: شركٌ دون الشرك الأكبر الناقل من الملة.

مثال على ذلك قال: (**كَمَنْ يُصَلِّي لِرَبِّي**)؛ (**سِوَى الرَّحْمنِ مَا عَبَدُوا كَمَنْ يُصَلِّي لِرَبِّي ثَمَّ زِيَّنَها لِمَا يَرَى أَنْ إِلَيْهِ نَاظِرٌ أَحَدُ**)؛ المثال: كالذي يخرج للصلاة متقربًا بها إلى الله، تطهر في بيته وخرج يريد ثواب الله وأجره، ولما قام يصلي، مر به رجل له شأن عنده وله مكانة؛ فزيَّن من صلاته للنظر إليه، نظرًا إليه، والتفاتًا إليه، زيَّن صلاته التفاتًا إلى ذلك الرجل.

وقد خرج النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الصحابة، -وانتبه لكلمة الصحابة- وهم يتذاكرون فتنة المسيح الدجال، فقال: «**ألا أخبرُكُم بما هوَ أخوفُ علَيكم عندي منَ فتنة المسيحِ الدَّجَّالِ؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشِّركُ الخفيُّ يقومَ الرَّجلُ فيصلِّي فيُزيِّن صلاته لما يرَى من نظرِ الرجل**»؛ فهذا التحسين والتزيين للصلاة لم يُقصد به التقرب إلى الله، وإنما كان سببه والباعث إليه عندهم رؤية رجلٍ ونظره إليه .

فهذا يُسمى شرك أصغرَ وليس ناقل من الملة، وفي تأثيره على العمل إن كان أتى على العمل من بدايته أبطله، أبطل العمل نفسه لا أنه أبطل الدين كله، وإنما أبطل العمل الذي شابه وخالطه الرياء؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غني لا يقبل إلا الخالص الصافي، النقي الذي لم يرد به إلا وجهه، كما في الحديث القدسي: «**أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، فهو لا يقبل إلا العمل الخالص؛ أي: الصافي النقي الذي لم يُرد به إلا وجهه سبحانه، فإذا خالط العمل الرياء فإنه يُبطل العمل الذي خالطه.

قال مثال آخر للشرك الأصغر: (**كَذَلِكَ الْحَلْفُ بِالْمَخْلُوْقِ مِنْ وَثَنٍ كَذَا الأَمَانَةُ وَالآبَاءُ وَالْوَلَدُ**)؛ يعني كذاك الحلف بالأمانة، والحلف بالآباء، والحلف بالولد، كأن يقول القائل: والأمانة، وأمانتي مقسمًا بالأمانة، في الحديث: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»، أو بالآباء: «**لا تحلِفوا بآبائِكم، ولا أمَّهاتِكم، من كان حالفًا فليحلف بالله**»، فالحلف بالأمانة أو بالولد، أو بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو بالكعبة كأن يقول: وبيت الله، أو نحو ذلك من مخلوقات الله جَلَّ وَعَلَا كل ذلكم من الشرك، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَن حَلِف بغير الله فقد كَفَر أو أَشْرَك**».

فالحلف بغير الله شرك أيًا كان المحلوف به؛ سواءً كان المحلوف به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو أحد الصالحين، أو الأمانة، أو الولد، أو الوالد، أو الوالدة، أو الكعبة، "وكعبة الله"؛ كأن يقول: "وكعبة الله"، أو نحو ذلك، كل ذلكم من الشرك، وهو من الشرك الأصغر.

لكن إذا كان عن تعظيم للمخلوق؛ كتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وربما في بعضهم يكون أشد من تعظيم الله؛ ولهذا بعض هؤلاء إذا حُلِّف بالله وهو كاذب يحلف ولا يبالي، وإذا حُلِّف بالمخلوق المعظَّم عنده وهو كاذب يمتنع، وإذا حُلِّف بالمخلوق المعظَّم عنده يمتنع لا يحلف، فإذا كان بهذا الحد من تعظيمٍ للمخلوق مثل تعظيم الله، أو أشد من تعظيم الله؛ فهذا كفرٌ أكبر وشركٌ أكبر ناقل من الملة.

قال: (**كَذَلِكَ الْحَلْفُ بِالْمَخْلُوْقِ مِنْ وَثَنٍ كَذَا الأَمَانَةُ وَالآبَاءُ وَالْوَلَدُ**)؛ قوله: (**مِنْ وَثَنٍ**)؛ يعني يقع مثل هذا كشرك أصغر في مثل من كان حديث الإسلام، وتعود لسانه في جاهليته وشركه على الحلف بالأوثان تعظيماً لها، ثم بعد إسلامه تجري على لسانه بحكم العادة التي كان عليها، ليس مبنياً على التعظيم للأوثان هو كَفَر بها، هو كفر بالأوثان، وأخلص التوحيد لله، لكن بقيت على لسانه، فتأتي على لسانه سهوًا، وورودًا غير مقصودٍ، فهذا شرك أصغر ليس شركًا أكبر ناقل من الملة.

وهذا يحصل كثيرًا من من اعتاد لسانه على شيء، مثل ما يذكرون أن شخصاً سمع آخر يحلف بالنبي؛ فناصحه وبيَّن له الأدلة، ووضح له الأحكام، وذكر له الأحاديث، ولما اقتنع تماماً من شدة تأكيده على الأمر والتزامه به، قال: "والنبي لن أحلف بالنبي مرة ثانية!"، هذا بسبب الإلف والعادة التي تعودها لسانه، عندما يريد أن يثبت الأمر لا يجري على لسانه إلا هذا الحلف الباطل.

قال: (**وَبِالشَّهَادَةِ فَالسَّاهِي يكفّرُ كَي يُقِرَّ فِي الْقَلْبِ مَعْنَاهَا وَيَرْتَصِدُ**)؛ هذا كلام عظيم، قال: (**وَبِالشَّهَادَةِ فَالسَّاهِي يكفّرُ كَي يُقِرَّ فِي الْقَلْبِ مَعْنَاهَا**)؛ أي: الذي يأتي الحلف بالأوثان؛ باللات، العزى، أو يأتي الحلف بغير الله سهوًا على لسانه؛ يُكفِّر بالشهادة، أن يُكفِّر عن هذا الذي جاء عن لسانه سهوًا بالشهادة، أي بأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أو يقول: لا إله إلا الله، وهذا أخذه المصنف من حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَن حلفَ باللاَّتِ أو العزَّى، فليقُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ**»، لماذا يقول: لا إله إلا الله؟ لتُكفِّر هذا الحلف الذي حصل منه.

إذًا الساهي الذي يقع منه الحلف بغير الله كاللات والعزى ونحو ذلك عليه أن ينطق بكلمة الشهادة، أن يقول: لا إله إلا الله، يُكفِّر هذا الذي وقع منه سهوًا، ما الحكمة من ذلك؟

قال: (**كَي يُقِرَّ فِي الْقَلْبِ مَعْنَاهَا**)؛ لـمَّا يأتي بها كفارةً لحلفه "لا إله إلا الله"، أي: كي يُقر في القلب معناها؛ لأنها كلمةُ إخلاص وتوحيد، فتدعوا العبد إلى أن يخلص عمله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن ذلك أن لا يحلف بغيره؛ فيكون ذكرُ الشهادة هنا كفَّارةً وتُفيد فائدةً عظيمة؛ ألا وهي أنها تُقر في القلب وتثبت في القلب معنى لا إله إلا الله.

وهذا فيه تنبيه من المصنف أن الأذكار الشرعية عندما يأتي بها المسلم لا يأتي بها ألفاظًا جوفاء مجردةً عن معانيها؛ بل يقولها مع الاستحضار للمعنى، والفهم للدلالة حتى يكون لها الأثر؛ وإلا فإنها تكون عديمة أو ضعيفة الأثر.

قال: (**كَي يُقِرَّ فِي الْقَلْبِ مَعْنَاهَا وَيَرْتَصِدُ**)؛ أي: يُصبح هذا الأمر ثابتًا في قلبه مستقرًا، ويكون على هيئة حسنة من التوحيد، بحيث يسلم فيما بعد من الوقوع في مثل هذا الحلف أو نحوه من الشركيات.

مثال آخر للشرك الأصغر قال: (**وَنَحْوَ لَوْلاَ فُلاَنٌ كَانَ كَيْتَ**)؛ يعني: لولا قائد السيارة ومهارته لمتنا جميعًا، أو يقول: لولا مهارة قائد الطائرة لهلك كل من على الطائرة، ولولا قبطان السفينة لغرقنا، أو كقول الآخر: لولا كلبية الدار لسُرقنا، أو لولا البط لسُرقنا، أو يقول: لولا جهاز الإنذار كان متنا كلنا حريقًا اليوم، لكن جهاز الإنذار به تخلصنا منه، ونحو هذه الألفاظ وهي كثيرة على ألسنة الناس.

وغالبًا تأتي هذه الكلمات عند المواقف التي يكون فيها سلامة الإنسان من حادث أو مصاب، فيذهب ذهنه إلى ذكر من جعله الله سببًا، فيضيف النعمة إليه، وهذا هو معنى قول الله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[سورة النحل، من الآية:٨٣]، فيضيف النعمة إليه، ما يقول: لولا فضل الله، لولا رحمة الله، لولا لطف الله بنا، لولا أن الله لطف بنا لهلكنا، وإلا ماذا يُغني قائدٌ ماهر، أو قبطانٌ حاذق، أو جرس إنذار أو كلبٌ أو غير ذلك، ماذا يُغني هؤلاء من قضاء الله وقدره؟ ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾[سورة الزمر، من الآية:٣٨]، فسلامة الإنسان ونجاته هذا مَنَّ الله عليه وفضله، ولهذا الذي يجب على الإنسان أن يذكر فضل الله عليه، يقول: لولا نعمة الله علينا، لولا فضل الله علينا، لولا رحمة الله بنا، لولا لطف الله، أو يقول: الحمد لله على لطفه، هذا فضل الله، أو نحو ذلك من العبارات.

قال: (**وَنَحْوَ لَوْلاَ فُلاَنٌ كَانَ كَيْتَ**)؛ كان كيت؛ أي: كان هلكنا، لمتنا، لغرقنا، لاحترقنا، إلى آخره.

(**وَنَحْوَ لَوْلاَ فُلاَنٌ كَانَ كَيْتَ وَمَا شَاءَ الإِلهُ وَشِئْتَ**)؛ هذا مثال ثاني على الشرك الأصغر، وما شاء الله وشئت؛ أي: أن يقول القائل: ما شاء الله وشئت، وقد سمع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قائلاً يقول: "ما شاء الله وشئت"، فغضب وقال: «**أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده**»، والواو تفيد مطلق التسوية، فالذي يقول: "ما شاء الله وشئت" سوَّى غير الله بالله في المشيئة، فإذا كان هذا مجرد لفظ جاء على لسانه فهو من شرك الألفاظ، مثل: لولا فلان، هو لا يعتقد أن خلاصه بتدبير فلان وتسخيره، وإنما لفظة جرت على لسانه، وكذلك قول: ما شاء

الله وشئت ونحو ذلك، ولهذا يسمى شرك الألفاظ، أما إن كان عن اعتقاد حتى بدون أن يقول هذه الكلمة يكون مشركًا الشرك الأكبر.

قال: (**الْكُلُّ مُنْتَقَدٌ**)؛ يعني هذه الألفاظ كلها منتقدة، الحلف بغير الله، ولولا فلان لكذا، وما شاء الله وشئت، ونحو هذه من الألفاظ، كل هذه منتقدة لما فيها من الشرك.

(**وَهَكَذَا كُلُّ لَفْظٍ فِيْهِ تَسْوِيَةٌ بِاللهِ**)؛ يعني: ليس فقط ما شاء الله وشئت؛ بل كل لفظٍ فيه تسويةٌ بالله؛ مثل: أنا بالله وبك، أو نحو ذلك من الألفاظ فهذا يأخذ الحكم نفسه.

(**وَهَكَذَا كُلُّ لَفْظٍ فِيْهِ تَسْوِيَةٌ بِاللهِ جَلَّ وَلَكِنْ لَيْسَ يَعْتَقِدُ**)؛ ما معنى ولكن ليس يعتقد؟ أي أن هذه الألفاظ فقط تجري على لسانه دون عقيدة، يعني دون اعتقاد تسوية غير الله بالله، ودون اعتقاد أن هذه هي التي نجته بتسخيرها وتدبيرها، دون اعتقاد، بل مجرد ألفاظ تجري على اللسان في المواقف المعينة والأحوال المعينة، فهذا ضابط في المسألة (**وَلَكِنْ لَيْسَ يَعْتَقِدُ**)؛ أي: دون عقيدة، أما إذا كان عن عقيدة فهذا يكون شركًا أكبر ناقل من الملة.

قال: (**وَلاَنْتِفَاءِ التَّسَاوِي جَازَ ثُمَّ مَكَانَ الواوِ نَصًّا وَأَهْلُ الْعِلْمِ مَا انْتَقَدُوا**)؛ يعني: إذا جاء اللفظ بما يُشعر عدم التساوي..، إذا جاء اللفظ بعبارةٍ تشعر عدم التساوي؛ فهذا جائز، وذلك بأن يقول القائل: ما شاء الله ثم شئت؛ فهذا جائز، وإن كان الأولى أن يقول: ما شاء الله وحده، في الحديث قال: «**قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، لكن يجوز كما قال المؤلف: (**نَصًّا**)؛ لأنه ورد في ذلك الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهل العلم ما انتقدوا ذلك؛ لأن ثم تفيد التراخي، فإذا قال القائل: "ما شاء الله ثم شئت"؛ أفادت "ثم" أن هذه المشيئة التي ذُكرت بعد مشيئة الله هي مشيئةٌ متراخية وتأتي بعد ذلك تبعًا.

(**وَلاَنْتِفَاءِ التَّسَاوِي جَازَ ثُمَّ مَكَانَ الواوِ نَصًّا وَأَهْلُ الْعِلْمِ مَا انْتَقَدُوا**)؛ يعني: لا ينتقدون مثل ذلك، مثل أن يقول: "ما شاء الله ثم شئت".

هل يجوز أن يقول القائل: توكلت على الله ثم عليك؟ لأن بعض الناس عندما يُذكر له لفظة "ثم" يأتي بها أحيانًا في استعمال غير صحيح، فيأتي بها في الأمر الذي هو حقٌّ لله خالص، حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خالص ومن العبودية، فيستعمل "ثم" فلا تفيد؛ لأن التوكل عبادة، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾[سورة المائدة، من الآية:٢٣]، أي: وحده، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[سورة المائدة، من الآية:٢٣]، جعل توكلهم عليه شرط الإيمان؛ فالتوكل عبادة، ولهذا لا يتوكل على الله، ولا يصح أن يُقال.. لا يتوكل إلا على الله، ولا يصح أن يُقال: "أنا متوكل على الله ثم

عليك"؛ لأن التوكل عبادة لا يجوز أن تكون إلا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلا يتوكل إلا على الله، ولهذا فلا يصح أن يقول القائل: "أنا متوكل على الله ثم عليك"؛ لأن التوكل عبادة لا يجوز أن تكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبعض الناس أيضًا عندما وجد بفضل الله الدعوة إلى تصحيح الألفاظ ومراعاتها، أن بعض الناس يعني في قضية الألفاظ، يقول: أنا ما قصدي، لو كان قصد ذلك انتقلت المسألة من الشرك الأصغر، وهو قول الناظم قبل قليل: (**لَيْسَ يَعْتَقِدُ**)؛ فبعض الناس عندما يُخطأ يقول: "أنا ما قصدي"، "أنا قصدي طيب"؛ يقول.

هذا الذي لم يقصده هو الذي يسميه العلماء شرك الألفاظ، الشرك الأصغر، أما إذا وُجد القصد يتغير الأمر، يتغير الحكم، فلما وجدت الدعوة، ومراعاة الألفاظ، والبعد عن الألفاظ الشركية؛ صار بعض الناس يأتي ويريد أن يراعي الألفاظ ويستعمل الأشياء في غير مكانها، مثل شخص يذكرون أنه جاء لمنطقة فيها قوة في الدعوة إلى التوحيد ومراعاة الألفاظ، فقالوا له: انتبه! إذا وصلت إلى المكان الفُلاني دائمًا تقول: "ثم"؛ إذا ما تقول "ثم" رأسًا يقولون لك: شرك، دائمًا خلي على لسانك "ثم"، فأول ما وصل قالوا له: ما شاء الله كيف وصلت؟ قال: أنا جئت على الله ثم على الطيارة.

فالشاهد: أن هذه الدعوة دعوة مباركة حتى تكون ألفاظ الناس نظيفة ونقية وصافية ولا يكون فيها الشوائب، وهي دعوة مستمدة من أحاديث الرسول -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْكُفْرُ والْظُّلْمُ فَاعْلَمْ وَالْفُسُوْقُ كَذَا الـ ** ـنِّفَاقُ كُلٌّ عَلَى نَوْعَيْنِ قَدْ يَرِدُ
فَالْكُفْرُ بِاللهِ مَعْلُوْمٌ وَسُمِّيَ بِالْـ ** كُفْرِ الْقِتَالُ لِذِي الإِسْلاَمِ يَعْتَمِدُ
وَالْظُّلْمُ لِلشِّرْكِ وَصْفٌ ثُمَّ أُطْلِقَ فِي ** تَظَالُمِ الْخَلْقِ مِنْهُ الْغِشُّ وَالْحَسَدُ
وَالْفِسْقُ فِي وَصْفِ إِبْلِيْسَ اللَّعِيْنِ أَتَى ** وَقَاذِفٍ مَا عَنِ الإِسْلاَمِ يَبْتَعِدُ
كَذَا النِّفَاقُ أَتَى فِي الْكُفْرِ أَقْبَحُهُ ** وَجَاءَ فِي وَصْفِ ذي خُلْفٍ لِمَا يَعِدُ
أَوْ خَاصَمُوْا فُجَرُوا أَوْ عَاهَدُوا غَدَرُوا ** وَالْخَائِنِيْنَ وَمَنْ إِنْ حَدَّثُوا فَنَدُوا

الشرح:

رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام مطوع له، قال: (**وَالْكُفْرُ والْظُّلْمُ فَاعْلَمْ وَالْفُسُوْقُ كَذَا الـنِّفَاقُ كُلٌّ عَلَى نَوْعَيْنِ قَدْ يَرِدُ**)؛ الجملة واضحة؛ يعني: الكفر، والظلم، والفسوق، والنفاق، وأيضًا سبق الشرك (**كُلٌّ عَلَى نَوْعَيْنِ قَدْ يَرِدُ**)؛ يعني: في

نصوص الشرع، (**عَلَى نَوْعَيْنِ**)؛ أي: أكبر وأصغر، أكبر ناقل من الملة، وأصغر ليس بناقلٍ من الملة، أكبر موجب للخلود في النار، وأصغر ليس بموجبٍ لذلك.

ثم أخذ يوضح فقال: (**فَالْكُفْرُ بِاللهِ مَعْلُوْمٌ**)؛ يعني: الكفر الأكبر بالله الناقل من الملة معلوم.

(**وَسُمِّيَ بِالْكُفْرِ الْقِتَالُ لِذِي الإِسْلاَمِ يَعْتَمِدُ**)؛ أي: يتعمد القتال لأهل الإسلام، هذا سُميَ كفر، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ**»، وقال: «**لا تَرْجِعُوا بَعْدي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ**»، فما المراد بالكفر هنا؟

قال: (**فَالْكُفْرُ بِاللهِ مَعْلُوْمٌ**)؛ أي: الكفر الأكبر الناقل من الملة معلوم، وهناك نوع آخر أُطلق عليه كفر في نصوص الشرع ولم يُرد به هذا، لم يُرد به الأكبر الناقل من الملة.

مثال على ذلك قال: (**وَسُمِّيَ بِالْكُفْرِ الْقِتَالُ لِذِي الإِسْلاَمِ يَعْتَمِدُ**)؛ كما في الأحاديث التي أشرت إليها، وهذا يُسمى كفرٌ دون كفر، ومثله قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اثنتان بالناس هما بهم كفرٌ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب**»، هذا كفر ليس الأكبر الناقل من الملة، وإنما هو كفرٌ دون ذلك.

قال: (**وَالْظُّلْمُ لِلشِّرْكِ وَصْفٌ ثُمَّ أُطْلِقَ فِي تَظَالُمِ الْخَلْقِ مِنْهُ الْغِشُّ وَالْحَسَدُ**)؛ الظلم أيضاً منه ظلمٌ أكبر، ومن ذالكم قوله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان، من الآية:١٣]، وقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[سورة البقرة، من الآية:٢٥٤]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾[سورة فاطر، من الآية:٣٦]، ثم قال في تمامها: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[سورة الحج، من الآية:٧١]؛ فهذه الآيات يُراد بالظلم فيها الظلم الأكبر الناقل من الملة الذي هو الشرك والكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو أظلم الظلم.

ويُراد به الظلم الذي هو ظلم النفس بالمعاصي، ومن ذلكم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[سورة فاطر، من الآية:٣٢]، الظالم لنفسه هنا ليس المراد به الكافر المشرك؛ وإنما المراد الذي ظلم نفسه بالمعاصي والذنوب، فهذا ظلمٌ دون ظلم، ومما يجمع ذلك حديث عائشة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**دواوين الظلم يوم القيامة ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديون لا يتركه الله، وديوان لا يعبأ الله به**»، فالديوان الذي لا يغفره الله الشرك، والديوان الذي لا يتركه الله ظلم العباد بعضهم لبعض؛ أي: حتى يقتص للمظلوم من ظالمه، وديوانٌ لا يعبأ الله به وهو الذنوب التي دون ذلك.

فإذًا الظلم في النصوص يُراد به الظلم الأكبر وهو الشرك والكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُراد به الظلم الذي هو ظلم المعاصي؛ سواءً ظلم الإنسان نفسه بفعل المعاصي التي دون الكفر، أو ظلمه للآخرين بالاعتداء عليهم، وهو ما مثَّل له المؤلف بقوله: (**الْغِشُّ وَالْحَسَدُ**)؛ هذا ظلم، وهو من الظلم الأصغر ليس من الظلم الأكبر الناقل من الملة.

قال: (**وَالْفِسْقُ فِي وَصْفِ إِبْلِيْسَ اللَّعِيْنِ**)؛ قال: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[سورة الكهف، من الآية:٥٠]، ما الفسق هنا؟ الأكبر، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[سورة الكهف، من الآية:٥٠]، الفسق هنا الأكبر الناقل من الملة، المراد به الفسق الأكبر الناقل من الملة.

قال: (**وَالْفِسْقُ فِي وَصْفِ إِبْلِيْسَ اللَّعِيْنِ**)؛ أي: هو فسقٌ أكبر ناقل من الملة.

(**وَالْفِسْقُ فِي وَصْفِ إِبْلِيْسَ اللَّعِيْنِ أَتَى**)؛ يعني: أتى في وصف إبليس اللعين الفسق، وهذا فسق أكبر ناقل من الملة، (**وَقَاذِفٍ مَا عَنِ الإِسْلاَمِ يَبْتَعِدُ**)؛ أي: وأتى وصف الفسق في حق القاذف، قال: (**مَا عَنِ الإِسْلاَمِ يَبْتَعِدُ**)؛ أي: ليس بخارجٍ عن الإسلام بوجود هذا النوع من الفسق فيه، وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[سورة النور، من الآية:٤]،الفسق الذي ذُكر هنا ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[سورة النور، من الآية:٤]، ليس هو الفسق الذي ذُكر في قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[سورة الكهف، من الآية:٥٠]، ذاك فسقه كفرٌ ناقل من الملة، وهذا فسقه معصية ليست ناقلة من الملة، ولهذا قال هنا: (**وَقَاذِفٍ مَا عَنِ الإِسْلاَمِ يَبْتَعِدُ**)؛ أي: بقذفه لا يبتعد عن الإسلام، لا يكون خرج بهذا القذف من الإسلام.

(**كَذَا النِّفَاقُ أَتَى فِي الْكُفْرِ أَقْبَحُهُ وَجَاءَ فِي وَصْفِ ذي خُلْفٍ لِمَا يَعِدُ**)؛ النفاق نوعان:

- أكبر ناقل من الملة، وهو ما يشير إليه الناظم بقوله: (**كَذَا النِّفَاقُ أَتَى فِي الْكُفْرِ**)؛ يعني: أتى في الكفر الأكبر الناقل من الملة، وهو كفر المنافقين.
- وأتى في الأصغر وسيذكر له أمثلة، أو يذكر أنواعه.

والنفاق: هو اختلاف الظاهر والباطن، النفاق بنوعيه الأكبر والأصغر هو اختلاف الظاهر والباطن، فإذا كان ظاهر الإنسان الإسلام وباطنه الكفر، ما نوع نفاقه؟ هذا الاختلاف الآن بين الظاهر والباطن أكبر، إذا كان ظاهر الإسلام وباطنه الكفر اختلف الآن الظاهر والباطن، لكن هذا النفاق أكبر ناقل من الملة.

وإذا اختلف الظاهر والباطن في العمليات، ليس في الدين نفسه وإنما في العمليات -فروع الدين- مثل شخص يُظهر الصدق ويبطن خلاف ذلك، يُظهر الوفاء ويُبطن خلاف ذلك، يعني يقول لصاحبه: الساعة الفلانية أكون عندك، وهو نفسه في نفس اللحظة يقول وهو يُبطن أنه لن يأتي، اختلف الظاهر والباطن، لكن في العمليات؛ فهذا نفاقًا عملي يُسمى، هذا يسمى نفاق عملي، اختلف الظاهر والباطن في العمليات فيُسمى نفاقًا عمليًا لا ينقل من الملة، فهو نفاقٌ دون نفاق، نفاقٌ أصغر دون النفاق الأكبر.

مثل: شخص يُعطى أمانة، ويقال: تحفظها، فيقول: نعم، أنا أحفظ لك إياها أشد من الشيء اللي عندي، أحفظ لك إياها أكثر من حفظي لمالي، وهو نفس الوقت اللي يقول هذه الكلمة في قرارة نفسه ينوي عدم ردها إليه، هذا نفاق عملي لا يُخرج من الملة، نفاق عملي وهو من الكبائر ومن كبائر الذنوب، ومن عظائم الآثام، يعني كفى بها كبرًا وعظمًا وخطورةً أن سُميت نفاقًا، وجُعلت من آيات النفاق، ومن علامات النفاق، ومن أوصاف المنافقين فكفى بهذا تقبيحًا وبيانًا لخطورتها.

قال: (**كَذَا النِّفَاقُ أَتَى فِي الْكُفْرِ أَقْبَحُهُ وَجَاءَ فِي وَصْفِ ذي خُلْفٍ لِمَا يَعِدُ**)؛ وجاء أيضًا النفاق في وصف ذي خلف، يعني: إذا وعد أخلف.

(**ذي خُلْفٍ لِمَا يَعِدُ**)؛ أي: الذي يعد ويُخلف هذا نفاق؛ لأن اختلف الظاهر والباطن.

(**أَوْ خَاصَمُوْا فُجَرُوا**)؛ الفجور في الخصومة، عندما يكون بينه وبين شخص خصومة يفجر، يقول مثلًا: هذا المال لي، وأنا الذي اكتسبته، وأنا الذي حصَّلته، وأنا الذي ربحته من التجارة الفلانية، وأنا وأنا، في قرارة نفسه يعلم خلاف ذلك، فجور، في قرارة نفسه يعلم خلاف ذلك؛ فإذًا ظاهره يقول: إنه له، وباطنه يعرف أنه ليس له؛ هذا نفاق اختلف الظاهر والباطن، في الباطن شيء وفي الظاهر شيء آخر، هذا نفاق وهذا من علامات النفاق، ومن علامات المنافقين.

مثلًا: يأتي عند القاضي! والله الذي لا إله إلا هو هذا أنا ورثته كابرٍ عن كابر، وهذا مالنا وهذا أرباحنا، إلى آخره، وفي قرارة نفسه يعلم أنه ليس له، هذا نفاق.

قال: (**أَوْ عَاهَدُوا غَدَروا**)؛ يعطي العهد ويُظهر الالتزام بالعهود وفي قرارة نفسه خلاف ذلك، هذا نفاق.

(**وَالْخَائِنِيْنَ**)؛ يعني: «**إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، أي: يخون الأمانة، يُظهر الوفاء ويُبطن الخيانة، هذا نفاق.

(**وَمَنْ إِنْ حَدَّثُوا فَنَدُوا**)؛ أي: كذبوا؛ «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**»، هذا أيضًا من علامات النفاق، وهو من النفاق العملي.

مداخلة: ..... (٠١:٠٥:٠٦)

ما سمعت؟

مداخلة: ..... (٠١:٠٥:١٢)

نعم، في الأول، ليس في النفاق، والدنا الله يحفظه يقول: ما ذكر الحلف بالطلاق؟ وهذه ظاهرة سيئة ومنتشرة في بعض البلدان، يعني عندما يُعطى أو تتوجه إليه اليمين يُطلق، يقول: عليَّ الطلاق، أو زوجتي طالق إن لم أفعل ذلك، وهو يقصد بذلك اليمين، يقصد بذلك عندما تتوجه اليمين، يقول: عليَّ اليمين، أو يقول: زوجتي طالق، أو لا تحل لي زوجتي، أو زوجتي عليَّ حرام، أو نحو ذلك من الكلمات، وهذه الكلمات محرمة لا يجوز أن يقولها المسلم، وهم يأتون بها مكان اليمين، يأتونها مكان اليمين، وتخرج منهم مخرج اليمين، فهي كلامٌ لا يحل، وإذا نوى الطلاق وقصده؛ فإنها تطلق ولا تكون زوجةً له؛ بل تكون طالقًا بذلك، وأما إذا قصد اليمين فإنها لا تطلق بذلك؛ لأنه ما قصد الطلاق ـ حسب ما قرر ذلك أهل العلم ـ.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي: قال:

وَحَيْثُ مَا نُفِيَ الإِيمَانُ فِي أَثَرٍ ** عَمَّنْ عَصَى وَمِنَ التَّوحِيْدِ قَدْ عَقَدُوا

فَالْمُسْتَحِلُّ أَوِ الْمَقْصُوْدُ فَارَقَهُ ** إِيمَانُهُ حَالَةَ الْعِصْيَانِ يَصْطَعِدُ

أَوِ الْمُرَادُ بِهِ نَفْيَ الْكَمَالِ وَعَنْ ** تَفْسِيْرِهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ قَصَدُوا

تَكُوْنُ أَرْهَبَ أَمَّا أَنْ نُكَفِّرَهُ ** فَقَدْ رَدَدْنَا عَلَى الْقُرْآنِ إِذْ نَجِدُ

أَنْ أَثْبَتَ اللهُ لِلْجَانِي الأَخُوَّةَ والـ ** إِيمَانَ مَا قَالَ فِيْهِ كَافِرٌ وَعَدُو

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بيان معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي**)؛ أي: مثل قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث أبي هريرة في الصحيحين: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إلَيْهِ فيها أبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُها وهو مُؤْمِنٌ**»، ومثل قوله: «**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ**»، وقوله: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، ومثل قوله: «**واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، من لا يأْمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ**»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فما معنى نفي الأيمان؟ ما معنى نفي الإيمان في هذه الأحاديث؟

هذا بابٌ عقده رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان هذه المسألة، قال: (**معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي**)؛ قال في شرح هذه المسألة: (**وَحَيْثُ مَا نُفِيَ الإيمَانُ في أَثَرٍ**)؛ أي: في نص، والمراد بالأثر أي: فيما أُثر عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(**وَحَيْثُ مَا نُفِيَ الإيمَانُ في أَثَرٍ عَمَّنْ عَصَى وَمِنَ التَّوحِيْدِ قَدْ عَقَدُوا**)؛ يعني: ممن هم معتقدين التوحيد، ومن أهل التوحيد، وعندهم أصل الإيمان، فنفي الإيمان عن هؤلاء ما المراد به؟ (**وَحَيْثُ مَا نُفِيَ الإيمَانُ في أَثَرٍ عَمَّنْ عَصَى وَمِنَ التَّوحِيْدِ قَدْ عَقَدُوا**).

(**فَالْمُسْتَحِلُّ**)؛ إن كان مستحلًا وهذا قول في معنى الأحاديث؛ فيكون نفي الإيمان نفي أصل الإيمان، «**لا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ**»، يعني إن كان مستحلًا للسرقة فالمراد نفي أصل الإيمان، نفي الإيمان من أصله إن كان عن استحلال.

(**أَوِ الْمَقْصُوْدُ فَارَقَهُ إيمَانُهُ حَالَةَ الْعِصْيَانِ يَصْطَعِدُ**)؛ مثل ما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِذَا زَنَى الْعَبْدُ خَرَجَ إِيمَانُه وكَانَ فَوْقَه كَالظُّلَّةِ**»، هذا معنى قوله: (**أَوِ الْمَقْصُوْدُ فَارَقَهُ إيمَانُهُ حَالَةَ الْعِصْيَانِ يَصْطَعِدُ**).

(**أَوِ الْمُرَادُ بِهِ نَفْيَ الْكَمَالِ**)؛ هذا يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأقوال التي قيلت في معنى الحديث، (**أَوِ الْمُرَادُ بِهِ نَفْيَ الْكَمَالِ**)؛ والكمال كمالان:

- كمال مستحب.
- وكمال واجب.

والمراد بالكمال المنفي هنا الكمال الواجب؛ فيكون المعنى أو المراد بنفي الإيمان في مثل هذه الأحاديث نفي كمال الإيمان الواجب، ولا يكون بنفي كمال الإيمان الواجب عنه كافرًا، هو باقي على أصل الإيمان، يعني يُنفى عنه الإيمان المطلق، ولا يُنفى عنه مطلق الإيمان -الذي هو أصله-، ينفى عنه الإيمان المطلق؛ أي: الإيمان الكامل.

قال: (**أَوِ الْمُرَادُ بِهِ نَفْيَ الْكَمَالِ**)؛ هذا أيضًا قول، الآن كم قول ذكر الناظم؟ ثلاثة أقوال.

الرابع قال: (**وَعَنْ تَفْسِيْرِهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ قَصَدُوا**)؛ بعض أهل العلم في مثل هذه النصوص قالوا: لا تُفسَّر، تُمر كما جاءت، تبقى هكذا حتى تبقى على هيبتها، «**لا يُؤْمِنُ**»، «**واللهِ لا يُؤْمِنُ**»، لا تفسر حتى تبقى على هيبتها، لا يُقال المراد بالنفي نفي ليس أصل الإيمان، بل هو باقٍ على أصل إيمانه المراد بالنفي نفي كمال الإيمان واجب، بعض أهل العلم يرى أنها لا تفسر تبقى على هيبتها، وتكون أقوى في الزجر.

قال: (**وَعَنْ تَفْسِيرِهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ قَصَدُوا**)؛ لماذا؟ لماذا قصدوا ذلك واختاروا أنها تبقى؟

قال: (**تَكُوْنُ أَرْهَبَ**)؛ قال في البيت اللي بعده: (**تَكُوْنُ أَرْهَبَ**)؛ يعني إذا بقيت بدون تفسير تكون أرهب يعني أقوى في الوقع، لكن لما يُقال: «**واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، من لا يأْمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ**»، فإذا قيل: لكن ليس المراد بالنفي نفي أصل الإيمان، هو باقي على إيمانه، المراد الإيمان ينقص، ليس المراد أن الإيمان يذهب؟ الإيمان ينقص، في مثل هذا تضعف الرهبة، وهيبة هذه النصوص، وقوة زجرها؛ ولهذا مثل هذا التفسير يكون في الدرس الذي تُشرح فيه هذه المسائل وتُبين، وفي الخطابة والبيان والنصيحة تبقى على هيبتها وقوة زجرها للعصاة، يعني لما تكون في الدرس تُشرح، لكن لما يكون في زجر العاصي، شخصًا مثلًا يسرق يكفي أن تقول له: يا أخي اتق الله، أما سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يَسْرِقُ السارق حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ**»؟، اتق الله الأمر خطير، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يَسْرِقُ السارق حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ**»، ما تقف عنده وتقول له: ترى ما هو المقصود لا يؤمن أن الإيمان ينتفي من الأصل؟ لا، الإيمان باقي ولكن هذه تُذهب الهيبة فيكفي في باب الزجر أن يتلى النص ويخوف به العاصي، شخص يشرب الخمر يكفي أن تقول: اتق الله، لا تشرب الخمر، أما سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُها وهو مُؤْمِنٌ**»؟ يا أخي حافظ على إيمانك، هذا أمر خطير جدًا.

قال: (**تَكُوْنُ أَرْهَبَ**)؛ يعني: أرهب للعصاة والمذنبين والمقارفين لهذه الذنوب.

(**أَمَّا أَنْ نُكَفِّرَهُ**)؛ بأن نكفر من زنا أو سرق أو نحو ذلك من الأمور التي جاء فيها نفي الإيمان، (**أَمَّا أَنْ نُكَفِّرَهُ فَقَدْ رَدَدْنَا عَلَى الْقُرْآنِ**)؛ إذا كفرنا هؤلاء العصاة بحيث فهم من لا يؤمن أن ينفى عن أصل الإيمان نكون بذلك رددنا على القرآن، كيف رددنا على القرآن؟

يوضح لك يقول: (**إِذْ نَجِدُ أَنْ أَثْبَتَ اللهُ لِلْجَانِي الأَخُوَّةَ**)؛ إِذْ نَجِدُ؛ أي: في القرآن (**أَنْ أَثْبَتَ اللهُ لِلْجَانِي الأَخُوَّةَ والإِيمَانَ**)؛ لأن لو نكفر هؤلاء نكون رددنا القرآن، كيف رددنا القرآن؟ يقول: (**إِذْ نَجِدُ**)؛ في القرآن (**أَنْ أَثْبَتَ اللهُ لِلْجَانِي الأَخُوَّةَ والإِيمَانَ مَا قَالَ فِيْهِ كَافِرٌ وَعَدُو**)؛ ما قال في الجاني كافر وعدو، مثل قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٧٨]، سمى القاتل أخًا لأولياء المقتول، قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٧٨]، والأخوة هنا أُخوة ماذا؟ الدين، الأخوة أخوة الدين فسمى القاتل أخًا لأولياء المقتول والأخوة أخوة الدين.

وقال في الآية الأخرى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾[سورة الحجرات، من الآية:٩]، سماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾[سورة الحجرات، من الآية:٩]؛ فإذًا إذا كُفِّر مرتكب هذه المعاصي يكون بذلك قد ردَّ الإنسانُ القرآن، لماذا؟ لأننا نجد في القرآن أن الله أثبت للجاني الأُخوة والإيمان، أثبت الله للجاني الأخوة في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٧٨]، وأثبت له الإيمان في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الحجرات، من الآية:٩].

(مَا قَالَ فِيْهِ كَافِرٌ وَعَدُو)؛ ما قال الله كافر وعدو، بل قال: أخ، وقال: مؤمن، فدل ذلك على أن الإيمان المنفي هو كمال الإيمان الواجب، فالنفي في مثل هذه الأحاديث المرادُ به نفي الإيمان الواجب، أو نفي كمال الإيمان الواجب، فليس المنفي أصل الإيمان، ولا أيضًا الإيمان باقي على تمامه وكماله مع وجود هذه المعاصي -خلافًا للمرجئة-، ولا يُنفى أيضًا أصل الإيمان خلافًا للخوارج والمعتزلة، بل المنفي هو كمال الإيمان الواجب.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ التوبة وشروطها، قال:

وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ اعْلَمْ قَبْلَ حَشْرَجَةٍ الـ ** صُّدُوْرِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ نَالَهُ أَحَدُ
شُرُوْطُهَا يَا أَخِي الإقلاعُ مَعْ نَدَمٍ ** وَلاَ يَعُوْدُ لَهُ بَلْ عَنْهُ يَبْتَعِدُ
وَإِنْ يَكُنْ فِيْهِ حَقُّ الآدَمِي فَتَحَلَّـ ** ـلْ حَيْثُ أَمْكَنَ وَلْيَعْرِضْ لَهُ القَوَدُ

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **(بابُ التوبة وشروطها)**؛ التوبة: هي الرجوع إلى الله بترك المعاصي والذنوب والإقبال على طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وامتثال أوامره.

والتوبة شأنها عظيم، وبابها مفتوح مهما عظم الذنب وكبر الجرم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[سورة الزمر، من الآية:٥٣]، يغفر الذنوب جميعًا أي: أيًا كانت ومهما كانت، الشرك، والكفر، والإلحاد، والقتل، والسرقة وإلى آخره، ﴿ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[سورة الزمر، من الآية:٥٣]، والمراد يغفرها؛ أي: لمن تاب منها، هذا هو المراد؛ لأنه قال: ﴿لَا

تَقْنَطُواْ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٥٣]؛ أي: توبوا، توبوا من الذنوب فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقبل توبة التائبين مهما كانت الذنوب عظيمة، ومهما كانت كبيرة يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ اعْلَمْ قَبْلَ حَشْرَجَةِ الصُّدُوْرِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ نَالَهُ أَحَدُ**)؛ يقول: التوبة مقبولة من كل الذنوب، مهما كان الذنب، ومهما كان الجرم، ومهما كثُر وتعدّد، التوبة مقبولة.

(**قَبْلَ حَشْرَجَةِ الصُّدُوْرِ**)؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تُقْبَلُ توبة أحدكم مَا لَم يُغْرغِرِ**»، يعني: إذا حشرجت صدرُه، وشارفت روحُه على الخروج، وبلغت الحلقوم، وعاين الموت وتاب، قال: أنا تائب، أو تبت إلى الله، أو ﴿إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [سورة النساء، من الآية:١٨]، مثل ما قال فرعون: ﴿إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [سورة النساء، من الآية:١٨]؛ فهذه لا تُقبل، لا تُقبل، لماذا؟ لأنها إيمان مشاهدة، شاهد الموت فتاب فلا تُقبل توبته، ما لم يحشرج الصدر، وتغرغر الروح.

وأيضًا جاء في الحديث الآخر وقد مر معنا بالأمس: «**أن باب التوبة مفتوح مالم تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا رآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك يوم لا ينفع نفسٌ إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا**».

قال: (**شُرُوْطُهَا يَا أَخِي**)؛ الشيخ رحمة الله عليه ينظم وأيضًا يتلطف في خطابه في النظم، (**شُرُوْطُهَا يَا أَخِي الإقلاعُ مَعْ نَدَمٍ وَلاَ يَعُوْدُ لَهُ**)؛ هذه ثلاثة شروط:

- الإقلاع.
- والندم.
- والعزم ألا يعود.

هذه ثلاثة شروط للتوبة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرنا بالتوبة النصوح، ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [سورة التحريم، من الآية:٨]، والتوبة تكون نصوحًا إذا كانت عن ندم على فعل الذنب، وعقد عزمٍ على عدم العودة إليه، وأن يُقلع عنه ويكف عن الذنب؛ فبهذه الشروط الثلاثة تكون التوبة نصوحًا مقبولةً.

قال: (**شُرُوْطُهَا يَا أَخِي الإقلاعُ مَعْ نَدَمٍ وَلاَ يَعُوْدُ لَهُ بَلْ عَنْهُ يَبْتَعِدُ**)؛ يعني: يكون حريص على البعد عن الذنب.

والمراد بقوله: (**وَلاَ يَعُوْدُ لَهُ بَلْ عَنْهُ يَبْتَعِدُ**)؛ المراد بقوله: (**وَلاَ يَعُوْدُ**)؛ أي: يعزم أن لا يعود، وإذا عزم ألا يعود فتوبته مقبولة؛ فإذا عاد للذنب احتاج إلى تجديد التوبة، فليس المراد بقوله: (**لاَ يَعُوْدُ**)؛ أن التوبة لا تُقبل إلا إذا لم يعد إليه أبدًا؛ وإنما المراد العزم على أن لا يعود للذنب.

ثم يُبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن التوبة من الذنب إذا كان متعلقًا بحقوق الآدميين، فإنه يضاف إلى هذه الشروط الثلاثة شرطٌ رابع، يعني الشروط الثلاثة السابقة إذا كان الذنب لا يتعلق بحقوق الآدميين، فشروطه التوبة منه ثلاثة، لكن إذا كان يتعلق بحقوق الآدميين فلا بد من إضافة شرطٍ رابع ما هو؟

قال: (**وَإِنْ يَكُنْ فِيْهِ حَقُّ الآدَمِي**)؛ أي: في الذنب، (**حَقُّ الآدَمِي**)؛ فماذا عليه؟ عليه شرط رابع يضاف إلى ما سبق ما هو؟ قال: (**فَتَحَلَّلْ حَيْثُ أَمْكَنَ**)؛ أي: فتحلل الآدمي حيث أمكنك ذلك، أحيانًا يريد أن يتحلل فما يتمكن، يكون في بلد لا يدري أين هو، يعني مثلًا يكون سرق مال شخص ثم ما يدري وين الشخص؟ يريد أن يتحلل منه ولا يدري أين صاحب هذا المال، ولهذا يقول: إن أمكن.

(**فَتَحَلَّلْ حَيْثُ أَمْكَنَ وَلْيَعْرِضْ لَهُ القَوَدُ**)؛ والقود القصاص، وخيرٌ للإنسان أن يقتص منه صاحب الحق في الدنيا قبل أن يكون القصاص يوم القيامة؛ لأن القصاص في الدنيا بالمال، والقصاص يوم القيامة بالحسنات، ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث عبد الله بن أنيس، قال: «**يُحْشَرُ الله العباد يَوْمَ الْقِيَامَةِ حفاة عُرَاةً بُهْمًا**»، قالوا: وَمَا بُهْمًا يا رسول الله؟ **قَالَ**: «**أي: لَيْسَ مَعَهُمْ من الدنيا شَيْءٌ**»، يعني: لو كان الإنسان عنده في الدنيا مثل مال قارون، يأتي يوم القيامة وهو ليس عنده منه درهم واحد، كلها تنتهي بموت الإنسان، وبمفارقة روحه لجسده، ومهما كان عند الإنسان من الدنيا لن يدخل معه في قبره إلا عمله، صالحًا أو كان طالحًا، ويدخل معه من دنياه قطعة القماش التي يُلف بها، ولا تمكث طويلًا، تبلى، لا تمكث معه طويلًا بل تبلى، فلا يبقى معه من دنياه إلا عمله الصالح أو غير الصالح.

فكون الإنسان يعرض القود الذي هو القصاص، ويؤخذ من حقه، أو يسمح له ويُعفى عنه، خيرٌ له من أن يلقى الله بذلك في يوم رد المظالم: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

قالوا: وَمَا بُهْمًا يا رسول الله؟ **قَالَ**: «**أي: لَيْسَ مَعَهُمْ من الدنيا شَيْءٌ**»، قال: «**فيُنادي بصوت**»، أي: رب العالمين، «**أنا الملك، أنا الديان، ثم يقول** جَلَّ وَعَلَا: **لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصها منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار ولأحدٍ من أهل الجنة عليه مظلمة حتى أقتصها منه**»، قالوا: وكيف ذاك يا رسول الله وهم إنما جاءوا بُهمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»، وقوله: «**بالحسنات والسيئات**»، يوضحه حديث المفلس: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» المشهور.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ حكم السحر، والكهانة، والتنجيم، والتطير، والاستسقاء بالأنواء والعين:

وَالسِّحْرُ حَقٌّ وُقُوْعًا بَاطِلٌ عَمَلًا ** فَمِنْهُ حِرْزٌ وَمِنْهُ النفْثُ وَالْعُقَدُ
وَحُكْمُهُ الْكُفْرُ فِي نَصِّ الكِتَابِ أَتى ** وَحَدُّ فَاعِلِهِ بِالسَّيْفِ يُحْتَصَدُ
ثُمَّ الكِهَانَةُ كُفْرٌ والتَّطَيُّرُ وَالتَّـ ** ـنْجِيْمُ وَالنَّوْءُ مِمَّنْ فِيْهِ يَعْتَقِدُ
وَالْعَيْنُ حَقٌّ وَبِالْمَقْدُورِ ثَوْرَتُها ** وَلْيَغْتَسِلْ عَائِنٌ مِنْهَا لِمَنْ يَجِدُ

الشرح:

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بابٌ حكم السحر، والكهانة، والتنجيم، والتطير، والاستسقاء بالأنواء والعين**)؛ يعني ما حكم هذه الأشياء، وبيان ما يتعلق بها.

فبدأ أولًا بالسحر، قال: (**وَالسِّحْرُ حَقٌّ وُقُوْعًا بَاطِلٌ عَمَلًا**)؛ حقٌ وقوعًا؛ أي: أن السحر موجود وله حقيقة وله تأثير، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٠٢]، له تأثير وله حقيقة، قد يمرض الإنسان بسبب السحر، قد يفارق زوجته وتفارقه، ويبغضها وتبغضه بسبب السحر، قد يُصاب بأشياء وبأمور بأسقام بسبب السحر، فالسحر حق وقوعًا، أي: له حقيقة وله وجود وله تأثير.

(**بَاطِلٌ عَمَلًا**)؛ أي: هو عملٌ باطل، وعملٌ محرم، وهو كفرٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والساحر لا يكون إلا كافرًا.

قال: (**فَمِنْهُ حِرْزٌ وَمِنْهُ النفْثُ فِي الْعُقَدُ**)؛ وفي بعض النسخ "ومنه خَرزٌ"، (**وَمِنْهُ النفْثُ فِي الْعُقَدُ**)؛ خرز لها معنى من حيث تعامل السحرة بمثل هذه الأشياء، وحرزٌ أيضًا له معنى؛ لأن بعض السَحرة من يعطي ـ بزعمه ـ حروز سحرية، يزعم أنها تحمي وتقي وتعصم وتنجي؛ فيعطيه حِرز يمنع مثلًا من سرقة ماله، يُعطيه حرزٌ يمنع من فراق زوجته، وهكذا.

(**فَمِنْهُ حِرْزٌ وَمِنْهُ النفْثُ فِي الْعُقَدُ**)؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[سورة الفلق، من الآية:١-٤]، (**وَمِنْهُ النفْثُ فِي الْعُقَدُ**)؛ أي: أن يأتي الساحر ويعقد عقدًا، وربما تكون العقد أشياء تُؤخذ من ملابس، أو شعر من أراد أن يوقع فيه السحر، وينفث فيها بسحره، وسحره تعلقٌ بالشياطين، وامتهانٌ للقرآن الكريم، وكفرٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**وَمِنْهُ النفْثُ وَالْعُقَدُ**)؛ يعني يعقد عقد وينفث فيها، ما حكمه؟

قال: (**وَحُكْمُهُ الْكُفْرُ فِي نَصِّ الكِتَابِ أَتى**)؛ يشير إلى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٠٢]، إلى آخر الآية، وقد بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه: [**المستطاب النافع معارج**

القبول] أن هذه الآيات دلت على كفر الساحر من سبعة وجوه، ترجعون إليها وتعلقونها من كتابه معارج القبول.

قال: (**وَحُكْمُهُ الْكُفْرُ فِي نَصِّ الكِتَابِ أَتى**)؛ أي: جاء التنصيص على أنه كافر في نص القرآن ومنه قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٠٢].

(**وَحَدُّ فَاعِلِهِ بِالسَّيْفِ يُحْتَصَدُ**)؛ أي: حد الساحر ضربة بالسيف بحيث يطير بها رأسه وينفصل عن جسده، وقد صح قتل الساحر عن عمر وحفصة وجندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فحد الساحر السيف، (**يُحْتَصَدُ**)؛ أي: يضرب رأسه بالسيف بحيث ينفصل رأسه عن جسده فيتخلص الناس من شره.

وأذكر قديمًا ضُبِطَ أحدُ السحرة، وقُطع رأسُه، ثم في مسكنه أتوا على الأشياء والعُقد ملئ البيت بعقد وألبسة وأشياء كان عقَد فيها السحر؛ فحُلت تلك الأشياء التي كانت عنده، فعدد من الناس تخلصوا من أتعابٍ ومعاناةٍ كانوا يعانون منها؛ لأن السحر حُل، وأُتلف.

فالساحر شر عظيم على المجتمعات، وبلاء كبير، من أعظم ما يكون نكايةً وفسادًا وإضرارًا بالمجتمعات وجود السحرة، وخطورة الساحر على المجتمع أشد ما تكون، والساحر لا يكثر في مجتمعٍ من المجتمعات إلا مع ضعف التوحيد، وضعف الإيمان، وقلة دراسة التوحيد، ودراسة الإيمان، بينما إذا شاع في الناس دراسة التوحيد وتعلم الإيمان؛ فإن الساحر لا يجد لنفسه مجالًا، وإنما يجد الساحر مجال إذا جُهل التوحيد وجُهل الاعتقاد، فيفشو السحر وينتشر حينئذٍ في الناس السحر انتشارًا واسعًا.

قال: (**ثُمَّ الكِهَانَةُ كُفْرٌ**)؛ والكهانة من التكهن، وهو ادعاء علم الغيب والمعرفة بالأمور، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، وَعَرَّافًا، وصَدَّقَهُ فِيما يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(**والتَّطَيُّرُ**)؛ والمراد به: التشاؤم بالطير، أو بغيرها، التشاؤم بالطير أي: بأنواعها، أو ببعض أنواعها ـ مثل البوم ـ أو بحركاتها وسيرها، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»، هذا حديث آخر، لكن قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَيْسَ مِنّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ**»، وجاء في حديث التنصيص على أن من تطير فقد أشرك، يذكره أحدٌ منكم؟

مداخلة: ..... (٠١:٤١:٠٤)

ارفع الصوت.

مداخلة: حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ**».

لا، التنصيص.

مداخلة: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**».

نعم، في حديث ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب [**التوحيد**]، «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، بهذا اللفظ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، هكذا؟

مداخلة: وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**».

حديث ابن مسعود، نعم حديث ابن مسعود: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، قال ابن مسعود: "وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل".

قال: (**والتَّطَيُّرُ وَالتَّنْجِيمُ**)؛ وقد جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَن اقتبس شُعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السِّحْر زاد ما زاد**»، أي: كلما زاد نصيبًا من التنجيم زاد نصيبًا من السحر.

(**وَالنَّوْءُ مِمَّنْ فيْهِ يَعْتَقِدُ**)؛ أي: يعتقد في الأنواء، مثل قول أهل الجاهلية: "مُطرنا بنوء كذا وكذا".

قال: (**وَالْعَيْنُ حَقٌّ وَبِالْمَقْدُورِ ثَوْرَتُها**)؛ أي أن وقوع العين مقدر، وثورة العين أي كون العين تثور وتصيب هذا أمرٌ مقدر، لكن العين حق، وقد جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها «**تُدخل الرجل القبر والجملَ القِدر، فالعين حق**»، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**العين حقٌّ**».

(**وَالْعَيْنُ حَقٌّ وَبِالْمَقْدُورِ ثَوْرَتُها وَلْيَغْتَسِلْ عَائِنٌ مِنْهَا لِمَنْ يَجِدُ**)؛ أي: لمن يجد أنه أصاب بعينه ليغتسل له، وإلى هذا أرشد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما ثبت بذلك الحديث عنه.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بابٌ حكم الرقى والتعاليق:

ثُمَّ الرُّقَى إِنْ تَكُنْ بِالْوَحْيِّ دُوْنَ تَصَـ ** رُّفٍ وَلاَ صَرْفِ قَلْبٍ لَيْسَ يُنْتَقَدُ
وَلِلصَّحَابَةِ خُلْفٌ فِي تَعَلُّقِ آ ** يَاتِ الْكِتَابِ وَوِرْدٍ لِلنَّبِي يَرِدُ
وَالْمَنْعُ أَوْلَى فَأَمَّا مَا عَدَاهُ فَلاَ ** خِلاَفَ فِي مِنْعِهِ إِذْ فِيْهِ مُسْتَنَدُ

الشرح:

قال: (**في حكم الرقى والتعاليق**)؛ التعاليق: أي: ما يُعلق من تمائم، أو حروز أو غيرها؛ ما حكم ذلك؟

قال في الرقية: (**ثُمَّ الرُّقَى إِنْ تَكُنْ بِالْوَحْيِّ دُوْنَ تَصَرُّفٍ وَلاَ صَرْفِ قَلْبٍ لَيْسَ يُنْتَقَدُ**)؛ أي: جائز، إذا كانت الرقية بالوحي (**دُوْنَ تَصَرُّفٍ**)؛ أي: لا يتصرف بالآيات، أو يعبث، أو يُغيِّر، أو يُبدِّل؛ وإنما يرقي نفسه

بالآيات، يقرأ آية الكرسي، يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[سورة الإخلاص، من الآية:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[سورة الفلق، من الآية:١]، يقرأ فاتحة الكتاب، كذلك الدعوات المأثورة، والأذكار الواردة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الباب.

(**ثُمَّ الرُّقَى إِنْ تَكُنْ بِالْوَحْيِّ دُوْنَ تَصَرُّفٍ وَلاَ صَرْفِ قَلْبِ**)؛ أي: قلبُه يكون معتمدًا على الله طالبًا الشفاء منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**وَلاَ صَرْفِ قَلْبٍ لَيْسَ يُنْتَقَدُ**)؛ أي: أنه مباح.

قال: (**وَلِلْصَّحَابَةِ خُلْفٌ**)؛ أي: خلاف، (**فِي تَعَلُّقِ آيَاتِ الْكِتَابِ وَوِرْدٍ لِلْنَّبِي يَرِدُ**)؛ يعني في خلاف بينهم في تعليق القرآن، أو الأوراد المأثورة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال في خلاف في تعليقها، يعني أن يوضع آيات من القرآن في تميمة ويعلقها الإنسان على صدره، أو يعلقها على صغيره أو نحو ذلك، هذا فيه خلاف.

(**وَالْمَنْعُ أَوْلَى**)؛ يعني: أن لا يعلق حتى إذا كانت التميمة من القرآن المنع أولى، المنع من ذلك أولى؛ أي: أن لا تعلق، والمنع أولى، لماذا المنع أولى؟ لأسباب ذكرها أهل العلم:

أولًا: عموم الأدلة في المنع.

وثانيًا: لئلا يعرض القرآن للامتهان.

وثالثًا: سدًا للذريعة.

ورابعًا: أن النصوص إنما جاءت في هذا الباب بالرقى ولم تأتي بالتعاليق.

ولهذا كما قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالْمَنْعُ أَوْلَى**)؛ يعني: المنع من تعليق التميمة إن كانت من القرآن أولى.

(**فَأَمَّا مَا عَدَاهُ**)؛ يعني: ما عدا ذلك من التمائم والتعاليق، (**فَلاَ خِلاَفَ فِي مِنْعِهِ**)؛ أي: ليس هناك خلافٌ بين أهل العلم في عدم جوازه، والمنع من تعليقه، لماذا؟

قال: (**إِذْ فِيْهِ مُسْتَنَدُ**)؛ يعني: فيه مستند واضح في النصوص تدل على المنع، الأحاديث الكثيرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنع من ذلك، «**من تعلَّق تميمة فلا أتم الله له**»، «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»، ونحو ذلك مما جاء عنه -صلوات الله وسلامه عليه-.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بابُ الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

ثُمَّ الْخَلِيْفَةُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وهُوَ الـ ** صِّدِّيْقُ أَسْعَدُ مَنْ بِالمُصْطَفَى سُعِدُوا

وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوْقُ ذَاكَ أَبُوْ ** حَفْصٍ لَهُ الضِّدُّ وَالأَعْوَانُ قَدْ شَهِدُوا

كَذَاكَ عُثْمَانُ ذو النُّوْرَيْنِ ثَالِثُهُمْ ** بِظُلْمِهِ بَاءَ أَهْلُ البَغْيِّ إِذْ قَصَدُوا
كَذَا عَلِيٌّ أَبو السِّبْطَيْنِ رَابِعُهُمْ ** بِالْحَقِّ مُعْتَضِدٌ لِلْكُفْرِ مُضْطَهِدُ
فَهؤلاءِ بِلاَ شَكٍّ خِلافَتُهُمْ ** بِمُقْتَضَى النَّصِّ وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدُ
وَأَهْلُ بَيْتِ النَّبِيْ وَالصَّحْبُ قَاطِبَةً ** عَنْهُمْ نَذُبُّ وَحُبَّ الْقَوْمِ نَعْتَقِدُ
وَالْحَقُّ فِي فِتْنَةٍ بَيْنَ الصِّحَابِ جَرَتْ ** هُوَ السُّكُوْتُ وَأَنَّ الْكُلَّ مُجْتَهِدُ
وَالنَّصْرُ أَنَّ أَبَا السِّبْطَيْنِ كَانَ هُوَ الْـ ** مُحِقُّ مَنْ رَدَّ هَذَا قَوْلُهُ فَنَدُ
تَبًّا لِرَافِضَةٍ سُحْقًا لِنَاصِبَةٍ ** قُبْحًا لِمَارِقَةٍ ضَلُّوا وَمَا رَشَدُوا

الشرح:

جزاه الله خيرًا، قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**بابٌ الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ)؛ هذا الباب عقده لبيان ما يتعلق بالخلافة، أو بعض المسائل المتعلقة بالخلافة، وأيضًا ما يتعلق بعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة وفي آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**ثُمَّ الْخَلِيْفَةُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وهُوَ الصِّدِّيْقُ**)؛ ثم الخليفة من بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الصديق أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(**ثُمَّ الْخَلِيْفَةُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ هُوَ الصِّدِّيْقُ أَسْعَدُ مَنْ بِالمُصْطَفَى سُعِدُوا**)؛ أي: أسعد الناس الذين سعدوا بمصاحبة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا فيه أنه أفضل الصحابة على الإطلاق، وأفضل إنسان سعد بصحبة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالذين صحبوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلهم سعدوا بهذه الصحبة، لكن أعظمهم، وأوفرهم، وأكبرهم نصيبًا من هذه السعادة أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٤٠]، وهو الصحابي الوحيد الذي نُصَّ في القرآن على صحبته للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة، من الآية:٤٠]، (**أَسْعَدُ مَنْ بِالمُصْطَفَى سُعِدُوا**)؛ أي: أسعد الناس بصحبه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وملازمته ومرافقته وهو أول من آمن به رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه من الرجال.

(**وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوْقُ ذَاكَ أَبَوْ حَفْصٍ لَهُ الضِّدُّ وَالأَعْوَانُ قَدْ شَهِدُوا**)؛ إلا من خذلهم الله، (**وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوْقُ ذَاكَ أَبَوْ حَفْصٍ**)؛ ذكره في هذا البيت باسمه ولقبه وكنيته، جمع له في هذا البيت بين الاسم واللقب والكنيه، فاسمه عمر، ولقبه الفاروق، وكنيته أبو حفص.

(**وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوْقُ ذَاكَ أَبَوْ حَفْصٍ لَهُ الضِّدُّ وَالأَعْوَانُ قَدْ شَهِدُوا**)؛ أي: شهدوا له بالخيرية والفضل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه.

قال: (**كَذَاكَ عُثْمَانُ ذو النُّوْرَيْنِ ثَالِثُهُمْ**)؛ أي: ثالث هؤلاء.

(**بِظُلْمِهِ بَاءَ أَهْلُ البَغْيِّ إِذْ قَصَدُوا**)؛ (**كَذَاكَ عُثْمَانُ**)؛ أي: يلي أبي بكرٍ وعمر في الرتبة والفضيلة، عثمان أي: ابن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذو النورين، وقيل في تلقيبه بذي النورين أقوال عديدة، أقربها أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أكرمه بالزواج من ابنتين للنبي -صلوات الله وسلامه عليه-، تزوج بواحدة فماتت، ثم تزوج الأخرى فهذا أولى ما قيل في تسميته أو تلقيبه بذي النورين.

(**كَذَاكَ عُثْمَانُ ذو النُّوْرَيْنِ ثَالِثُهُمْ بِظُلْمِهِ**)؛ أي: قتلوه ظلماً، (**بِظُلْمِهِ بَاءَ أَهْلُ البَغْيِّ إِذْ قَصَدُوا**)؛ أي: قصدوا قتله، وخرجوا عليه، وقاموا بقتله في بيته وهو يتلوا كتاب الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه.

(**كَذَا عَلِيٌّ أَبو السِّبْطَيْنِ**)؛ أي: الحسن والحسين، (**رَابِعُهُمْ**)؛ أي: رابع الخلفاء، (**بِالْحَقِّ مُعْتَضِدٌ لِلْكُفْرِ مُضْطَهِدُ**)؛ وصفه بهاذين الوصفين، بالحق معتضد، أي: جعل الحق عضدًا له.

(**بِالْحَقِّ مُعْتَضِدٌ لِلْكُفْرِ مُضْطَهِدُ**)؛ أي: يضطهد الكفر بمعنى: يُبطل الكفر ويعمل على القضاء عليه وعلى إبطاله.

(**فَهؤلاءِ بِلاَ شَكٍّ خِلافَتُهُمْ**)؛ هؤلاء أي: الأربعة، (**بِلاَ شَكٍّ خِلافَتُهُمْ بِمُقْتَضَى النَّصِّ وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدُ**)؛ مراده في قوله: (**بِلاَ شَكٍّ خِلافَتُهُمْ بِمُقْتَضَى النَّصِّ**)؛ مراده بذلك النصوص العامة التي تدل على خلافتهم وفضلهم، مثل قوله: «**الْخِلاَفَةُ بعدي ثَلاَثُونَ**»، وقوله: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ من بعدي تَمَّسكوُا بِها**»، ونحو ذلك من النصوص العامة التي فيها التنصيص على فضل خلافة هؤلاء الأربعة.

(**فَهؤلاءِ بِلاَ شَكٍّ خِلافَتُهُمْ بِمُقْتَضَى النَّصِّ وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدُ**)؛ أي: منعقد الإجماع على فضلهم وعلى أيضًا خلافتهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأرضاهم .

قال: (**وَأَهْلُ بَيْتِ النَّبِيْ وَالصَّحْبُ قَاطِبَةً عَنْهُمْ نَذُبُّ وَحُبَّ الْقَوْمِ نَعْتَقِدُ**)؛ أي: عقيدتنا معاشر أهل السُّنَّة والجماعة أننا نحب آل بيت النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، نحب علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ونحب فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ونحب الحسين

والحسن، ونعتقد أنهما سيدا شباب أهل الجنة، نحب آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونحب أيضاً عموم أصحاب النبي، وليس في قلبنا ولله الفضل والمنه غل على أحد، لا أهل البيت ولا أصحاب النبي -صلوات الله وسلامه عليه-، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن المؤمنين الذين جاءوا بعد الصحابة والتابعين، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[سورة الحشر، من الآية:١٠]، فمن فضل الله علينا ومنته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو المان المتفضل أن قلوبنا ليس فيها غِل لأحد من الصحابة، وليس فيها غِل لأحدٍ من أهل البيت، بل نحبهم جميعًا، وآل البيت وعموم الصحابة لهم مكانتهم العظيمة ومنزلتهم العلية، ويقدرون لهم قدرهم، ويعرفون لهم مكانتهم ويحبونهم محبةً عظيمة.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمى أبناءه بأسماء آل البيت، له بنت واحدة سماها "فاطمة"، وسمى "علي"، و"الحسن"، و"الحسين"، و"إبراهيم"، و"عبدالله"، فهؤلاء كلهم آل البيت، فقط واحد الذي هو "عبدالعزيز" وإلا باقي أبناءه كلهم بأسماء آل البيت، هذا دليل الحب ولا البغض؟ فأهل السُّنَّة جمع الله لهم هذا الأمر العظيم وهو حب آل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحب أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدون غلو ولا جفاء.

قال: (**وَأَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالصَّحْبُ قَاطِبَةً عَنْهُمْ نَذُبُّ**)؛ أي: ندافع عنهم، ندافع عن آل البيت، وندافع عن الصحابة عمومًا، ونحب آل البيت وأيضًا نحب الصحابة عمومًا.

قال: (**عَنْهُمْ نَذُبُّ وَحُبَّ الْقَوْمِ نَعْتَقِدُ**)؛ أي: عقيدة مستقرة ثابتة في قلوبنا.

ثم ذكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- فيما يتعلق فيما شجر بين الصحابة، ما الموقف الحق في ذلك؟

قال: (**وَالْحَقُّ فِي فِتْنَةٍ بَيْنَ الصِّحَابِ جَرَتْ**)؛ أي: بين الصحابة جرت، (**هُوَ السُّكُوْتُ**)؛ هذا هو الحق، السكوت، كما قال بعض السلف عندما سُئل على تلك الفتن؛ قال: "تلك فتنةٌ طهَّر اللهُ منها سيوفنا، فلنطهِّر منها ألسنتنا"، سيوفنا ما خاضت فيها، فلنكف ألسنتنا عن الخوض فيها، وسُئل آخرٌ من السلف عن ذلك، فقال: "تلك أمةٌ قد مضت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسئلون عما كانوا يعملون"؛ فإذًا الحق فيما شجر بين الصحابة السكوت.

(**وَالْحَقُّ فِي فِتْنَةٍ بَيْنَ الصِّحَابِ جَرَتْ هُوَ السُّكُوْتُ وَأَنَّ الْكُلَّ مُجْتَهِدُ**)؛ نعتقد أن الكل مجتهد، ونحن نعلم أن المجتهدين بين مجتهدٍ مصيب ومجتهدٍ مخطئ، والمجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطئ له أجرٌ

واحدٌ على اجتهاده وذنبه مغفور-كما صح بذلك الحديث-؛ فإذًا هم مجتهدون بين مجتهدٍ مصيب له أجران وبين مجتهدٍ مخطئ له أجر واحد وذنبه مغفور فنعتقد أن الكل مجتهد.

(**وَالنَّصْرُ**)؛ يعني: في هذه المسألة هو تحقيق القول، (**أَنَّ أَبَا السِّبْطَيْنِ**)؛ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان هو المحق؛ يعني في القتال الذي نشب بينه وبين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: (**وَالنَّصْرُ أَنَّ أَبَا السِّبْطَيْنِ**)؛ أي: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان هو المحق (**مَنْ رَدَّ هَذَا قَوْلُهُ فَنَدُ**)؛ يعني: قوله خطأ، الذي يرد هذا القول قوله خاطئ، فالصواب أن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو المحق.

واستُدِل لهذا بأدلة منها قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عمَّار بن ياسر تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»، وكان عمار مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقُتل من قبل الجيش الذي كان عليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

قال: (**تَبًّا لِرَافِضَةٍ**)؛ تبًّا أي: من التباب، وهو الخسران.

(**تَبًّا لِرَافِضَةٍ سُحْقًا لِنَاصِبَةٍ قُبْحًا لِمَارِقَةٍ ضَلُّوا وَمَا رَشَدُوا**)؛ أي: أن هؤلاء ضلوا عن سواء السبيل، وما فازوا بسبيل الرشاد، والمارقة الخوارج، والناصبة الذين ناصبوا آل بيت النبي العداء.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بابٌ: وجوب طاعة أولي الأمر:

ثُمَّ الأَئِمَّةُ فِي المَعْرُوْفِ طَاعَتُهُمْ ** مَفْرُوْضَةٌ وَفِ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدُوا

وَلاَ يَجُوْزُ خُرُوْجٌ بِالسِّلاَحِ عَلَيْ ** هِمْ مَا أَقَامُوا عَلَى السَّمْحَاءِ وَاقتَصَدُوا

أَمَّا إِذَا أَظْهَرُوا الْكُفْرَ الْبَوَاحَ فَقَا ** تِلُوا أَئِمَّةَ كُفْرٍ حَيْثُمَا وُجِدُوا

الشرح:

ثم عقد هذه الترجمة (**بابٌ: وجوب طاعة أولي الأمر**)؛ أي: كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[سورة النساء، من الآية:٥٩]؛ فطاعة أولي الأمر واجبة في نص القرآن، وبأدلةٍ كثيرةٍ صحيحةٍ عن الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عليكم بالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**».

قال: (**ثُمَّ الأَئِمَّةُ فِي المَعْرُوْفِ طَاعَتُهُمْ مَفْرُوْضَةٌ**)؛ أي: فرض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طاعتهم بالمعروف، ومعنى بالمعروف؛ أي: كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنما الطاعة بالمعروف ولا طاعة لمخلُوقٍ في معصِية الخالِق**»، فولي

الأمر يُطاع إذا أمر بالمعروف، أما إذا أمر بمعصية، قال: لا تصلي، لا تصوم، لا تقرأ القرآن، أو أمر بالمعصية، أمر بفعل معصية من شرب خمرٍ أو زنا، أو غير ذلك فلا طاعة له، «**ولا طاعة لمخلُوقٍ في معصِية الخالِق**».

(**ثُمَّ الأَئِمَّةُ فِي المَعْرُوْفِ طَاعَتُهُمْ مَفْرُوْضَةٌ وَفِ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدُوا**)؛ وَفِ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدُوا أي: العهد الذي عُقد وفي عنقك بيعة له ولي الأمر وفِّ بهذا العهد، والتزم بالطاعة والسمع، والتزم بهذا العهد الذي بينك وبين ولي الأمر بأن تلتزم ذلك (**وَفِ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدُوا**).

(**وَلاَ يَجُوْزُ خُرُوْجٌ بِالسِّلاَحِ عَلَيْهِمْ مَا أَقَامُوا عَلَى السَّمْحَاءِ وَاقتَصَدُوا**)؛ لا يجوز الخروج على ولي الأمر بالسلاح، ولا يجوز رفع السيف وإشهاره على ولي الأمر.

(**مَا أَقَامُوا عَلَى السَّمْحَاءِ**)؛ أي: على الدين، (**وَاقتَصَدُوا**)؛ أي: ما داموا مقيمين على السمحاء.

(**أَمَّا إِذَا أَظْهَرُوا الْكُفْرَ الْبَوَاحَ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ كُفْرٍ حَيْثُمَا وُجِدُوا**)؛ هذا أخذه من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قالوا له أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما لم تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ**»، لم يكتف بأن قال كفر حتى أضاف إليه "بواحًا"، ولم يكتف أن قال بواحًا -أي: صراحًا- حتى قال: «**عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ**»، مما يدل على أن الأمر يحتاج إلى تثبتٍ تام، ومعرفةٍ دقيقة، وضبطٍ للأمر حتى لا يقع فساد.

قال: (**أَمَّا إِذَا أَظْهَرُوا الْكُفْرَ الْبَوَاحَ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ كُفْرٍ حَيْثُمَا وُجِدُوا**)؛ وأيضًا هذا الأمر لا بد أن يُراعى فيه قاعدة الشريعة التي هي جلب المصالح، ودرء المفاسد، فإذا رأى الناس الكفر البواح، وعلموا أن رفع السيف ما يترتب عليه إلا الشر، ما يترتب عليه إصلاح بل لا يترتب عليه إلا الشر، فمراعاةً لقاعدة الشريعة جلب المصالح ودرئ المفاسد لا يُرفع السيف ولا يقاتلون.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بابٌ: وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ثُمَّ النَّصِيْحَةُ قُلْ فَرْضٌ بِكُلِّ مَعَا ** نِيْهَا هَيَ الدِّيْنُ فَاعْلَمْ إِذْ هِيَ العَمَّدُ

للهِ وَالرُّسْلِ وَالْقُرْآنِ ثُمَّ وُلاَ ** ةِ الأَمْرِ ثُمَّ عُمُوْمِ الْمُسْلِمِيْنَ هُدُوا

وَالأَمْرُ بِالْعُرْفِ مَعْ عِلْمٍ بِهِ وَلِعَفْـ ** وٍ خُذْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَّالِ يَتَّئِدُوا

كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ وَمَوْرِدِهِ ** قَوْلٌ فَسُخْطًا إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ يَدُ

الشرح:

سنكتفي بهذا وباب الشرع وأصول الفقه إذا كان عندكم وقت غدًا نأجله، ولا نكملها الآن؟ غدًا يكون أنشط بعد الفجر إن شاء الله نكمل باب الشرع وأصول الفقه، وهذا الباب نأخذه الآن.

ما معنى قوله: (**النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ**)؛ ما معنى نكرٍ؟ أيش النكر؟

مداخلة: المنكر.

المنكر أحسنت. أثابك الله و بارك فيك و جعلك من طلاب العلم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**بابٌ وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**)؛ هنا يتحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن أمرين:

الأول: وجوب النصيحة في الدين.

والأمر الثاني: وهو من النصيحة في الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فبدأ أولًا بالنصيحة، قال: (**ثُمَّ النَّصِيْحَةُ قُلْ فَرْضٌ بِكُلِّ مَعَانِيْهَا**)؛ النصيحة في الدين فرضٌ، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، وكررها ثلاثًا.

والنصيحة: هي إرادة الخير للمنصوح قولًا وعملًا؛ بما في ذلك أعمال القلوب: السلامة من الغل والحقد وغير ذلك.

(**ثُمَّ النَّصِيْحَةُ قُلْ فَرْضٌ بِكُلِّ مَعَانِيْهَا هَيَ الدِّيْنُ**)؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، وقوله: (**بِكُلِّ مَعَانِيْهَا**)؛ يدل على أن النصيحة لها معنى جامع واسع.

قال: (**هَيَ الدِّيْنُ فَاعْلَمْ إِذْ هِيَ العَمَّدُ**)؛ وهذا مستفاد من قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، لمن هذه النصيحة بهذه المعاني العظيمة؟ قال: (**للهِ وَالرَّسْلِ وَالْقُرْآنِ ثُمَّ وُلاَةِ الأَمْرِ ثُمَّ عُمُوْمِ الْمُسْلِمِيْنَ**)؛ وهذا أخذه من حديث تميم أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

والنصيحة لله: بتوحيده وإخلاص الدين له، والبعد عن الشرك، وامتثال أمره، واجتناب نهيه سبحانه.

والنصيحة للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: بمحبته وتوقيره، واتباع شرعه، ولزوم هديه والاقتداء بسنته، والحذر من البدع والمحدثات.

والنصيحة لولاة الأمر: بالسمع والطاعة لهم بالمعروف، وألا يكون في القلب غلٌّ، أو حقدٌ، أو حسد، وألا ينزع يدًا من طاعة، وأن يناصحهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ بالطرائق الشرعية، والآداب المرعية، وأيضًا بالدعاء لهم بالتوفيق والصلاح.

والنصيحة لعامة المسلمين: بأن تحب لهم من الخير ما تحبه لنفسك، وأن تعاملهم بالمعاملة الطيبة وبالأخلاق الفاضلة، وألا يكون في القلب غلٌ ولا حقدٌ ولا حسد، وأن يكون سليم الإنسان الصدر لإخوانه المسلمين، قال: (**للهِ وَالرَّسُلِ وَالْقُرْآنِ ثُمَّ وُلاَةِ الأَمْرِ ثُمَّ عُمُوْمِ الْمُسْلِمِيْنَ هُدُوا**).

قال: (**وَالأَمْرُ بِالْعُرْفِ**)؛ أي: بالمعروف، (**مَعْ عِلْمٍ بِهِ**)؛ أي: يأمر بالمعروف بشرط العلم بأنه معروف؛ لأنه إذا لم يكن له علم قد يأمر بالمنكر ويظن أنه معروف، أو يأمر ببدعة ويظن أنها سُنَّة، (**وَالأَمْرُ بِالْعُرْفِ مَعْ عِلْمٍ بِهِ**).

قال: (**وَلِعَفْوٍ خُذْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَّالِ يَتَّئِدُوا**)؛ وهذا كلام جميل مأخوذٌ من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[سورة الأعراف، من الآية:١٩٩]، فهذا البيت وهو قوله: (**وَالأَمْرُ بِالْعُرْفِ مَعْ عِلْمٍ بِهِ وَلِعَفْوٍ خُذْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَّالِ يَتَّئِدُوا**)؛ البيت بأجمعه مأخوذ من هذه الآيات الكريمة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾؛ هذه قاعدة عظيمة في التعامل مع الناس؛ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾؛ يعني: خذ ما سمحت به أخلاق الناس وتعاملاتهم، والناس معادن، متفاوتون؛ منهم الرقيق، ومنهم الرفيق، منهم الغليظ، ومنهم السيئ، ومنهم، ومنهم، فيعود الإنسان نفسه ويوطدها، ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، يعني لا تطالب الناس وتريد في تعاملات الناس معك أن تكون كلها تعاملات في أعلى ما يكون، الناس فيهم الجاهل، وفيهم العالم، وفيهم السيء، وفيهم الطيب.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾؛ أي: أؤمر بالمعروف، عود نفسك على الأمر بالمعروف.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[سورة الأعراف، من الآية:١٩٩]؛ يعني: ألا تدخل مع الجاهل في مخاصمة ومشاكسة، أعرض عن الجاهل، تسلم من جهالته، كما قال الناظم:

وَلقدْ أمَرُ على السفيه يَسُبُّنِي ** فأَمرُ ثُمَّتَ وأقُولُ لا يَعْنِينِي

إعراض عن الجهال، وأفضل طريقة للسلامة من شر الجهال وأذاهم أن يعرض الإنسان عنهم.

وفي الإعراض عنهم فائدة، ما هي؟ قال: (**يَتَّئِدُوا**)؛ يعني: يكون إعراضك عنه سببًا لأن يتئد، لكن الجاهل إذا شاكسه الإنسان وخاصمه، سيزداد شرًا ويزداد أذى، لكن إن عرضت عنه يتئد، يتأنى في الأمر، ويبدأ يُحس أن المسألة ما هي كلها هجوم ومخاصمات ورفع صوت، يبدأ يعرف أن في شيء ثاني غير العلاج الذي هو تعود عليه بسبب جهله، يعرف أن في أساليب أخرى، هدوء، اتزان، عقل، عفو، مسامحة، هو لا يعرفها جاهل، فإذا قابل الإنسان الجاهل بالمخاصمة فهو أشد، الجاهل أشد في هذا الباب، فأفضل طريقة أن تُعرض عنه، وهذه تفيدك أنت بالسلامة من أذاه، وتفيده هو بماذا؟ أن يتئد، يبدأ يتأنى في الأمور، ويفكر بطريقة أخرى غير الطريقة التي كان يتعامل بها.

قال: (**كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ**)؛ يعني: النهي عن المنكر، أيضًا ينبغي أن يكون المؤمن على ذلك، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، (**كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ**)؛ والنهي عن المنكر لا يكون بمنكر، والأمر بالمعروف لا بد أن يكون بالمعروف؛ ولهذا قيل: "ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ولا يكن نهيك عن المنكر بالمنكر".

(**كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ وَمَوْرِدِهِ قَوْلٌ فَسُخْطًا إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ يَدُ**)؛ كأنه -والله أعلم- يشير هنا إلى مراتب التغيير، يشير إلى مراتب تغيير المنكر، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»، والقول يعني الإنكار باللسان إذا لم تستطعه اليد، إذا لم تستطعه يدٌ، يعني مورد القول إذا لم تستطع اليد؛ لأن أول مراتب التغيير للمنكر التغيير باليد، فإذا لم يستطع على ذلك على التغيير باليد يغير باللسان، فإذا لم يستطع فبالقلب، وذلك أضعف الإيمان.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

في عدد من الإخوان كتبوا بحوثًا أولًا بحوث تتعلق ليس درس الأمس وإنما الدرس الذي قبله فيما يتعلق بالملائكة، فحول عزرائيل، وذكروا الإخوة في هذه الأبحاث أنه لم يثبت حديثٌ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تسمية ملك الموت بعزرائيل.

وأيضًا كتبوا فيما يتعلق بخازن الجنة وتسميته "رضوان" أيضًا جمعوا في هذا وتوصل الإخوة أنه ما ثبت حديث، أحد الإخوة نقل عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عليه أنه قال: "وأما رضوان فموكلٌ بالجنة واسمه هذا ليس ثابتًا ثبوتًا واضحًا كثبوت مالك، لكنه مشهور عند أهل العلم بهذا الاسم"، فيذكر الشيخ أنه ليس ثابتًا

ثبوتًا واضحًا ليس هناك أحاديث، والإخوة أيضًا في جمعهم توصلوا إلى ذلك، هذه كلها بحوث بذل فيها الإخوة جهدًا يُشكرون عليه.

هذه يعني طويلة جدًا نود أن نقرأها واحدًا واحدًا لكن نعتذر؛ لأن الوقت لا يفي، لكن هذا تلخيص سريع لما قدمه الإخوة في هذه البحوث.

وهذا بحث موسع لأحد الإخوة حول رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الجنة يوم الجمعة، كتب بحثًا في هذا الموضوع في قرابة عشرين صفحة، يعني عقب لقاءنا بالأمس وحقيقة تأملته سريعًا، فوجدت أن الأخ الباحث يعني بذل جهدًا طيبًا، مما يدل على عناية طيبة عنده بالحديث وكتب أهل العلم.

فأسأل الله أن يثيبه وأن يثيب الإخوة الآخرين الباحثين على الجهود التي بذلوها وأن يثيبكم أجمعين، وأن يغفر لي ولكم وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس السادس

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد..

في لقاء الأمس (**بابٌ: وجوب النصيحة في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**)؛ ذكر الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- النصيحة وبيَّن حقيقتها ثم وضَّح لمن تكون النصيحة، قال: (**للهِ وَالرَّسُلِ وَالْقُرْآنِ ثُمَّ وُلاَةِ الأَمْرِ ثُمَّ عُمُوْمِ الْمُسْلِمِيْنَ**)؛ وهذا كما عرفنا مأخوذٌ من حديث: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، حديث تميم بن أوسٍ الداري.

تكلمت بالأمس باختصار عن معنى النصح لله وللرسول ولولاة الأمر ولعموم المسلمين، وفاتني الكلام على النصيحة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

والنصيحة للقرآن: تكون بتعظيمه واعتقاد أنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه كتاب هدايةٍ وذكرى وضياءٌ ونور، وأن فيه سعادة البشرية وفلاحهم في الدنيا والآخرة، والعناية بتلاوته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٢١]، تلاوةً لحروفه وألفاظه، وتدبرًا لمعانيه ودلالاته، وعملًا بأحكامه وأوامره ونواهيه، وتصديقًا لأخباره، واعتقاد أنه كتابٌ ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[سورة فصلت، من الآية:٤٢].

والبيت الأخير الذي مرَّ معنا بالأمس: (**كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ وَمَوْرِدِهِ قَوْلٌ فَسُخْطًا إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ يَدُ**)؛ هذا البيت بيَّن فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضل النهي عن المنكر، وأنه شعيرة من شعائر هذا الدين، (**كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ**)؛ أي: عن منكرٍ.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَوْرِدِهِ قَوْلٌ فَسُخْطًا إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ يَدُ**)؛ ذكر هنا مراتب التغيير للمنكر، وأنها ثلاث مراتب:

- التغيير باليد، وهي المرتبة الأولى.
- فإن لم يستطع فباللسان وهي المرتبة الثانية.
- فإن لم يستطع فبالقلب، وهي المرتبة الثالثة، وذلك أضعف الإيمان.

كما في الحديث: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»، وفي الحديث الآخر قال: «**فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ**

مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»، فهذه مراتب تغيير المنكر الثلاثة، وقد ذكرها -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- هنا.

فقوله: (**وَمَوْرِدِهِ قَوْلٌ**)؛ هذا التغيير باللسان، تغيير المنكر باللسان.

وقوله: (**فَسُخْطًا**)؛ هذا تغيير المنكر بالقلب، بأن يسخط هذا الأمر بقلبه ويُبغض ذلك، ويكرهه، ويكون ساخطًا لذلك، (**فَسُخْطًا**)؛ فهذا التغيير بالقلب.

(**إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ يَدُ**)؛ وهذا التغيير باليد، يعني إذا لم يستطع أن يغير المنكر باليد فيغيره بالقول، فإن لم يستطع أن يغيره لا باليد ولا بالقول يغيره بالسخط في قلبه بأن يُبغض المنكر فهذه مراتب تغيير المنكر الثلاثة التي ذكرها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قوله: «**فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

المتن:

قال المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: بابٌ: الشرع وأصول الفقه:

وَالشَّرْعُ مَا أَذِنَ اللهُ الْعَظِيْمُ بِهِ ** مِنَ الْكِتَابِ وَآثَارِ النَّبِيْ تَرِدُ
مِمَّا رَوَى الْعَدْلُ مَحْفُوْظًا وَمُتَّصِلًا ** عَنْ مِثْلِهِ صَحَّ مَرْفوعًا بِهِ السَّنَدُ
وَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَالتَّقْرِيْرُ حَيْثُ أَتَى ** عَنِ الرَّسُولِ فلتَّشْرِيْعِ يُعْتَمَدُ
إِلاَّ إِذَا جَاءَ بُرْهَانٌ يُخَصِّصُهُ ** بِالْمُصْطَفَى أَوْ بِشَخْصٍ فِيْهِ يَنْفَرِدُ
وَالأَصْلُ فِي الأَمْرِ فَاعْلَمْ لِلْوُجُوْبِ فَلاَ ** يُصَارُ لِلنَّدْبِ إِذْ لاَ صَارِفٌ يَرِدُ
وَالنَّهْيُ لِلْحَظْرِ إِذْ لاَ نَصَّ يَصْرِفُهُ ** إِلَى الكَرَاهَةِ هَذا الحَقُّ يُعْتَقَدُ
وَمُسْتَوِي الطَّرَفَيْنِ أُدْعُ الْمُبَاحَ فَلا ** يُلامُ فِي فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ أَحَدُ
وَمَا بِهِ يَنْتَفِي حُكْمٌ فَمَانِعُهُ ** وَعَكْسُهُ سَبَبٌ يَدْرِيْهِ مُجْتَهِدُ
وَالشَّرْطُ مَا رَتَّبَ الإِجْزَا وَصِحَّتُهُ ** عَلَيْهِ أَوْ نَفْيُ حُكْمٍ حِيْنَ يُفْتَقَدُ
وَنَافِذٌ وَبِهِ اعْتُدَّ الصَّحِيْحُ كَمَا ** نَقِيْضُهُ بَاطِلٌ لَيْسَتْ لَهُ عُمُدُ
ثُمَّ الْوَسِيْلَةُ تُعْطَى حُكْمَ غَايَتِهَا ** فَرْضًا وَنَدْبًا وَحَظْرًا عَنْهُ يُبْتَعَدُ
وَالرُّخْصَةُ الإِذْنُ فِي أَصْلٍ لِمَعْذِرَةٍ ** وَضِدُّهَا عَزْمَةٌ بِالأَصْلِ تَنْعَقِدُ

وَالأَصْلُ أَنَّ نُصُوْصَ الشَّرْعِ مُحْكَمَةٌ ** إِلاَّ إِذَا جَا بِنَقْلِ الأَصْلِ مُسْتَنَدُ
وَأي نَصٍّ أَتَى مِثْلٌ يُعَارِضُهُ ** وَأَمْكَنَ الْجَمْعُ فَهْوَ الْحَقُّ يُعْتَمَدُ
وَحَيْثُ لاَ وَدَرَيْتَ الآخِرَ اقْض بِهِ ** نَسْخًا لِحُكْمِ الّذي مِنْ قَبْلِهِ يَرِدُ
أَوْلاَ فَرَجِّحْ مَتَى تَبْدَو قَرَائِنُ تَرْ ** جِيْحٍ عَلَيْهَا احْتَوَى مَتْنٌ أَوِ السَّنَدُ
وَالْمُطْلَقَ احْمِلْ عَلَى فَحْوَى مُقَيِّدِهِ ** وَخُصَّ مَا عُمَّ بِالتَّخْصِيْصِ إِذْ تَجِدُ
وَالْحَظْرَ قَدِّمْ عَلَى دَاعِي إِبَاحَتِهِ ** كَذَا عَلَى النَّفْيِّ فَالإِثْبَاتُ مُعْتَضِدُ
كَذَا الصَّرِيْحُ عَلَى الْمَفْهُوْمِ فَاقْضِ بِهِ ** وَهَكَذَا فَاعْتَبِرْ إِنْ أَنْتَ مُنْتَقِدُ
وَأي فَرْعٍ أَتَتْ فِي الأَصْلِ عِلَّتُهُ ** أَوْ كَانَ أَوْلَى بِهَا فَالْحُكْمُ يَطَّرِدُ

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**بابٌ: الشرع وأصول الفقه**)؛ لـمَّا أنهى -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- الكلام على أصول الاعتقاد شرع في بيانٍ موجزٍ عن الشرع وأصول الفقه، والشرع مع أصول الفقه وهو الضوابط التي يكون بها التفقه في الدين أمور تُبنى على الاعتقاد؛ فناسب المقام بعد ذكر الاعتقاد أن يُذكر ما يُبنى عليه من الأعمال والطاعات وأنواع القربات، مبينًا ذلك بأصوله وضوابطه وقواعده التي إذا سار العبد في ضوئها سار مسارًا منضبطًا، ومشى مشيًا مؤصلًا، ولهذا ناسب المقام بعد بيان العقيدة وتقريرها، وذكر أصولها وما يتعلق بها أن يشرع في الكلام على ما يُبنى عليها وهو الشرع بأصوله وقواعده وضوابطه، فعقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا العنوان، قال: (**بابٌ الشرع وأصول الفقه**).

قال: (**وَالشَّرْعُ مَا أَذِنَ اللهُ الْعَظِيْمُ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَآثَارِ النَّبِيْ تَرِدُ**)؛ هذا هو الشرع، الشرع ما أذن الله العظيم به؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الشارع وله الحكم جَلَّ وَعَلَا، والشرع والحكم هو ما جاء عنه وعن رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- المبلغ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[سورة الشورى، من الآية:٢١]؛ فالآية تدل أن الدين الذي أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به لعباده ورضيه لهم هو الدين الذي شرعه وأمر به هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجاء عن رسوله -صلوات الله وسلامه عليه-.

وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[سورة المائدة، من الآية:٣]،

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة النور، من الآية:٦٣]،

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[سورة النساء، من الآية:٥٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾[سورة المائدة، من الآية:٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[سورة يوسف، من الآية:٤٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فإذاً الشرع الذي يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويرضاه لعباده هو ما أذن به، والمراد بالإذن هنا الإذن الشرعي؛ لأن الإذن الذي يُضاف إلى الله تارةً يُراد به الإذن الشرعي؛ في مثل قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[سورة الشورى، من الآية:٢١]؛ أي: ما لم يشرعه، ما لم يأذن به شرعاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويأتي الإذن ويُراد به الإذن الكوني القدري؛ أي: ما أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بوقوعه كونًا وقدرًا، والمراد بالإذن هنا الإذن الشرعي، (**وَالشَّرْعُ مَا أَذِنَ اللهُ الْعَظِيْمُ بِهِ**)؛ أي: ما أذن شرعًا به لعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورضيه لهم دينًا.

(**مِنَ الْكِتَابِ**)؛ أي: القرآن الكريم، (**وَآثَارِ النَّبِيْ تَرِدُ**)؛ أي: والأحاديث الواردة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالدين الذي شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأذن لعباده به هو الدين الذي اشتمل عليه الكتاب العزيز، وسُنَّة النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والسُّنَّة وحيٌ وتشريعٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[سورة الحشر، من الآية:٧]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**تركتُ فِيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا كِتَابَ الله، وسُنَّتي**».

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَآثَارِ النَّبِيْ تَرِدُ**)؛ لا بد في هذا من ثبوته بالأسانيد الصحيحة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس كل ما يُروى ويُنسب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقبل؛ لأنه يُنسب إليه الموضوعات والمكذوبات، ويُنسب إليه الواهيات والأحاديث المعلولات، وينسب إليه ما قد جاء بالأسانيد الضعيفة، فليس كل ما يُنسب إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعتمد إلا إذا جاء بالأسانيد الصحيحة؛ ولهذا عدَّ السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى الإسنادَ من الدين، فلا يؤخذ الدين إلا بالأسانيد الصحيحة الثابتة عن الثقات الأثبات متصلًا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا شذوذٍ ولا علة.

ولهذا قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (**مِمَّا رَوَى الْعَدْلُ مَحْفُوْظًا وَمُتَّصِلًا عَنْ مِثْلِهِ صَحَّ مَرْفوعًا بِهِ السَّنَدُ**)؛ أي أن الذي يرد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقبل إذا كان بهذه الصفة، (**مِمَّا رَوَى الْعَدْلُ**)؛ أي: مما روى الحفاظ الثقات العدول.

(**مَحْفُوْظًا**)؛ وضد المحفوظ الشاذ؛ أي: ليس به شذوذ، (**مَحْفُوْظًا وَمُتَّصِلًا**)؛ أي: متصل الإسناد ليس فيه انقطاع يرويه العدل الضابط عن مثله وعن مثله إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(**عَنْ مِثْلِهِ صَحَّ مَرْفوعًا بِهِ السَّنَدُ**)؛ صح مرفوعاً إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، به السند ؛ أي: جاء بالسند المتصل مرفوعاً إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهذا هو الذي يُقبل، وكذلك ما كان دون ذلك من الصحيح لغيره، أو الحسن لذاته، أو الحسن لغيره مما اعتمده أهل العلم وبُين في كتب الاصطلاح.

قال: (**وَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَالتَّقْرِيْرُ حَيْثُ أَتَى عَنِ الرَّسُولِ فلتَّشْرِيْعِ يُعْتَمَدُ**)؛ يُبيِّن هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سُنَّة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي كل ما صح وثبت عنه من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير؛ فهذا كله سُنَّة، ما قاله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما فعله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أقره، ما أقر فاعله، فهذا كله سُنَّة، سُنَّةٌ قولية، وسُنَّةٌ فعلية، وسُنَّةٌ تقريرية، فكل ما صح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ فهو سُنَّة.

وكل ذالكم بهذه الأقسام الثلاثة للتشريع يعتمد، أي: كل ما صح من ذلك يعتمد بالتشريع، تشريع للأمة، أقواله تشريع، أفعاله تشريع، تقريراته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تشريع؛ لأنه رسول لرب العالمين، منه يُؤخذ الشرع، ومنه يُتلقى الدين، وهو أسوةٌ للعالمين، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:٢١]؛ فإذًا كل ما جاء عنهم من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير فالأصل فيه أنه للتشريع هذا الأصل.

ولا يُعدل عن هذا الأصل في شيءٍ من ذلك (**إِلاَّ إِذَا جَاءَ بُرْهَانٌ يُخَصِّصُهُ**)؛ كما في البيت الذي يليه، (**إِلاَّ إِذَا جَاءَ بُرْهَانٌ يُخَصِّصُهُ**)؛ أي: إذا جاء برهان ثابت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُخصص ذلك؛ فإنه يُصار إليه.

(**إِلاَّ إِذَا جَاءَ بُرْهَانٌ يُخَصِّصُهُ بِالْمُصْطَفَى أَوْ بِشَخْصٍ فِيْهِ يَنْفَرِدُ**)؛ فإذاً لا يكون في مثل هذه الحالة للتشريع العام وإنما يكون خاصاً:

- إما بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا كان جاء شيءٌ يدل على التخصيص تخصيصه به.
- أو أيضًا بأحدٍ من الأمة –من صحابته–، إذا كان جاء في النص ما يدل على التخصيص.

مثال ذلك: في شأنه هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قصة الواهبة، وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خبرها في القرآن ونص على الخصوصية له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذا الحكم، قال: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:٥٠]؛ إذًا يكون هذا الحكم ليس تشريعاً عامًا، وإنما هو خاصٌ به –صلوات الله وسلامه عليه–.

وأيضاً يفيد التخصيص، واعتباره قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:٣٧]، هذا التعليل يُفيد أنه لو كان حكم الخطاب يختص به لم يصح التعليل، لو كان حكم الخطاب يختص به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يصح التعليل.

فإذًا إذا جاء ما يفيد الخصوصية فيكون الحكم ليس للتشريع العام، وإنما هو حكمٌ خاصٌ بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا إذا خُصَّ الحكم بفرد من الأمة؛ فيكون ذاك الحكم ليس تشريعاً عاماً وإنما يكون للأمة، وإنما يكون لمن خُصَّ به، لا يكون تشريعًا عامًا وإنما يكون لمن خُصَّ به.

ومثال ذلك: قصة الصحابي الذي ذبح شاته يوم النحر قبل الصلاة، فأمره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يذبح شاةً أخرى بدلها؛ لأن الشاة التي تُذبح يوم النحر قبل الصلاة تكون شاة لحمٍ لا تكون مجزئة، لا في الهدي ولا في الأضحية، فتكون شاة لحمٍ، فأمره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يذبح بدلها، فذكر أنه لا يجد إلا عناقاً، والعناق لا تجزئ، فأذن له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقال: «**ولا تَجْزِي جَذَعة بَعْدَكَ**»؛ إذًا هذا أفاد أن هذا الذي أذن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به لهذا الرجل خاص ليس تشريعاً للأمة، وإنما هو خاصٌ به.

ولهذا أحيانًا الصحابة مما يدل اعتبار هذا الأمر، الصحابة أحياناً في قضايا معينة يسألون، هل هي خاصة أم لا؟ مثل قصة الرجل الذي قبَّل المرأة وجاء نادماً تائباً، فلما عرض أمره للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلم يكلمه بشيء ثم ذهب الرجل، وأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[سورة هود، من الآية:١١٤]، دعاه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتلا عليه الآية الكريمة؛ فقال الرجل: أهي لي خاصة، أم للأمة عامة؟ قال: «**بل للأمة**»؛ فإذًا اعتبار التخصيص أمرٌ معتبر؛ سواءً إذا كان الحكم خُصَّ بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو خُصَّ بفردٍ من أفراد الأمة.

إذاً يبقى الأصل في الأحكام أنها للتشريع العام في السُّنَّة القولية، والسُّنَّة الفعلية، والسُّنَّة التقريرية الأصل هو التشريع العام، إلا إذا جاء برهانٌ على الخصوصية فيصار إليه، فيعتبر بهذا البرهان خاصًا، ولا يعتبر تشريعاً عاماً.

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**وَالأَصْلُ فِي الأَمْرِ فَاعْلَمْ لِلْوُجُوْبِ**)؛ الأصل في الأمر الوجوب، ليس الأصل فيه الإباحة، أو الندب، أو نحو ذلك، الأصل في الأمر الوجوب هذا الأصل في الأوامر، الأصل في كل أمرٍ يرد في الكتاب والسُّنَّة أنه واجب ومتحتم، ولا يُعدل عن هذا الأصل إلا بالقرائن التي تدل على ذلك وإلا يبقى الأمر على الأصل وهو الوجوب.

وقد دلت دلائل كثيرة في القرآن والسُّنَّة على أن الأصل في الأمر الوجوب، مثل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[سورة طه، من الآية:٩٣]، ومثل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾[سورة النور، من الآية:٦٣]، ومثل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:٣٦]، ومثل قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[سورة الأعراف، من الآية:١٢]، ونحو هذه الأدلة التي هي واضحة الدلالة على أن الأصل في الأمر الوجوب هذا هو الأصل.

قال: (**وَالأَصْلُ فِي الأَمْرِ فَاعْلَمْ لِلْوُجُوْبِ فَلاَ يُصَارُ لِلنَّدْبِ إِذْ لاَ صَارِفٌ يَرِدُ**)؛ يعني: لا يجوز أن تصرف الأمر للندب دون وجود صارفٍ يصرفه من الوجوب إلى الندب، بل الواجب أن يبقى الأمر على أصله إلا إذا وُجد الصارف.

والصارف للأمر عن الوجوب قد يكون صارفًا له إلى الندب، قد يكون صارفًا له إلى الإباحة، وقد يكون صارفًا له إلى أمورٍ أخرى عديدة؛ فيكون ذكر الناظم للندب هنا على سبيل التمثيل مما يُصرف إليه الأمر حال وجود القرائن.

(**فَلاَ يُصَارُ لِلنَّدْبِ إِذْ لاَ صَارِفٌ يَرِدُ**)؛ معنى ذلك أنه إذا جاء صارفٌ للأمر إلى الندب، أو إلى الإباحة، أو غير ذلك؛ فإنه يصار إليه، مثلًا قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾[سورة النور، من الآية:٣٣]، الأمر في قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾[سورة النور، من الآية:٣٣]، ليس للوجوب، وإنما هو للندب، يعني: إذا كان عند الإنسان ملك يمين، ورغب هذا الرقيق أن يكاتبه سيدُه -يعني على مالٍ يسعى في تحصيله على مدةٍ معينة-؛ فالله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[سورة النور، من الآية:٣٣]، فقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾[سورة النور، من الآية:٣٣]،ليس للوجوب، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾[سورة المائدة، من الآية:٤]؛ أي: مما أمسك عليكم كلب الصيد، قال: ﴿فَكُلُوا۟﴾[سورة المائدة، من الآية:٤]، ليس هذا الأمر للوجوب، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾[سورة المائدة، من الآية:٢]،قوله: ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾[سورة المائدة، من الآية:٢]،الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب.

إذًا الأصل في الأوامر في الكتاب والسُّنَّة أنها للوجوب إلا إذا وجد البرهان أو القرائن التي تدل على صرفه من ذلك إما إلى الندب أو الإباحة أو غير ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالنَّهْيُ لِلْحَظْرِ إِذْ لاَ نَصَّ يَصْرِفُهُ**)؛ يعني: الأصل في النهي للمنع والحظر، هذا هو الأصل في النهي، فكل نهيٍ يرد في الكتاب أو السُّنَّة فالأصل فيه أنه للحظر.

(**إِذْ لاَ نَصَّ يَصْرِفُهُ إِلَى الكَرَاهَةِ**)؛ يعني: إذا كان لا يوجد نصٌ يصرفه إلى الكراهة فالأصل أنه للمنع وللحظر.

(**وَالنَّهْيُ لِلْحَظْرِ إِذْ لاَ نَصَّ يَصْرِفُهُ إِلَى الكَرَاهَةِ هَذا الحَقُّ يُعْتَقَدُ**)؛ يعني: هذا الحق الذي يجب أن نعتقده في هذا الباب أن النهي للحظر إذا لم يكن يوجد نصٌ يصرفه إلى الكراهة.

(**وَمُسْتَوِي الطَّرَفَيْنِ أُدْعُ الْمُبَاحَ**)؛ هنا يذكر المباح الذي هو ليس بواجب، ولا مستحب، ولا محرم، ولا مكروه، وإنما مباح، ما هو المباح؟ عرفه بقوله: (**مُسْتَوِي الطَّرَفَيْنِ**)؛ ما معنى مستوي الطرفين؟ أي: لا يُلام في فعله ولا يُلام في تركه، لا يلام في فعله، مثل ما بين قال: (**فَلا يُلامُ فِي فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ أَحَدُ**)؛ فمستوي الطرفين الذي إن فعله الإنسان لا يُلام وإن تركه الإنسان لا يُلام، (**فَلا يُلامُ فِي فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ**).

ثم قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

وَمَا بِهِ يَنْتَفِي حُكْمٌ فَمَانِعُهُ ** وَعَكْسُهُ سَبَبٌ يَدْرِيْهِ مُجْتَهِدُ

وَالشَّرْطُ مَا رَتَّبَ الإِجْزَا وَصِحَّتُهُ ** عَلَيْهِ أَوْ نَفْيُ حُكْمٍ حِيْنَ يُفْتَقَدُ

هنا يذكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في هذين البيتين ثلاثة أمور تتعلق بالحكم الشرعي، وهي السبب والشرط والمانع:

- ذكر المانع في الشطر الأول من البيت الأول.

- وذكر السبب في الشطر الثاني من البيت.

- وذكر الشرط في البيت الثاني.

فهذه أمور ثلاثة تتعلق بالحكم الشرعي، الحكم الشرعي لا بد في وجوده من توفر هذه الأمور الثلاثة -السبب، والمانع، والشرط-.

قالوا في تعريف السبب: ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم لذاته.

وقالوا في تعريف الشرط: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجودٌ ولا عدمٌ لذاته.

وقالوا في تعريف المانع: ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجودٌ ولا عدمٌ لذاته.

هذه الأمور الثلاثة -السبب والشرط والمانع- كلها تتعلق بالحكم الشرعي بحيث أنه لا بد من توفرها، فإذا تخلف شيءٌ منها انتفى الحكم، ويتضح ذلك بالمثال:

مثلًا وجوب الزكاة، متى تكون الزكاة واجبةٌ على العبد؟ لا بد هنا من وجود السبب والشرط وانتفاء المانع، لا بد من هذه الأمور الثلاثة، فوجوب الزكاة سببه ملك النصاب، فإذا لم يوجد السبب هل يوجد الحكم -الذي

هو وجوب الزكاة-؟ إذاً وجوب الحكم لا بد فيه من السبب وهو وجود النصاب، فإذا لم يكن عند العبد نصابٌ زكوي فإن الزكاة لا تجب عليه؛ لأن سبب وجوبها ليس موجودًا فيه.

وشرط الزكاة حَوَلان الحول، شرطها حولان الحول، فإذا انتفى الشرط الذي هو حولان الحول لم تجب، لا تكون الزكاة واجبة؛ لأن من شرط وجوبها أن يحول الحول، فإذا وجد السبب وهو النصاب، وانتفى الشرط الذي هو حولان الحول لا تكون الزكاة واجبة.

إذاً وجوب حكم الزكاة لا بد فيه من وجود السبب ولا بد فيه من وجود الشرط، ولا بد أيضًا من انتفاء المانع، فمثلًا: إذا وجد السبب، ووجد الشرط لكن كان هناك مانع -وهو الدَّيْن- على قول من قال بأن الدَّيْن مانع من الوجوب، ومانع من وجوب الزكاة، فإذا كان على الإنسان ديْن يعني وجد سبب الزكاة، وهو النصاب، ووجد شرط الزكاة وهو حولان الحول، ولكن عليه ديْن، محمل بالديون فينتفي الحكم هنا.

إذًا الحكم الشرعي لا بد لوجوده من سببٍ وشرطٍ ومانع، لا بد من هذه الأمور الثلاثة، في المثال: فإذا وجد النصاب والحول وانتفى الدين وجبت الزكاة حينئذٍ؛ فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيَّن هذه الأمور الثلاثة في البيتين:

قال: (**وَمَا بِهِ يَنْتَفِي حُكْمٌ فَمَانِعُهُ**)؛ ما معنى (**وَمَا بِهِ يَنْتَفِي حُكْمٌ فَمَانِعُهُ**)؟ أي: أن الحكم ينتفي لوجود المانع، (**وَمَا بِهِ يَنْتَفِي حُكْمٌ فَمَانِعُهُ**)؛ أي: يسمى المانع الذي يمنع وجوب الحكم إذا وجد، مثل ما مثلنا الدَّيْن، الديْن مانع، فإذا وُجد الدَّيْن مع وجود النصاب وحولان الحول ينتفي الحكم.

(**وَمَا بِهِ يَنْتَفِي حُكْمٌ فَمَانِعُهُ وَعَكْسُهُ سَبَبٌ يَدْرِيْهِ مُجْتَهِدُ**)؛ عكس المانع السبب، ذاك يمنع الحكم، والسبب يكون سببًا في الحكم (**وَعَكْسُهُ سَبَبٌ يَدْرِيْهِ مُجْتَهِدُ**).

(**وَالشَّرْطُ**)؛ والأمر الثالث من الأمور الثلاثة التي لا بد منها في وجود الحكم، (**وَالشَّرْطُ مَا رَتَّبَ الإِجْزَا وَصِحَّتُهُ عَلَيْهِ**)؛ فإذاً هذه أمور ثلاثة: السبب، والشرط، والمانع، وعرَّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- كلًا منها بتعريفٍ مختصر يناسب مع هذه المنظومة المختصرة.

ثم قال: (**وَنَافِذٌ وَبِهِ اعْتُدَّ الصَّحِيْحُ**)؛ هنا يُعرِّف الصحيح -وهو ضد الباطل-، ما هو الصحيح؟ الصحيح: هو النافذ وما به اعتد.

قالوا في تعريف الصحيح: ما يتعلق به اعتدادٌ في العبادات، ونفوذٌ في المعاملات، ما كان بهذه الصفة في العبادات أو المعاملات يُقال عنه صحيح، عندما يقال في كتب الأحكام: هذه عبادةٌ صحيحة، وفي كتاب المعاملات عندما يُقال: هذه معاملةٌ صحيحة، معنى صحيحة في العبادات؛ أي: معتدٌ بها.

ومعنى صحيحة في المعاملات: أي: نافذة.

(**وَنَافِذٌ وَبِهِ اعْتُدَّ الصَّحِيْحُ**)؛ نافذٌ أي: في المعاملات، (**وَبِهِ اعْتُدَّ**)؛ أي: في العبادات (**الصَّحِيْحُ**)؛ هذا تعريف الصحيح، الصحيح هو النافذ الذي يعتد به، النافذ في باب المعاملات والذي يعتد به في باب العبادات، فهذا تعريف الصحيح.

مثال ذلك في باب العبادات: أداء الصلاة، إذا صلى الإنسان الصلاةَ في وقتها وبشروطها، وبأركانها إلى آخره، يُقال عن هذه الصلاة صحيحة.

أيضًا في باب المعاملات: إذا كانت المعاملة من بيعٍ أو نحوه بالشروط المعتبرة شرعـًا، يُقال عنها معاملة صحيحة؛ أي: نافذة، فهذا تعريف الصحيح، قال: (**وَنَافِذٌ وَبِهِ اعْتُدَّ الصَّحِيْحُ**).

(**كَمَا نَقِيْضُهُ بَاطِلٌ لَيْسَتْ لَهُ عُمُدُ**)؛ نقيض الصحيح الباطل، وأيضـًا يُقال له: الفاسد، ما هو؟ يعني: لو قيل ما تعريف الباطل؟ أو ما تعريف الفاسد؟ قل: ما لا اعتداد به في العبادات، ولا نفوذ له في المعاملات، مثلًا: رجل صلى قبل الوقت، يقول الفقهاء: عبادته باطلة، أو يقولون عبادته فاسدة؛ معنى ذلك أنه لا يعتد بها، كأنه لم يصلي، أو صلى بدون وضوء، صلاته باطلة أو فاسدة؛ لأنه لا يُعتد بها، كذلك في باب المعاملات إذا اختلت الشروط الواجبة فإن المعاملة تكون باطلة وتكون فاسدة؛ أي: لا تكون نافذة.

ثم قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: (**ثُمَّ الْوَسِيْلَةُ تُعْطَى حُكْمَ غَايتِهَا فَرْضًا وَنَدْبًا وَحَظْرًا عَنْهُ يُبْتَعَدُ**)؛ الوسيلة لها حكم الغاية، قوله: (**ثُمَّ الْوَسِيْلَةُ تُعْطَى حُكْمَ غَايتِهَا**)؛ أي أن الوسيلة لها حكم الغاية، تُعطى الوسيلة حكم الغاية، فإذا كانت الغاية واجبة فالوسيلة واجبة، وإذا كانت الغاية مستحبة فالوسيلة مستحبة، وإذا كانت الغاية محرمة فالوسيلة التي توصل إليها أيضـًا محرمة، فالوسائل لها أحكام المقاصد، والوسائل لها أحكام غاياتها.

فمثلًا: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، أعطينا الوسيلة حكم الغاية، ما لا يتم الواجب به فهو واجب أعطينا الوسيلة حكم الغاية، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات تابعةٌ لها، الطريق الذي يؤدي إلى الحرام حرام، والطريق الذي يؤدي إلى المكروه مكروه، ووسيلة المباح مباح، الأمر المباح وسيلته مباحة، وسيلته المباحة مباحة؛ فإذًا الوسائل لها أحكام الغايات.

(**ثُمَّ الْوَسِيْلَةُ تُعْطَى حُكْمَ غَايتِهَا فَرْضًا وَنَدْبًا وَحَظْرًا عَنْهُ يُبْتَعَدُ**)؛ ما معنى قوله: (**فَرْضًا وَنَدْبًا وَحَظْرًا**)؟ أي: أن في كلٍ من هذه الوسيلة لها حكم الغاية، في الفرض، وسيلة الفرض فرضٌ، وفي الندب وسيلة الندب ندبٌ، وفي الحظر وسيلة الحظر محظورٌ منها وممنوعة.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالرُّخْصَةُ الإِذْنُ فِي أَصْلٍ لِمَعْذِرَةٍ وَضِدُّهَا عَزْمَةٌ بِالأَصْلِ تَنْعَقِدُ**)؛ هنا في هذا البيت يُبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ما يتعلق بالرخص والعزائم، ما هي العزيمة، وما هي الرخصة؟ عرَّف كلا منهما باختصار في هذا البيت.

قال أهل العلم في تعريف العزيمة: الحكم الثابت بدليلٍ شرعيٍ خالٍ من معارضٍ راجح؛ كوجوب الصلاة، وتحريم الزنا، الحكم في وجوب الصلاة عزيمة، الحكم في تحريم الزنا عزيمة، يعني: طُلب منا هذا الأمر على وجه الإيجاب والإلزام فهو عزيمة ليس رخصة لنا أن نفعل وإنما هو عزيمة، فالعزيمة الحكم الثابت بدليلٍ شرعيٍ خالٍ من معارضٍ راجح؛ كوجوب الصلاة وتحريم الزنا.

والرخصة ما ثبت على خلاف دليلٍ شرعيٍ لمعارضٍ راجح، يعني الآن الصلاة من شرطها الطهارة، لكن إذا عُدم الماء يتيمم، أو إذا كان الإنسان مريضاً لا يستطيع أن يتوضأ رُخص له في التيمم؛ فالتيمم في حق المريض رخصة.

فإذًا والرخصة ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارضٍ راجح؛ كتيمم المريض مع وجود الماء، وأكل الميتة عند الاضطرار، أكل الميتة محرم، والحكم في تحريم أكل الميتة عزيمة، لكن يُعدل عن هذا الحكم فيكون رخصةً إذا وُجد معارض راجح، مثل حالة من شارف على الهلاك والموت فإنه يرخص له حينئذٍ في الأكل من الميتة.

قال: (**وَالرُّخْصَةُ الإِذْنُ فِي أَصْلٍ لِمَعْذِرَةٍ وَضِدُّهَا عَزْمَةٌ بِالأَصْلِ تَنْعَقِدُ**)؛ الرخصة ما هي؟ الإذن في أصل، الأصل في الأمر أنه للعزيمة في التحريم، أو النهي أنه للتحريم عزيمةً، فيُعدل عن ذلك الأصل لمعذرة.

(**وَضِدُّهَا**)؛ أي: ضد الرخصة (**عَزْمَةٌ بِالأَصْلِ تَنْعَقِدُ**).

ثم قال: (**وَالأَصْلُ أَنَّ نُصُوْصَ الشَّرْعِ مُحْكَمَةٌ إِلاَّ إِذَا جَاء بِنَقْلِ الأَصْلِ مُسْتَنَدُ**)؛ الأصل في النص؛ النص الشرعي أنه محكم، وقالوا في تعريف المحكم: ما استقل بنفسه في الدلالة على معناه من غير اشتباه، ويقابله المشتبه وهو ما لم يتضح معناه إما لاشتراكٍ، أو إجمالٍ أو نحو ذلك.

وكما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأصل في النص الشرعي أنه محكم، ولا يُنقل عن ذلك إلا إذا وُجد مستند؛ يعني الأصل فيه أنه محكم مثلًا غير منسوخ، هذا الأصل، لا يُنقل عن هذا إلا إذا وجد مستند، يعني: وجد الناسخ الصحيح الذي يدل على نسخ هذا الحكم؛ فيُنقل من الإحكام لوجود المستند.

(**وَأي نَصٍّ أَتَى مِثْلٌ يُعَارِضُهُ وَأَمْكَنَ الْجَمْعُ فَهْوَ الْحَقُّ يُعْتَمَدُ**)؛ يعني: إذا تعارض نصان فيما يظهر للمجتهد والمتأمل في النصين؛ إذا تعارض نصان، أتى نص وأتى مثله يعارضه، فماذا نصنع؟ وهذه مسألة الجمع والترجيح بين الأدلة، ماذا نصنع؟

يقول: (**وَأي نَصٍّ أَتَى مِثْلٌ يُعَارِضُهُ وَأَمْكَنَ الْجَمْعُ فَهْوَ الْحَقُّ**)؛ إذا أمكن الجمع بين النصين فهو الحق يعني: لا يُصار إلى الترجيح مع إمكان الجمع، فأول ما يبدئ بالجمع إن أمكن.

(**وَحَيْثُ لاَ**)؛ أي: حيث لا يمكن الجمع بين النصين، يعني: لم يتأت الجمع بينهما، ماذا نفعل؟ يُصار إلى الترجيح؛ إذًا إذا تعارض نصان أول ما يُبدئ به الجمع، يسعى المجتهد إلى الجمع بين النصين ما أمكن ذلك.

وإذا لم يمكن (**وَحَيْثُ لاَ**)؛ ماذا يُصنع؟ قال: (**وَدَرَيْتَ الآخِرَ اقْض بِهِ نَسْخًا لِحُكْمِ الّذي مِنْ قَبْلِهِ يَرِدُ**)؛ يعني إذا تعارض نصان أحدهما مثبت والآخر نافي، والجمع غير ممكن، ولجأنا إلى الترجيح، ننظر للآخر منهما، المتأخر؛ يعني: ننظر في التاريخ، المتأخر منهما، فنقضي بالمتأخر ناسخًا للمتقدم، (**وَحَيْثُ لاَ وَدَرَيْتَ الآخِرَ اقْض بِهِ نَسْخًا لِحُكْمِ الّذي مِنْ قَبْلِهِ يَرِدُ**)؛ أي: تقضي به ناسخًا لحكم الحديث المتقدم، يعني تقضي بالآخر ناسخًا للحكم الذي ورد في الحديث المتقدم.

(**أَوْلاَ**)؛ يعني: لم يتبين لك الآخِر لتقضي به ناسخًا للمتقدم.

(**أَوْلاَ فَرَجِّحْ مَتَى تَبْدَو قَرَائِنُ تَرْجِيْحٍ عَلَيْهَا احْتَوَى مَتْنٌ أَوِ السَّنَدُ**)؛ إذًا هذه ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: الجمع.

المرتبة الثانية: النسخ أحد النصين عن الآخر بالقضاء به عليه بأن يكون ناسخًا له، أو الأمر الثاني –عفوًا– النسخ.

المرتبة الثالثة: الترجيح، يعني اختيار أحد النصين أو الحكمين راجحًا والآخر مرجوحًا بالنظر إلى القرائن.

اولاً: الجمع.

ثانيًا: النسخ إذا علم التاريخ.

ثالثًا: الترجيح.

(**أَوْلاَ فَرَجِّحْ مَتَى تَبْدَو قَرَائِنُ تَرْجِيْحٍ عَلَيْهَا احْتَوَى مَتْنٌ أَوِ السَّنَدُ**)؛ يعني: انظر إلى القرائن التي من خلالها تستفيد ترجيح أحد النصين على الآخر من خلال النظر إلى المتن، ومن خلال النظر إلى السند.

ثم قال: (**وَالْمُطْلَقَ احْمِلْ عَلَى فَحْوَى مُقَيِّدِهِ**)؛ المطلق قالوا في تعريفه: هو اللفظ المتناول لواحدٍ لا بعينه باعتبار حقيقةٍ شاملةٍ لجنسه.

والمقيد: هو المتناول لمعينٍ، أو لغير معين موصوفٍ بأمرٍ زائدٍ على الحقيقة الشاملة لجنسه، مثال: قوله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[سورة النساء، من الآية:٩٢]، إلى قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[سورة النساء، من الآية:٩٢]، رقبة مطلق؛ لأن قوله: ﴿رَقَبَةٍ﴾[سورة النساء، من الآية:٩٢]، متناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه، أي رقبة، لكن قيده بقوله: ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾[سورة النساء، من الآية:٩٢]؛ أي: قيَّد الرقبة بالإيمان؛ فإذاً المطلق يُحمل على مقيده إذا وُجد المقيد وإلا يبقى على الإطلاق، وهذا معنى قوله: (**وَالْمُطْلَقَ احْمِلْ عَلَى فَحْوَى مُقَيِّدِهِ**).

(**وَخُصَّ مَا عُمَّ بِالتَّخْصِيْصِ إِذْ تَجِدُ**)؛ وهنا يتكلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- على الخاص والعام.

العام: هو اللفظ المستغرق لما يصلح له دفعةً بوضعٍ واحدٍ من غير تخصيص، اللفظ المستغرق لما يصلح له دفعةً بوضعٍ واحدٍ من غير حصرٍ، وللعموم ألفاظ مثل: "كل"، و"جميع"، ونحو ذلك من الصيغ والألفاظ التي يُعرف بها العموم.

والخاص: ضد العام، كل لفظٍ وُضع لمعنى معلوم على الانفراد.

والتخصيص: قصر العام على بعض أفراده بدليلٍ يدل على ذلك، والناظم هنا يقول: (**وَخُصَّ مَا عُمَّ**)؛ أي: خُص النص العام، (**بِالتَّخْصِيْصِ إِذْ تَجِدُ**)؛ يعني: إذ تجد ما يدل على التخصيص.

ثم قال: (**وَالْحَظْرَ قَدِّمْ عَلَى دَاعِي إِبَاحَتِهِ كَذَا عَلَى النَّفْيِّ فَالإِثْبَاتُ مُعْتَضِدُ**)؛ أي أن الحظر مقدم على الإباحة من باب الاحتياط، وكذلك المثبت مقدمٌ على النافي، (**وَالْحَظْرَ قَدِّمْ عَلَى دَاعِي إِبَاحَتِهِ كَذَا عَلَى النَّفْيِّ فَالإِثْبَاتُ مُعْتَضِدُ**).

قال: (**كَذَا الصَّرِيْحُ عَلَى الْمَفْهُوْمِ فَاقْضِ بِهِ وَهَكَذَا فَاعْتَبِرْ إِنْ أَنْتَ مُنْتَقِدُ**)؛ هنا يتكلم على صريح النص ومفهوم النص؛ يقول: (**كَذَا الصَّرِيْحُ عَلَى الْمَفْهُوْمِ فَاقْضِ بِهِ**)؛ يعني: اقض بالصريح على المفهوم، إذا كان النص صريحًا في المسألة أو في الباب فاقض به على المفهوم؛ أي: أن الحكم بالصريح أولى من الحكم بالمفهوم، الحكم بصريح النص أولى من الحكم بمفهوم النص، الحكم الذي دل عليه النص كانت دلالة النص عليه تصريحًا، أولى بالتقديم من الحكم الذي دل عليه مفهومًا، يعني ما كان صريح النص يُقدم على ما كان مفهوم النص.

قال: (**وَأي فَرْعٍ أَتَتْ فِي الأَصْلِ عِلَّتُهُ أَوْ كَانَ أَوْلَى بِهَا فَالْحُكْمُ يَطَّرِدُ**)؛ وهنا يُبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العلة تدور مع المعلول وجودًا وعدمًا؛ (**وَأي فَرْعٍ أَتَتْ فِي الأَصْلِ عِلَّتُهُ أَوْ كَانَ أَوْلَى بِهَا فَالْحُكْمُ يَطَّرِدُ**)؛ أي: الحكم يطرد ما دامت العلة علةُ الحكم موجودة فالحكم يطرد وجودًا وعدمًا.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلاَ تُقَدِّمْ أَقَاوِيْلَ الرِّجَالِ عَلى ** نَصِّ الشَّرِيْعَةِ كَالْغَالِيْنَ إِذْ جَحَدُوا
وَلاَ تُقَلِّدْ وَكُنْ فِي الْحَقِّ مُتَّبِعًا ** إِنَّ اتِّبَاعَكَ فَلْتَعْلَمْ هُوَ الرَّشَدُ
إِذِ الأئمَّةُ بِالتَّقْلِيْدِ مَا أَذِنُوا ** لَكِنْ رِدِ الْمَوْرِدَ الْعَذْبَ الّذي وَرَدُوا
وَلْتَسْتَعِنْ بِفُهُوْمِ الْقَوْمِ إِنَّ لَهُمْ ** بَصَائرًا كَمْ بِهَا يَنْحَلُّ مُنْعَقِدُ
وَأَعْلَمُ الأُمَّةِ الصَّحْبُ الأُلى حَضَرُوا ** مَوَاقِعَ الشَّرْعِ وَالتّنْزِيْلَ قَدْ شَهِدُوا
أَدْرَى الأَنَامِ بِتَفْسِيْرِ الْكِتَابِ وَأَفْـ ** ـعَالِ الرَّسُوْلِ وأَقْوَالٍ لَهُ تَرِدُ
إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ قَطْعًا وَخُلْفُهُمُو ** لَمْ يَعْدُهُ الْحَقُّ فَلْيَعْلَمْهُ مُجْتَهِدُ
أُرْدُدْ أَقَاوِيْلَهُمْ نَحْوَ النُّصُوْصِ فَمَا ** يُوَافِقُ النَّصَّ فَهْوَ الْحَقُّ مُعْتَضَدُ
مَالَمْ تَجِدْ فِيْهِ نَصًّا قَدِّمِ الْخُلَفَا ** إِذْ هُمْ بِنَصِّ رَسُوْلِ اللهِ قَدْ رَشَدُوا
فَالتَّابِعُوْنَ بِإِحْسَانٍ فَتَابِعُهُمْ ** مِنَ الأَئمَّةِ لِلْحَقِّ الْمُبِيْنِ هُدُوا
كَالسَّبْعَةِ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ الذيْنَ يَرَى ** إِجْمَاعَهُمْ مَالِكٌ كَالنَّصِّ يُعْتَمَدُ
وَابنِ الْمُبَارَكِ وَالْبَصْرِيْ هُوَ الْحَسَنُ الْـ ** مَرْضِيُّ حَقًّا وَحَمَّادًا هُمُوا حُمِدُوا
كَذَاكَ سُفْيَانُ مَعْ سُفْيَانَ ثُمَّ فَتَى الْـ ** أَوْزَاعِ فَاعْلَمْ وَمِنْ أَقْرَانِهِمْ عَدَدُ
ثُمَّ الأَئمَّةُ نُعْمَانٌ وَمَالِكُهُمْ ** وَالشَّافعيْ أَحْمَدُ فِي دِيْنِنَا عُمُدُ
وَغَيْرُهُمْ مِنْ أُولي الفتْوَى الذينَ لَهُمْ ** بَصَائِرٌ بِضِيَاءِ الْوَحْيِّ تَتَّقِدُ
أُولئِكَ الْقَوْمُ يَحْيَى الْقَلْبُ إِنْ ذُكِرُوا ** وَيُذْكرُ اللهُ إِنْ ذِكْرَاهُمُو تَرِدُ
أَئمَّةُ النَّقْلِ وَالتَّفْسِيْرِ لَيْسَ لَهُمْ ** سِوَى الْكِتَابِ وَنَصِّ الْمُصْطَفَى سَنَدُ
أَحْبَارُ مِلَّتِهِ أَنْصَارُ سُنَّتِهِ ** لاَ يَعْدُلُوْنَ بِهَا مَا قَالَهُ أَحَدُ
أَعْلاَمَهَا نَشَرُوا أَحْكَامَهَا نَصَرُوا ** أَعْدَاءَهَا كَسَرُوا نُقَّالَهَا نَقَدُوا

هُمُو الرُّجُوْمُ لِسُرَّاقِ الْحَدِيْثِ كَما ** لِكُلِّ مُسْتَرِقٍ شُهْبُ السَّما رَصَدُ
بِدُوْرُ تِمٍّ سِوَى أَنّ الْبُدُوْرَ لَهَا ** غَيْبُوْبَةٌ أَبَدًا وَالنَّقْصُ مُطَّرِدُ
وَهُمْ مَدَى الدَّهْرِ مَا زَالَتْ مَآثِرُهُمْ ** فِي جِدَّةٍ وَانْجِلاءٍ مُنْذُ مَا وُسِدُوا
أُولئكَ الْمَلأُ الْغُرُّ الأُلى مَلَؤوا الْـ ** أَقْطَارَ عِلْمًا وَغيْرَ النَّصِّ مَا اعْتَقَدُوا
كُلٌّ لَهُ قَدَمٌ فِي الدِّيْنِ رَاسِخَةٌ ** وَكُلُّهُمْ فِي بَيَانِ الْحَقِّ مُجْتَهِدُ
فَإِنْ أَصَابَ لَهُ أَجْرَانِ قَدْ كَمُلاَ ** وَالأَجْرُ مَعْ خَطَإٍ وَالْعَفْوُ مُتَّعَدُ
وَالْحَقُّ لَيْسَ بِفَرْدٍ قَطُّ مُنْحَصِرًا ** إِلاَّ الرَّسُوْلُ هُوَ الْمَعْصُومُ لاَ أَحَدُ
صَلّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ فَاطِرُهُ ** مُسَلِّمًا مَا بِأَقْلاَمٍ جَرَى الْمُدَدُ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِيْنَ لَهمْ ** وَالْحَمْدُ للهِ لاَ يُحْصَى لَهُ عَدَدُ

الشرح:

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلاَ تُقَدِّمْ أَقَاوِيْلَ الرِّجَالِ عَلى نَصِّ الشَّرِيْعَةِ**)؛ أي: إياك أن تقدم قول أحدٍ كائنًا من كان على نص الشريعة، كلام الله تعالى وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس لأحدٍ استبانت له سُنَّة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يدعها لقول أحدٍ كائنًا من كان، وقد مر معنا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة النور، من الآية:٦٣]، الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلا هذه الآية عندما قال: "عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي: سفيان وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة النور، من الآية:٦٣]"، فالشاهد أن السُّنَّة إذا استبانت لا يجوز لأحدٍ أن يتركها لقول أحدٍ كائنٍ من كان.

(**وَلاَ تُقَدِّمْ أَقَاوِيْلَ الرِّجَالِ عَلى نَصِّ الشَّرِيْعَةِ كَالْغَالِيْنَ إِذْ جَحَدُوا**)؛ أي: كالغلاة، والمراد بالغلو: الغلو بالأشخاص، الغلو هنا الغلو في الأشخاص، والمتبوعين، والمقلدين، والمعظمين؛ فيبلغ الغلو ببعض الناس أن يقدم أقاويل الرجال لغلوه فيهم على كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**وَلاَ تُقَلِّدْ وَكُنْ فِي الْحَقِّ مُتَّبِعًا إِنَّ اتِّبَاعَكَ فَلْتَعْلَمْ هُوَ الرَّشَدُ**)؛ فلا تقلد ولكن كن متبعًا؛ أي: كن متبعًا للحق والهدى، والمأثور عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكن حريصًا على ذلك فإن فيه الرشاد.

والإتباع فرض من كان قادرًا على النظر في النصوص والأدلة، ومعرفة الاستنباط ومآخذ الأدلة ونحو ذلك، أما العامي -الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف-، ففرضه التقليد؛ أن يقلد العالم الفقيه الذي يثق بدينه ويطمئن لعلمه.

(**إِذِ الأئِمَّةُ بِالتَّقْلِيْدِ مَا أَذِنُوا لَكِنْ رِدِ الْمَوْرِدَ الْعَذْبَ الّذي وَرَدُوا**)؛ الأئمة ما أذنوا بالتقليد، ولم يأذنوا بما يوجد في كثيرٍ من الأتباع من التعصب الأعمى، والأخذ بقول الإمام بقطع النظر هل عليه دليل، أو ليس عليه دليل، وهذا هو المراد بالتقليد الذي يُذم؛ يعني أن يأخذ بقوله بدون أن يعلم دليل، دليلًا عليه وما المستند؛ وإنما يأخذ بقوله هكذا، هذا هو التقليد الذي يُذم.

وقد قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم دليلنا عليه"، فالعبرة بالدليل، وكلٌ يُحتج لقوله لا به إلا الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**إِذِ الأئِمَّةُ بِالتَّقْلِيْدِ مَا أَذِنُوا لَكِنْ رِدِ الْمَوْرِدَ الْعَذْبَ الّذي وَرَدُوا**)؛ أي: أنهل من المنهل الذي نهلوا منه، وهو كتاب الله، وسُنَّة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**وَلْتَسْتَعِنْ بِفُهُوْمِ الْقَوْمِ**)؛ يعني: استعن على فهم الكتاب والسُّنَّة بفهم القوم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

(**وَلْتَسْتَعِنْ بِفُهُوْمِ الْقَوْمِ إِنَّ لَهُمْ بَصَائِرًا كَمْ بِهَا يَنْحَلُّ مُنْعَقِدُ**)؛ أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ بصائر، ومن الفقه في الدين ما تنحل بها عقد وأمور كثيرة قد لا تستبين للإنسان ولا تتضح، فإذا استضاء بفهم السلف الصالح استنار له الطريق واستبانت له الجادة.

قال: (**وَأَعْلَمُ الأُمَّةِ الصَّحْبُ**)؛ أي: الصحابة، (**وَأَعْلَمُ الأُمَّةِ الصَّحْبُ الأُلى حَضَرُوا مَوَاقِعَ الشَّرْعِ وَالتَّنْزِيْلَ قَدْ شَهِدُوا**)؛ فأعلم الأمة وأفقههم في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأعظمهم بصيرةً بشرعه سبحانه هم الصحابة، وقد أكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن حضروا مواقع الشرع، وسمعوا كلام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منه، ورأوا أفعاله التي تُنقل لمن بعدهم نقلًا؛ رأوها بأعينهم وشاهدوها بأبصارهم، وسمعوا كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بآذانهم، وهذه خصيصة لهم من دون الأمة، (**وَأَعْلَمُ الأُمَّةِ الصَّحْبُ الأُلى حَضَرُوا مَوَاقِعَ الشَّرْعِ وَالتَّنْزِيْلَ قَدْ شَهِدُوا**)؛ أي: شهدوا التنزيل، وهذا أمرٌ خصهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به.

(**أَدْرَى الأَنَامِ بِتَفْسِيْرِ الْكِتَابِ وَأَفْـعَالِ الرَّسُوْلِ وأَقْوَالٍ لَهُ تَرِدُ**)؛ أي: هم أعلم الناس، وأعلم الأمة بكتاب الله وأفعال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقواله، أفعاله رأوْها بأعينهم، وأقواله سمعوها منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما

استشكل عليهم سألوا عنه، فهم (**أَدْرَى الأَنَامِ**)؛ أي: أعلم الأنام، (**بِتَفْسِيْرِ الْكِتَابِ وَأَفْـعَالِ الرَّسُوْلِ**)؛ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأقواله.

(**إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ**)؛ إجماع الصحابة حجة قطعًا؛ أي: الشيء الذي يُجمع عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فهو حجة.

(**وَخُلْفُهُمُو لَمْ يَعْدُهُ الْحَقُّ فَلْيَعْلَمْهُ مُجْتَهِدُ**)، أقرأ..

المتن:

يقول:

إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ قَطْعًا وَخُلْفُهُمُو ** لَمْ يَعْدُهُ الْحَقُّ فَلْيَعْلَمْهُ مُجْتَهِدُ

الشرح:

نعم إجماع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حجة، (**إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ قَطْعًا وَخُلْفُهُمُو ... لَمْ يَعْدُهُ الْحَقُّ فَلْيَعْلَمْهُ مُجْتَهِدُ**)؛ يعني: الأمر الذي يُجمع عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حجة، وإذا اختلفوا في مسألة الحق لا يعدوهم؛ يعني: لن يكون الحق خارجًا عن أقوالهم، يعني: لو أن مسألةً من المسائل اختلفوا فيها على قولين أو على ثلاثة أقوال، لا يكون القول الحق قولًا رابعًا غير القول الذي قال به واحد من هؤلاء.

(**وَخُلْفُهُمُو لَمْ يَعْدُهُ الْحَقُّ**)؛ يعني: إذا اختلفوا في مسألة ابحث عن الحق في حدود أقوالهم، لا تبحث عن قولًا خارجًا عن أقوال الصحابة لتطلب الحق فيه، فإجماع الصحابة حجة، والمسائل التي يختلف أو يوجد بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خلافٌ فيها؛ فالحق لا يعدوهم يعني: لا يخرج عنهم، معنى لا يعدوهم ؛ أي: لا يخرج عنهم، الحق فيما قالوه؛ فستجد الحق في قول واحدٍ من هؤلاء أو في جماعةٍ من هؤلاء، لكن لن يكون خارجًا عن قول الصحابة.

(**أُرْدُدْ أَقَاوِيْلَهُمْ نَحْوَ النُّصُوْصِ فَمَا يُوَافِقُ النَّصَّ فَهْوَ الْحَقُّ مُعْتَضَدُ**)؛ هنا يوضح لك كيف تتعامل مع المسألة التي فيها خلاف بين الصحابة، قال لك: الحق لا يعدوهم، لكن كيف تعرف الحق من هذه الأقوال؟ قال: (**أُرْدُدْ أَقَاوِيْلَهُمْ نَحْوَ النُّصُوْصِ**)؛ يعني: أردد أقاويلًا في المسألة التي فيه خلاف بينهم (**نَحْوَ النُّصُوْصِ فَمَا يُوَافِقُ النَّصَّ**)؛ أي: من أقاويلٍ (**فَهْوَ الْحَقُّ**).

قال: (**مَالَمْ تَجِدْ فِيْهِ نَصًّا**)؛ يعني الشيء الذي فيه خلافًا بين الصحابة ولم تجد فيه نص تجزم به أو تجزم من خلاله بالحكم، فماذا تصنع؟

(**مَالَمْ تَجِدْ فِيْهِ نَصًّا قَدِّمِ الْخُلَفَا إِذْ هُمْ بِنَصِّ رَسُوْلِ اللهِ قَدْ رَشَدُوا**)؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**»، فهم بنص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رشدوا؛ فإذًا إذا لم تجد نص تبني عليه فانظر إلى القول الذي فيه الخلفاء، فرجحه مستندًا إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنهم بنص كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رشدوا.

قال: (**فَالتَّابِعُوْنَ بِإِحْسَانٍ فَتَابِعُهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ لِلْحَقِّ الْمُبِيْنِ هُدُوا**)؛ أي: أحرص على المتبعين، على أقوال، وفهوم، وعلوم المتبعين للصحابة بإحسان، وقد أثنى الله عليهم بذلك، قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾[سورة التوبة، من الآية:١٠٠].

قال: (**كَالسَّبْعَةِ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ الذيْنَ يَرَى إِجْمَاعَهُمْ مَالِكٌ كَالنَّصِّ يُعْتَمَدُ**)؛ كالسبعة الأنجم الزهر؛ أي: كالفقهاء السبعة، فقهاء المدينة السبعة، فهؤلاء الأنجم الزُهر عليك بأقوالهم والاعتناء بها ومعرفتها، (**الذيْنَ يَرَى إِجْمَاعَهُمْ مَالِكٌ كَالنَّصِّ يُعْتَمَدُ**)؛ يرى الإمام مالك أنهم إذا أجمعوا على مسألة فهي تُعتمد، إذا أجمع عليها فقهاء المدينة السبعة.

وأيضًا (**وَابنِ الْمُبَارَكِ**)؛ والحسن البصري المرضي، وحماد، و(**سُفْيَانُ مَعْ سُفْيَانَ**)؛ يعني: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، (**ثُمَّ فَتَى الْـأَوْزَاعِ**)؛ الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(**فَاعْلَمْ وَمِنْ أَقْرَانِهِمْ عَدَدُ**)؛ ليس هذا للتنصيص وإنما للتمثيل، لهم أقران فعليك بهؤلاء والإفادة من علومهم.

(**ثُمَّ الأَئِمَّةُ**)؛ يعني: الأئمة الأربعة: نعمان، ومالك، والشافعي، وأحمد (**فِي دِيْنِنَا عُمُدُ**)؛ يعني: لهم مكانتهم العلية، ومنزلتهم الرفيعة؛ فهم أئمة هُدى، نعمان، أبو حنيفة، ومالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، كل هؤلاء في ديننا عُمد، ولهم مكانتهم العلية، ومنزلتهم.

وكذلك أيضًا: (**وَغَيْرُهُمْ مِنْ أُولي الفتوَى الذينَ لَهُمْ بَصَائِرٌ**)؛ أو على النسخة الأخرى: (**أُولي التَّقْوَى**)؛ يعني: صاحب الفتوى معروف بالفتوى الصحيحة الدقيقة، أو أولي التقوى الذين يتقون الله عَزَّوَجَلَّ ويُعرفون بالخشية.

(**الذينَ لَهُمْ بَصَائِرٌ بِضِيَاءِ الْوَحْيِّ تَتَّقِدُ**)؛ يعني: تتقد بصائرهم بضياء الوحي، فهؤلاء الذين يحرص الإنسان، ويحرص طالب العلم على التلقي والأخذ من علومهم.

ولهذا يقول مثنيًا: (**أُولئِكَ الْقَوْمُ يَحْيَى الْقَلْبُ إِنْ ذُكِرُوا وَيُذْكرُ اللهُ إِنْ ذِكْرَاهُمُو تَرِدُ**)؛ يعني: عندما ترد ذكر هؤلاء يُذكر الله؛ لأن هؤلاء لم يرتبط بهم الناس إلا بما يُذِّكر بالله؛ وهذه كرامة أكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ بها؛ وميزة ميزهم بها، هم لا يُذكرون إلا في مجالس التذكير بالله؛ يعني الآن لما يُذكر الأوزاعي، أو يُذكر الثوري، أو يُذكر

أحمد، أو يُذكر الحسن البصري؛ هل يُذكر في أمر يتعلق بالتجارة الدنيوية، أو في بيع، أو في أمور تتعلق بمتع الدنيا؟ دائمًا لا يأتي ذكرهم إلا بشيء يتعلق بماذا؟ بدين الله، فدائمًا لا يُذكرون لا يأتي اسمهم إلا في أمر يُذَكِّر بالله، ويتعلق بدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإذًا (**أُولَئِكَ الْقَوْمُ يَحْيَى الْقَلْبُ إِنْ ذُكِرُوا وَيُذْكَرُ اللهُ إِنْ ذِكْرَاهُمُو تَرِدُ**).

(**أَئِمَّةُ النَّقْلِ وَالتَّفْسِيْرِ لَيْسَ لَهُمْ سِوَى الْكِتَابِ وَنَصِّ الْمُصْطَفَى سَنَدُ**)؛ أي: ليس لهم شغلٌ شاغل إلا كتاب الله وسُنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ هي السند وهي العمدة عندهم وعليها المعوَّل.

(**أَحْبَارُ مِلَّتِهِ**)؛ أي: علماء ملته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (**أَنْصَارُ سُنَّتِهِ لاَ يَعْدُلُوْنَ بِهَا مَا قَالَهُ أَحَدُ**)؛ شأن هؤلاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ ورضي عنهم، وغفر لهم أنهم أحبار ملته، فقهاء وعلماء الملة، وأنصار السُّنَّة، أنصار سُنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينصرونها، ويذبون عنها، (**ولاَ يَعْدُلُوْنَ بِهَا مَا قَالَهُ أَحَدُ**)؛ لا يقدمون قول أحدٍ كائنًا من كان على سُنَّة النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

مما يُذكر هنا أن الإمام الشافعي رحمه الله عليه مرةً سأله رجلٌ عن مسألة، فذكر الشافعيُ الحديث الذي هو نصٌ في المسألة، ذكر الحديث أجاب بذكر الحديث الذي هو نصٌ في المسألة؛ فقال له السائل: وما تقول أنت؟ ما رأيك؟ فغضب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه، قال: هل رأيتني معلقًا الصليب؟ هل رأيت في وسطي الزنار؟ هل رأيت في يدي زجاجة خمر؟ أقول لك: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقول ما رأيك؟!

(**أَحْبَارُ مِلَّتِهِ أَنْصَارُ سُنَّتِهِ لاَ يَعْدُلُوْنَ بِهَا مَا قَالَهُ أَحَدُ**)؛ يعني: لا يعدلون بسُنَّة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (**مَا قَالَهُ أَحَدُ**)؛ أي: كائنًا من كان.

(**أَعْلاَمَهَا نَشَرُوا أَحْكَامَهَا نَصَرُوا أَعْدَاءَهَا كَسَرُوا نُقَّالَهَا نَقَدُوا**)؛ من الأعمال العظيمة المباركة الجليلة التي قام بها هؤلاء الأئمة أنهم نشروا أعلام السُّنَّة، والناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- له مؤلف على طريقة السؤال والجواب في العقيدة سماه ماذا؟ [**أعلام السُّنَّة المنشورة**]، فهم (**أَعْلاَمَهَا نَشَرُوا**)؛ نشروا أعلام السُّنَّة، رفعوا السُّنَّة، ونشروا أعلامها في كل مكان ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، يرفعون السُّنَّة، أي: ينشرونها، ويشيعونها، ويدعون الناس إلى الاستمساك بها.

وإذا وُجد الواحد من هؤلاء في بلد ظهرت السُّنَّة وانتشرت، أحيانًا تجد في بعض.. وهذا نلاحظه أحيانًا في بعض الأسفار تمر بقرية من القرى؛ فتجد سُنَّن ظاهرة، ويأتيك استغراب وتساؤل: أين هذه السُنَّن؟! أو كيف وصلت إلى هذه القرية؟ فأحيانًا نسأل يقولون: رحمه الله عليه فلان أقام عندنا كذا وكذا وانتشرت هذه السُّنَّة، فوجود هؤلاء الفقهاء ومن هم على أثرٍ في المناطق يكون سببًا لانتشار السُّنَّة وارتفاع أعلامها.

(**أَعْلاَمَهَا نَشَرُوا أَحْكَامَهَا نَصَرُوا**)؛ أي: نصروا أحكام سُنَّة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، (**أَعْدَاءَهَا كَسَرُوا**)؛ أي: كسروا أعدائها بالحجج البينة والبراهين الساطعة؛ ولهذا تجد أن مؤلفات السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في الانتصار للسُّنَّة والعقيدة تحمل هذا المعنى، مثل: الصواعق المرسلة، أو اجتماع الجيوش الإسلامية، ثم ينقل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه [**أقوال الأئمة**]، فهذه النقول، وهذه الأقاويل، وهذه النصوص، هذه بمثابة الجيوش التي تهزم فلول أهل الباطل وتفرق شملهم.

(**نَصَرُوا أَعْدَاءَهَا كَسَرُوا نُقَّالَهَا نَقَدُوا**)؛ أي: نقد الرجال الذين نقلوا السُّنَّن، ولهذا تجد كتب عظيمة وحافلة حفظ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها الدين؛ فيقولون هذا كذاب، وهذا وضَّاع، وهذا متهم، وهذا ضعيف، وهذا ثقة، وهذا ثبت، وهذا حافظ إلى آخره.

(**نُقَّالَهَا نَقَدُوا**)؛ كل من يشتغل بنقل السُّنَّة يشتغلون بنقده وبيان حاله، جرحًا أو تعديلًا، (**نُقَّالَهَا نَقَدُوا**).

(**هُمُو الرُّجُوْمُ لِسُرَّاقِ الْحَدِيْثِ كَما لِكُلِّ مُسْتَرِقٍ شُهْبُ السَّما رَصَدُ**)؛ هؤلاء الأئمة مثلهم مثل النجوم، وكما قال قتادة: "خلقت النجوم لثلاث: زينةً للسماء، وعلاماتٍ يُهتدى بها ورجوم للشياطين"، والعلماء كذلك، العلماء زينة الناس، لا تزين أحوال الناس إلا بأهل العلم بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال بعض السلف: "لولا العلماء لكان الناس مثل البهائم"؛ يعني: لولا توفيق الله وتيسيره وجود العلماء لأصبح الناس مثل البهائم، لا يعرفون أحكامًا ولا أمرًا ولا نهيًا ولا غير ذلك، إلا أن الله أكرمهم بالعلماء الذين بينوا لهم ذلك، فالعلماء زينة، وأيضًا يُهتدى بهم، هم الذين يدلون الناس ويرشدونهم، وهم أيضًا رجوم؛ لأن أي مبطل ينتدب أهل العلم لنقد باطله، وكشف شبهه وأباطيله.

قال: (**هُمُو الرُّجُوْمُ لِسُرَّاقِ الْحَدِيْثِ**)؛ أي شخصٍ يكون منه عدوان على الأحاديث، وقولٌ على الله وفي الله وفي هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا علم؛ فهؤلاء الرجوم له؛ أي: الذين ينقضون باطله، ويردون عليه ويكشفون حاله.

(**كَما لِكُلِّ مُسْتَرِقٍ شُهْبُ السَّما رَصَدُ**)؛ يعني: كما أن الشهب في السماء رجوم للشياطين؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قيض أهل العلم لرد أباطيل المبطلين.

قال: (**بِدُوْرُ تِمٍّ**)؛ أي: بدور التمام، (**بِدُوْرُ تِمٍّ**)؛ البدر التمام هو القمر ليلة الرابع عشر عندما يكتمل، فيُقال: بدر التمام؛ يعني: عندما يتم في ليلة الرابع عشر يُقال: بدر التمام، فهؤلاء (**بِدُوْرُ تِمٍّ**)؛ يعني: بدور التمام، مثل ما قال

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وفضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»، ليلة البدر يعني: ليلة التمام، فالعلماء بدور تم، ويعقد مقارنة بينهم وبين البدر الذي في السماء.

قال: (**بِدُوْرُ تِمٍّ سِوَى أَنّ الْبُدُوْرَ لَهَا غَيْبُوْبَةٌ أَبَدًا وَالنَّقْصُ مُطَّرِدُ**)؛ يعني: الآن القمر يغيب، ولا يبقى بدر تمام كل ليلة، بل ينقص، النقص مضطرد، ينقص ثم يرجع إلى أن يكتمل ثم ينقص وهكذا، فلا يبقى بدر تمام كل ليلة وأيضًا يغيب، هذا بالنسبة للبدر الذي في السماء، لكن هؤلاء العلماء، هؤلاء البدور أهل العلم الأئمة: الشافعي، الأوزاعي، أحمد، غيرهم.

هؤلاء وكذلك من سار مسارهم، يقول: (**وَهُمْ مَدَى الدَّهْرِ مَا زَالَتْ مَآثِرُهُمْ فِي جِدَّةٍ وَانْجِلاءٍ مُنْذُ مَا وُسِدُوا**)؛ فعلومهم ومآثرهم وأقوالهم، (**مَا زَالَتْ مَآثِرُهُمْ فِي جِدَّةٍ وَانْجِلاءٍ**)؛ دائمًا تُذكر، ودائمًا يُستشهد بها، ودائمًا يُثنى عليهم، ودائمًا يُترحم عليهم، ودائمًا يُذكرون بالخير، ودائمًا تُنقل علومهم.

(**أُولئكَ الْمَلأُ الْغُرُّ الأُلى مَلَؤوا الأَقْطَارَ عِلْمًا وَغيْرَ النَّصِّ مَا اعْتَقَدُوا**)؛ هؤلاء الغر ملئُوا الدنيا علمًا، علومهم انتشرت في الدنيا، وأينما تذهب في بلاد المسلمين تسمع بينهم ذكر هؤلاء الأئمة الأعلام، والثناء العاطر عليهم بين الأنام، والاستشهاد بأقاويلهم، وعلومهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم.

(**كُلٌّ لَهُ قَدَمٌ فِي الدِّيْنِ رَاسِخَةٌ وَكُلُّهُمْ فِي بَيَانِ الْحَقِّ مُجْتَهِدُ**)؛ كلٌ له قدمٌ في الدين راسخة؛ منَّ الله عليهم وأكرمهم بالرسوخ في العلم، وبذلك صاروا أئمة، وصارت لهم قلوب المسلمين قديمًا وحديثًا مكانة ومنزلة.

(**كُلٌّ لَهُ قَدَمٌ فِي الدِّيْنِ رَاسِخَةٌ وَكُلُّهُمْ فِي بَيَانِ الْحَقِّ مُجْتَهِدُ**)؛ وهذا ينبغي أن نعرفه عن هؤلاء الأئمة أن كلٌ منهم مجتهد في بيان الحق، لكن هل كل مجتهد يُصيب الحق؟ كلٌ منهم مجتهدٌ في بيان الحق، وهم بين مجتهدٍ مصيب ومجتهدٍ مخطئ.

يقول: (**فَإِنْ أَصَابَ لَهُ أَجْرَانِ قَدْ كَمُلاَ**)؛ يعني: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، (**فَإِنْ أَصَابَ لَهُ أَجْرَانِ قَدْ كَمُلاَ وَالأَجْرُ مَعْ خَطَىءٍ وَالْعَفْوُ مُتَّعَدُ**)؛ أي: موعودٌ بالعفو، (**وَالأَجْرُ مَعْ خَطَىءٍ**)؛ يعني: هو مأجور مع أنه مخطئ، (**وَالْعَفْوُ مُتَّعَدُ**)؛ أي: موعودٌ بالمغفرة، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجرانِ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحدٌ وذنبه مغفور**»، (**وَالْعَفْوُ مُتَّعَدُ**).

(**وَالْحَقُّ لَيْسَ بِفَرْدٍ قَطُّ مُنْحَصِرًا إِلاَّ الرَّسُوْلُ**)؛ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**هُوَ الْمَعْصُومُ لاَ أَحَدُ**)؛ الحق ليس منحصرًا في فرد، وهذه الجملة لو فهمها المتعصبة لعالجت فيهم داء التعصب، الحق ليس منحصرًا في فرد لا يعدوه، ولا يتجاوزه، إلا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه معصوم، وأما من سوى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخطئ ويُصيب، فالحق ليس

منحصرًا في فرد، وإذا كان الحق ليس منحصرًا في فرد لا يجوز التعصب لفرد واحد مهما علت منزلته لا يتجاوز قوله، ولا يُنتقل إلى غيره، لا يجوز ذلك؛ لأن الحق ليس منحصرًا في فردٍ، إلا الرسول هو المعصوم لا أحد.

وختم النظم والتقرير بهذه الجملة: (**إِلاَّ الرّسُوْلُ هُوَ الْمَعْصُومُ لاَ أَحَدُ**)؛ هذه خاتمة النظم، (**إِلاَّ الرّسُوْلُ هُوَ الْمَعْصُومُ لاَ أَحَدُ**)؛ فالأخذ عنه، والتعويل على ما جاء عنه، وهو الأسوة والقدوة -صلوات الله وسلامه عليه-.

ثم ختم بالصلاة والسلام على الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلى الصحب والآل؛ قال:

صَلّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ فَاطِرُهُ ** مُسَلِّمًا مَا بِأَقْلاَمٍ جَرَى المُدَدُ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِيْنَ لَهمْ ** وَالْحَمْدُ للهِ لاَ يُحْصَى لَهُ عَدَدُ

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يُثيب الشيخ حافظ عظيمَ الثواب، وأن يجزيه وافر الجزاء على هذا الجهد العظيم المبارك الذي قدَّمه من خلال هذا النظم، ومن خلال أيضًا مؤلفاته الأخرى العظيمة النفيسة الثمينة، مع أنه رحمه الله عليه توفي بعد الثلاثين بقليل، أربع وثلاثين أو خمسة وثلاثين سنة كان عمره عند وفاته، وهذه المنظومات بعضها لو تطالعها أو تتأمل في تاريخ نظمه لها ربما في خمس وعشرين سنة، أو ستة وعشرين سنة نظمها، [**سلم الوصول**] سبق أن عقدنا بعض المجالس في مدارسته نظمه وعمره ثمانية عشرة سنة رحمه الله عليه، وشرحه معارج القبول بعد العشرين بقليل، فكان كاسمه حافظ، ومنَّ الله عليه بعلمٍ غزير وفقهٍ وفهمٍ لدين الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتوفي في حج بيت الله الحرام في قصةٍ معروفة.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر له وأن يرحمه وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك لنا ولكم فيما علمنا وأن يجعل ما تعلمناه حجةً لنا لا علينا، وأن يمنَّ علينا بالعلم النافع والرزق الطيب، والعمل المتقبل، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، إنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وجزاكم الله خيرًا جميعًا على هذا الجلوس، وهذا الحضور، وهذا الصبر، جعله الله في ميزان حسناتكم، ورفعةً لدرجاتكم، وبركةً في حياتكم وذرياتكم، وصلى الله وسلَّم على رسول الله.